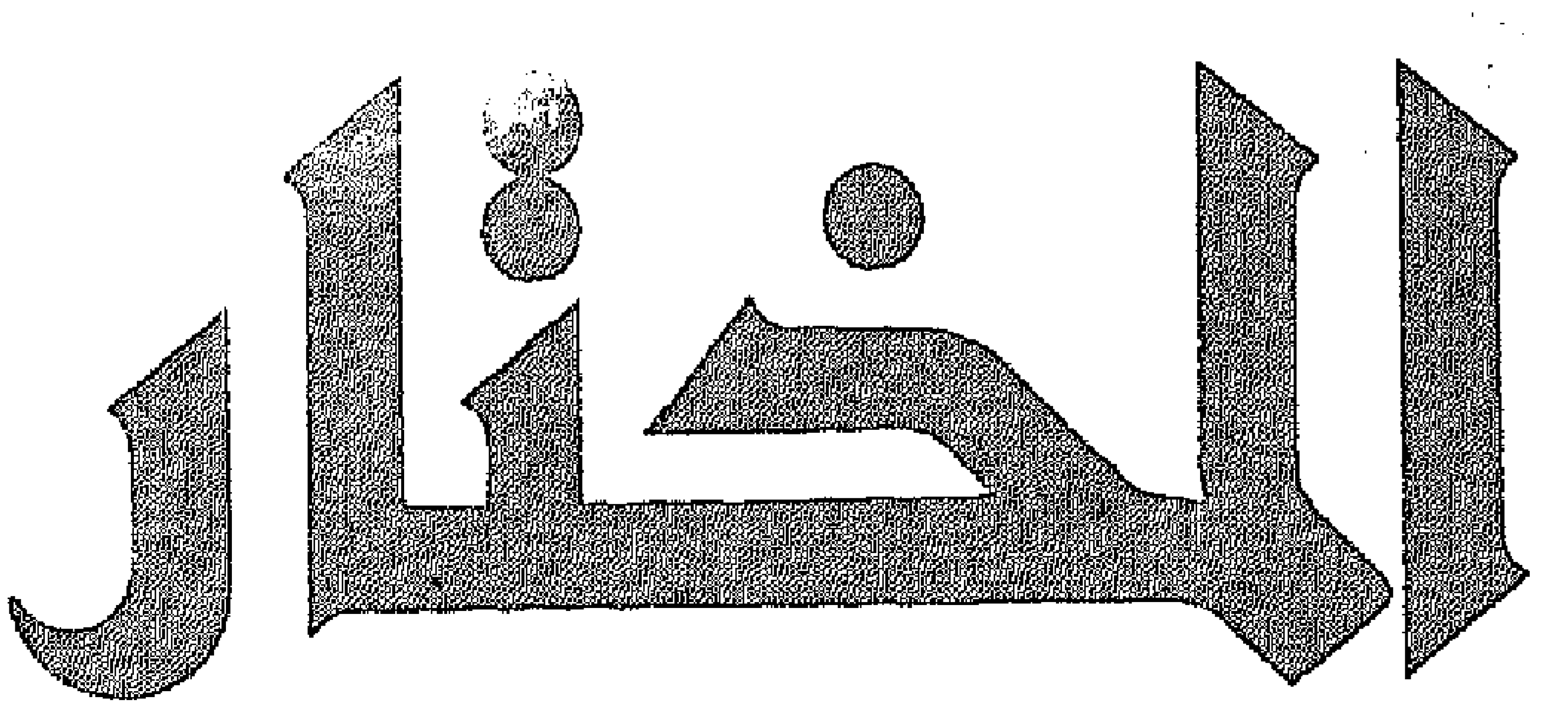


يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ ... ادى الاولى ١٤٠٨



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest January '88 N° 110

اوسع المجلات انتشاراً فى العالم



نيدو الحليب الأفضل
INSTANT
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Full cream powdered milk
نيدو الأفضل طعمًا، الأسرع ذوبانًا، الأضمن نتيجة والأوسع إنتشارًا.
نيدو السريع الذوبان:
ضمانة أكيدة لنمو أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله



من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١– ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

January '88 N° 110 (New Series) Vol. 10

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

لبنان ١٠٠ل – سورية ١٥ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١،٢٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٥ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٦٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٢٥د

يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ — السنة العاشرة (سلسلة جديدة)

مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

لا مساوَمَة مَع الزكام

"حذار الزكام!" يقول لك صديقك، "هناك جرثومة في البلد." واذا بك تحس "خربشة" في حلقك ووخزاً خفيفاً في أنفك ثم تبدأ العطس. لقد أصبت بالزكام من جديد.

بالمعنى الصحيح ليس هناك مرض يدعى "الزكام." إنك تشكو مجموعة أعراض غير محددة تنجم عن مئات الجراثيم المختلفة. وليست كل أنواع الزكام متساوية. فمنها ما لا يعدو كونه انزعاجاً بسيطاً تأمل أن يزول خلال أسبوع. ولكن هناك أنواع أخرى قد تطول الاصابة بها.

تختلف جراثيم الزكام في فصول شيوعها ومدة تأثيرها وشدته، وهي في بعض الحالات مميتة. لكن معرفة دقائقها تعود علينا بنفع جزيل

Photo: Al Francekevich

فتتجذر في الاجساد الحساسة وتصبح قاتلة. وفي وسع الزكام أن يعرّض أجهزة التنفس لدينا لانواع من العدوى أشد منه خطراً.

في البلدان النامية تشكل أمراض التنفس السبب الاول للوفاة. ان عشرات الالوف يموتون سنوياً نتيجة أمراض ربما ظهرت - أو كانت في البداية - زكاماً عادياً. والحقيقة أن كل نوع من الزكام يهاجم جهاز المناعة في الجسم. وما تعرفونه عن الزكام في اصابتكم المقبلة سيساعدكم على الشفاء وربما دفع عنكم مرضاً أشد خطراً.

ان فيروسات متنوعة للزكام تعمد الى الهجوم خلال أوقات معينة من السنة، لذلك فان روزنامة للزكام قد تكون دليلا ذا فائدة:

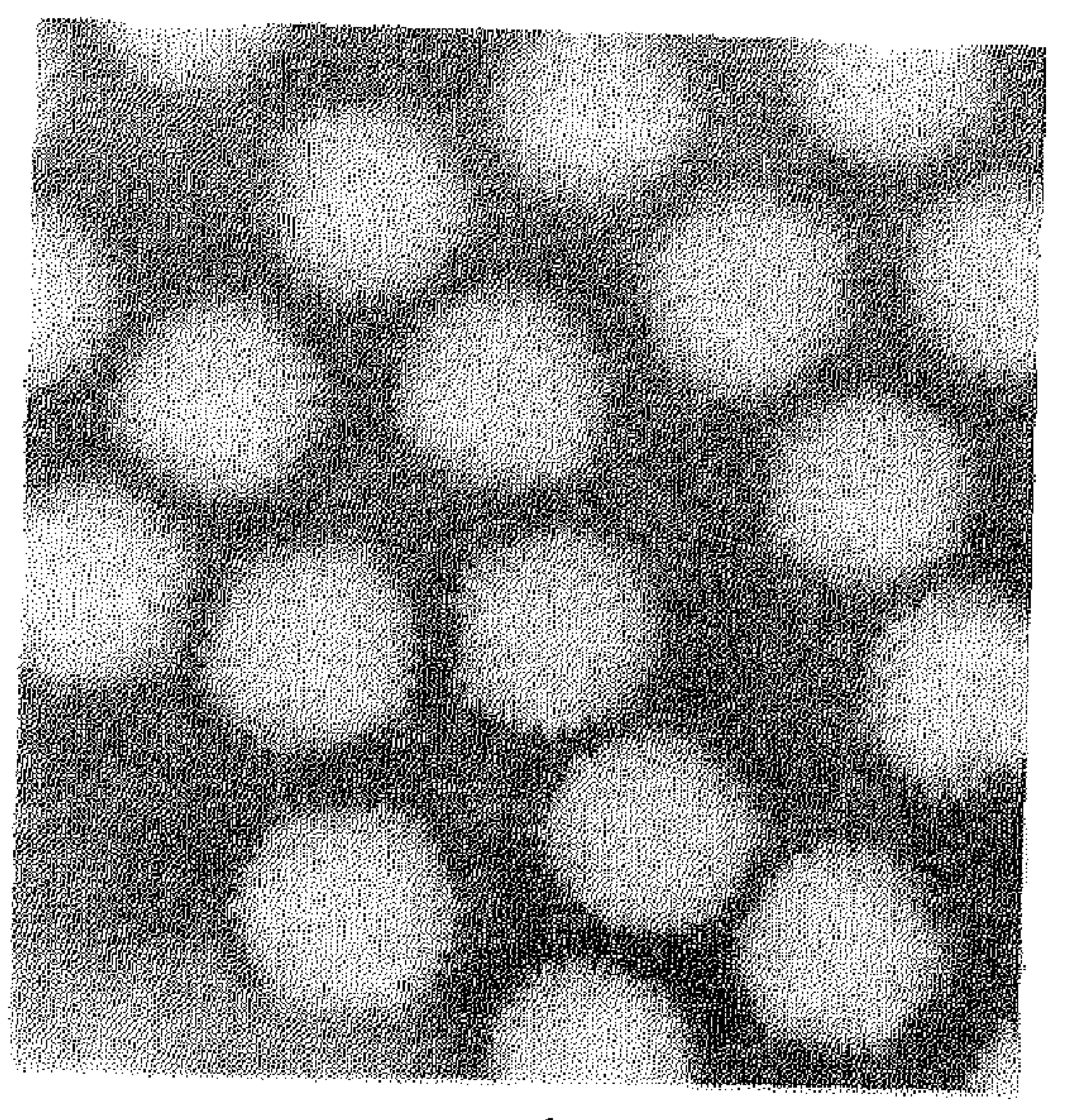
زكام رينوفيروس (١). يشهد أكتوبر (تشرين الاول) غالباً أكبر عدد من اصابات الزكام، وأكثرها شيوعاً مجموعة حوامل متباينة تسبب العدوى ويقارب عددها مئة وعشرين وتدعى رينوفيروس ("رينو" كلمة يونانية تعني الأنف). إنها تسبب أكبر عدد من اصابات الزكام، وربما أربعين في المئة. هذه الفيروسات تصيب خلايا الانف وجهاز التنفس الاعلى، محدثة عطساً وافرازاً وحمى خفيفة (الا لدى الاولاد الصغار). يدوم زكام رينوفيروس عادة أسبوعاً أو أقل. ولكن في حال عدوى جرثومية (باكتيرية) ثانوية في خلايا الانف قد تطول مدة الاصابة. واذا كان الرينوفيروس معقداً فان الزكام يطول عشرة أيام وأكثر. وذلك يعطي الجسم مناعة لسنين عدة ضد هذا النوع الخاص من الزكام، فتخفّ اصابتنا بهذا الزكام كلما تقدم بنا العمر.

عام ١٩٨٥ أتيح للعلماء أن يروا أول صورة فوتوغرافية بلورية (٢) لرينوفيروس بواسطة الأشعة السينية (إكس): كرة قدم بالغة الصغر لها عشرون جانباً مثلث الشكل. وقد دلت الصورة على حقيقة غير متوقعة، وهي أن الرينوفيروس هذا مماثل من نواح عدة للفيروسات التي تصيب النبات. ان فيروساً يؤخر نمو البندورة (الطماطم) في حديقتكم، مثلا، ربما انتقل من مملكة النبات الى البشر.

زكام كوروناڤيروس (٣). اذا أصابنا زكام في أبرد أيام الشتاء فمن المحتمل أن يكون زكام كوروناڤيروس. ففي حين ينتقل رينوفيروس بلمس اليدين، ينتقل كوروناڤيروس بواسطة الهواء. ان مدة اصابته قصيرة وتدوم بين ستة أيام وسبعة، يصحبها عطس وسيلان أنف. لكن كوروناڤيروس، مثل رينوفيروس، يمكن أن يسبب ذات الرئة للاولاد. وهو يتملص من جهاز مناعة الجسم. لكن كوروناڤيروس، بخلاف رينوفيروس، يمكن أن تتكرر الاصابة به. والاصابات بزكام كوروناڤيروس تراوح بين ١٥ و٣٠ في المئة من اصابات الزكام.

زكام أدينوفيروس (٤). اذا أصابك زكام في الاشهر الاكثر برودة، مؤذ حقاً

(١) Rhinovirus
(٢) Crystallography photograph
(٣) Coronavirus
(٤) Adenovirus



أدينوفيروس مكبّراً ١٨٠ ألف مرة.

ومصحوب بسعال جاف وحمى وألم في الحلق مع بقع بيضاء أو صفراء، فمن المحتمل أن يكون زكام أدينوفيروس. وهو سمي كذلك لأنه يستقر في الزائدة الانفية (٥) والحنجرة واللوزتين. وأحد مؤشراته التهاب في باطن الجفن. وهذه العائلة من الفيروسات تسبب عشرة في المئة من كل أنواع الزكام.

زكام إنتروفيروس (٦). إن الذين ولدوا قبل الحرب العالمية الثانية كانوا يشعرون بخوف كبير من الزكام متى أصيبوا به في فصل الصيف. ان "زكام الصيف" المصحوب بحمى ومخاط وألم في الحلق كان سببه غالباً فيروس شلل الاطفال الذي أقعد الالوف سنوياً. وقد أبادت اللقاحات هذا الداء على نطاق واسع. لكن أنواعاً أخرى من انتروفيروس، تشبه رينوفيروس وتستقر في الجهاز الهضمي، لا تزال تسبب زكام الصيف مصحوباً بحمى وسعال وألم في الحلق وغالباً بألم في العضل. وربما كانت المضاعفات خطيرة ومنها التهاب القلب والرئتين والدماغ. وهذه الفيروسات تسبب نحو عشرة في المئة من إصابات الزكام.

زكام «RSV» وبارا – إنفلونزا. ان أحد الفيروسات الاكثر تسبباً بالامراض على الارض هو فيروس «RSV» (٧) الذي ينتشر بين نوفمبر (تشرين الثاني) وابريل (نيسان). ويسبب هذا الفيروس عللا تراوح بين الزكام وذات الرئة. لدى بلوغه السن الخامسة يكون كل ولد في العالم أصيب بزكام «RSV». عند الولادة يحمل الاطفال مضادات حيوية واقية. ولكن من عمر ثلاثة أسابيع الى سنة يتعرض الاطفال لخطر رئيسي سببه «RSV»، منه الاصابة بذات الرئة وتلف الدماغ. وبعد السن الثالثة نادراً ما يتجاوز «RSV» الانفلونزا أو الزكام سوءاً. وربما بلغت اصاباته خمسة أو عشرة في المئة من حالات الزكام التي تصيب البالغين.

أظهرت احدى الدراسات العلمية أن «RSV» قد يتحول "مرضاً بطيئاً" يصيب الناس وهم أولاد ويبقى هاجعاً لعشرات السنين ثم يبرز مرتبطاً بأمراض أخرى منها داء "باجيت" الذي يؤدي الى تشوه في العظم.

هناك أربعة أنواع من فيروس بارا – إنفلونزا مرتبطة بفيروس «RSV»، تسبب

---

(٥) Adenoids
(٦) Enterovirus
(٧) Respiratory syncytial virus

Photo: Science Photo Library International, New York City

الزكام وتصيب الاولاد في مسالكهم الهوائية التي تدخل الرئتين كما تصيبهم بداء الخناق.

الانفلونزا (٨). ان عشرة في المئة مما نسميه زكاماً ليس الا انفلونزا خفيفة. هذا المرض قد ينتشر في أي وقت من السنة، لكنه يجتاح العالم عادة في شكل وباء في فصلي الخريف والشتاء. الانفلونزا "أ" و"ب" تسببان أعراض الزكام المألوفة في الأنف والحنجرة، لكنهما قادرتان على احداث صدمة للجسم يصحبها ارتفاع مفاجىء في الحرارة يجاوز ٣٨ درجة مئوية مع أوجاع في الصدر وضعف وقلق وانزعاج.

وكالغجر يرتحل فيروس الانفلونزا من فصيلة حية الى أخرى معدلا ترتيب عناصره الوراثية الثمانية. وهذا التحول الدائم - اذ يقفز الفيروس من البشر الى الطيور فالى الحيوانات ورجوعاً الى البشر - يعطيه قوة فريدة لتجنب جهاز المناعة. قرابة نهاية الحرب العالمية الاولى نشأت انفلونزا رهيبة بترتيب وراثي جديد، وفي أقل من سنتين فتكت بما يزيد على عشرين مليون شخص. لذلك تحرص السلطات الصحية العالمية على مراقبة تغيرات فيروس الانفلونزا. وتسبب الانفلونزا الوفاة بتمهيدها الطريق لذات الرئة الفيروسية ومن ثم الجرثومية. فهذه، مجتمعة، يمكنها أن تشل جهاز المناعة.

مسببات متباينة. ان الاصابة بذات الرئة وبأعراض مشابهة للزكام ربما كان سببها جرثومة مثل ستربتوكوكس (٩) المكوّرة العقدية التي تسبب زكاماً يصحبه ألم واحمرار وورم في الحنجرة. قبل عقد، فيما كان الاطباء يبحثون عن المرض الخفي الذي فتك بفيلق من الجنود الاميركيين في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، اكتشفوا نوعاً من الجراثيم يدعى حالياً الـ"بنوموفيلا الفيلقية" (١٠). ولئن يكن هذا المرض خطيراً، فان عدواه الخفيفة تسبب أعراض زكام.

وهناك عوامل أخرى تسبب أعراضاً مشابهة لاعراض الزكام. فاذا استنشق المزارع غباراً عضوياً سامة أو أبواغ (١١) فطر أو عفن من علف ماشية، فقد يصاب بمرض مشابه للانفلونزا. وربما نمت أبواغ الفطر والأميبة داخل مكيفات الهواء والرطوبة، وانتشرت بواسطتها.

خفايا لم تكشف. ان معظم أعراض الزكام التي نشكو منها ليست ناجمة عن الفيروسات مباشرة، بل عن أسلحة المناعة التي يستخدمها الجسم لصدها. لذلك نرى جراثيم عدة تولّد الاعراض ذاتها التي تشبه أعراض الحساسية. وجميع هذه العوامل يهاجمها جهاز المناعة بطرق مماثلة. واحدى هذه الطرق الكيميائية التي تستخدم في الهجوم المضاد ارتفاع مستوى الهيستامين (١٢).

(٨) الانفلونزا أو النزلة الوافدة مشتقة من العربية وتعني "أنف العنزة."
(٩) Streptococcus
(١٠) Legionella pneumophila
(١١) Spores
(١٢) الهيستامين مادة يفرزها الجسم رداً على حساسية ما.

لذلك فان محاولة معالجة الاحتقان بمضاد للهيستامين هي غالباً فكرة سيئة لأنها تؤدي الى جفاف بطانة جهاز التنفس المخاطية الواقية، فيزداد خطر التعرض للاصابة. كما أن الحمى تشل كثيراً من الفيروسات التي تتأثر بالحرارة. فتناول الاسبيرين اذاً لخفض الحرارة قد يؤدي الى تقويض دفاعاتك الطبيعية.

بعض فيروسات الزكام أنشأ أسلحة مضادة يمكنها أن تجعل الجسم ينقلب على ذاته. وكثير منها طوّر ترتيبات وراثية كيميائية تشابه كيمياء المصاب. نوعا الانفلونزا "أ" و"ب" وأدينوفيروس «V» وفيروس "إبشتين بار" والحصبة و«RSV» هي في عداد الفيروسات التي اكتشفها باحثو كلية واشنطن الطبية في سياتل عام ١٩٨٥، بواسطة أبحاث الدماغ الالكتروني، والتي يمكنها تقليد الترتيبات الوراثية للبروتيين "مايلين" الذي يبطّن نسيج الاعصاب البشرية. وعندما يركز جهاز المناعة هجومه الكيميائي على أمراض جهاز التنفس هذه، فانه يتلف جزءاً من نسيجه الخاص في ما يسميه العلماء "استجابة المناعة الذاتية."

ولا تزال هناك أسرار تكتنف الزكام العادي. فلماذا نجد مثلا أن الناس الذين يحملون دماً من فئتي «A» و «AB»هم أكثر استعداداً للاصابة بالزكام ولكن أقل استعداداً للاصابة بالانفلونزا من أولئك الذين دمهم من فئة «O»؟ وما سبب الاختلاف الظاهر بين الجنسين؟ يتعرض الذكور حتى السن الرابعة لاصابات أكثر بالزكام، ولكن بعد هذه السن تتعرض الاناث لاصابات أكثر. وتختلف الاعراض التي تصيب الرجال عن تلك التي تصيب النساء. فالنساء يتعرضن للاصابة اما بزكام نزلي في الرأس (١٣) واما بزكام عادي مصحوب بحمى وألم في الحنجرة وانزعاج، فيما يتعرض الرجال لكليهما في وقت واحد. وتبدو النساء اكثر استعداداً للاصابة بالزكام في منتصف دورتهن الشهرية.

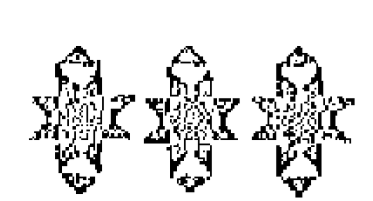
تعزية باردة. ان الادوية الشافية آتية ولكن تدريجاً. ففي الامكان تلطيف حدة زكام «RSV» باستعمال عقار جديد ذي فاعلية مرتقبة يسمى "ريبافيرين." ويمكن تفادي الانفلونزا "أ" بواسطة عقار "أمانتادين." وتتوافر في كل خريف (الذي هو فصل الانفلونزا) اللقاحات الضرورية ضد أنواع الانفلونزا السنوية المتغيرة. فهناك لقاح لتفادي – أو لتخفيف حدة – الاصابات بثلاثة وعشرين نوعاً شائعاً من ذات الرئة المكوّرة العقدية التي تسببها جرثومة ستربتوكوكس. لكن معظم الباحثين يائسون من ايجاد لقاح ضد أنواع زكام رينوفيروس الكثيرة.

ان الزكام العادي ليس شاملا، فهناك بين أربعة وستة في المئة من اخواننا البشر نادراً ما يصابون به وقد لا يصابون أبداً. فاذا اكتشفنا سر مناعتهم فسوف نكون أفضل صحياً، بحسب تفكيرنا العادي. لكننا مخطئون، لأنه تبين لفريق من العلماء أن امثال هؤلاء الاشخاص قد

(١٣) Catarrhal head cold. والنزلة هي التهاب القناة التنفسية مصحوب بافرازات مفرطة.

يموتون في المستشفيات بداء السرطان.
اكتشف البروفسور كورت تزانكر في جامعة ويتن هيرديكي بألمانيا الغربية ان مرضى الورم السرطاني تقل اصاباتهم كثيراً بالزكام العادي والحمى، ليس فقط وهم مصابون بالسرطان ولكن قبل عشر سنين من إصابتهم. وقدّر تزانكر وزملاؤه أن الاشخاص الذين يصابون بأقل من زكام واحد سنوياً تزيد امكانات اصابتهم بأورام سرطانية ستة أضعاف على أولئك الذين يصابون بزكام أو أكثر في السنة.
فما هو السبب؟
أحد الاجوبة المحتملة لدى تزانكر وفريقه - وان خالفهم علماء آخرون - أن أجهزة مناعتنا تستجيب لفيروسات الزكام فتنتج مادة "إنترفرون" التي تنشط الخلايا المقاتلة فينا، وهذه تدمر أي خلية تبدو مخترقة بالفيروسات أو تظهر دليلا على تغير خبيث فيها. لذلك في كل مرة تصاب بالزكام يطلق جهاز المناعة فرقة "انتحارية" من الخلايا الباحثة - القاتلة التي ربما هاجمت الخلايا السرطانية أيضاً.
لذلك يجب أن تحترم أنواع الزكام التي تصيبك. في امكانها أن تسبب مرضاً خطيراً، لكنها جزء من عبقرية التطور في الطبيعة التي عبّر عنها الفيلسوف الالماني فريدريك نيتشه قبل قرن: "ان الذي لا يهلكني يزيدني قوة."

لويل بونتي



قيادة

أثناء درس القيادة جلست صديقتي الى المقود والمدرب الى جانبها. ثم أدارت السيارة وبدأت تبتعد عن حافة الطريق من دون اشارة ضوئية. فسألها المدرب: "ألم تنسي شيئاً يا آنسة؟"
فأجابت: "لا أظن ذلك."
قال: "حسناً، ألا تعتقدينها فكرة جيدة أن تعلمي الآخرين بما تنوين فعله؟"
فالتفتت اليه صديقتي وقالت ببساطة: "سأنطلق الآن. أيرضيك هذا؟"

ش.س.

ملاحظة أم

بعد سنوات تمكنت جارتنا من اقناع والدتها بإجراء جراحة لتصحيح إعتام عدسة عينها. ولدى عودة الام من المستشفى جلست أمام نافذة واسعة تشرف على بحيرة.
سألتها ابنتها: "أتلاحظين أي تغير في المنظر يا أمي؟"
أجابت: "بالطبع، ألا تمسحين الغبار أبداً؟"

ج.ل.

صور من الحياة

الدنيا أم

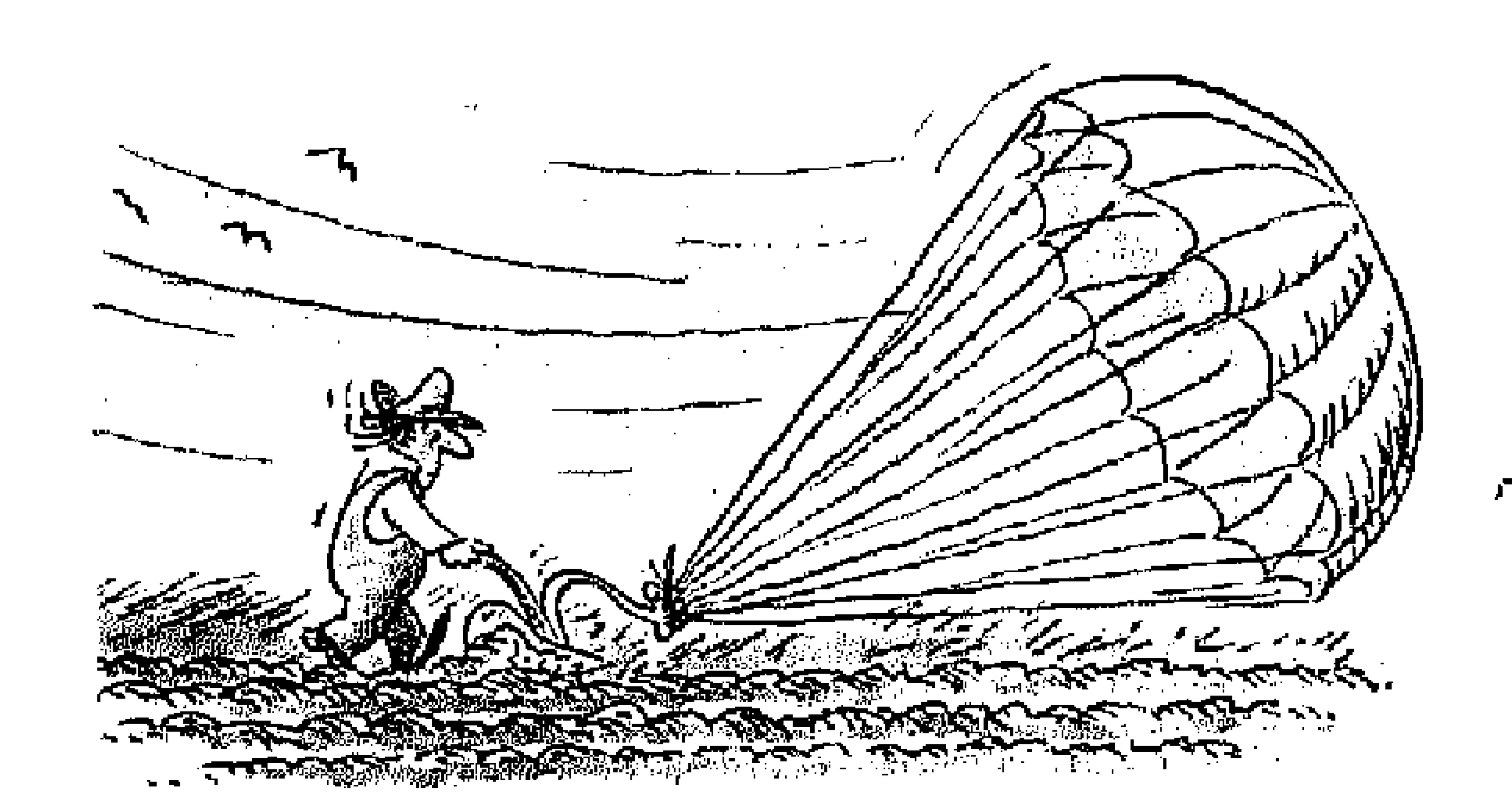
بعد نهار طويل مضنٍ قدت سيارتي عائداً الى البيت. وفي الطريق التقيت عجوزاً واقفة الى جانب سيارتها وقد فرغت احدى عجلاتها من الهواء. فأخذتني الشفقة عليها اذ تصورت أمي في الوضع نفسه، وتوقفت لمساعدتها. وبعد لحظات وصل مزارع شاب في شاحنته وتوقف ايضاً للمساعدة. قال لي وهو يعاونني في ابدال العجلة الفارغة: "انها تذكرك بوالدتك أيضاً، أليس كذلك؟"

ك.ل.

كلبة مطيعة

ساءني أن تتملك كلبتي عادة رديئة، وأنا مدرب محترف للحيوانات. فهي راحت تشد ثيابي المعلقة على حبل الغسيل وترميها أرضاً.
فعزمت على تلقينها درساً قاسياً. علقت فوطة بيضاء على حبل الغسيل، وكلما شدتها الى الارض نهرتها بشدة الى أن أقلعت عن عادتها.
وبعد اسبوعين علقت ثياباً على الحبل وذهبت لقضاء بعض الامور. ولدى رجوعي وجدت كل الثياب مرمية على الارض ما عدا الفوطة البيضاء.

ل.إ.



امنية اب

بعد تخرجي في الجامعة وحصولي على وظيفتي الاولى انتقلت الى شقة سكنية صغيرة. وفيما كان والداي يجولان فيها لاحظت ان أبي يشعل النور كلما دخل غرفة ويتركه مضاء دونما سبب. وسألته متعجباً عن ذلك، فأجابني مبتسماً: "لقد انتظرت عشرين سنة كي أزورك في بيتك وأترك كل المصابيح مضاءة!"

س.ف.

كبار وصغار

أنا مدرّسة. ويوم عيد ميلادي جئت بحلوى الى تلاميذي. واقترب مني صبي صغير سألني كم بلغت من العمر، فأجبت مازحة: "آه، كبيرة جداً، نحو ١٠٠ عام!"
"اما أخبرتك ذلك؟" قال تلميذ آخر واقف الى جنبه.

د.ج.

غَريق بَين القرش والأمَل

طفا الطيار الغريق في المياه العاصفة وسلاحه الوحيد سترة نجاة وراح يتهيّأ للمعركة مع الأسماك الضارية

مضت ساعة على بداية الرحلة من ناسو في جزر بهاما والتي تدوم ٦٥ دقيقة. وفي عزلة الطائرة الثنائية المحرّك راح والتر يات يحدّق بلهفة عبر المطر ليلمح مدينة ميامي في ولاية فلوريدا. ففي ناسو سلبه لصوص معدّات الملاحة، فما كان من يات (٣٧ عاماً) الذي يعمل مهندس طيران في شركة للنقل الجوي، إلاّ أن عزم على العودة متكلا على خبرته واحساسه، وفي حوزته بوصلة واحدة وجهاز لاسلكي يدوي.

بعدما اجتاز جزيرة أندروس اكفهرت السماء وراحت إبرة البوصلة تتذبذب باستمرار. فبحث يات عن معالم ارضية وقد خشي ان يكون انحرف عن خطه. كان يحلّق تحت الغيوم على ارتفاع ١١٠٠ متر، فرأى الامواج تتحطم على صخور قذر

Illustrations: Christopher Magadini



أنها السلسلة التي تقود إلى بيميني. فتبعها شمالا لكنه لم يرَ بيميني، ولم يعد يدري أين أصبح.

انقضّ يات على جهاز اللاسلكي وراح ينادي: "النجدة، النجدة!" فأجابته طائرة نفّاثة جمايكية متجهة إلى ميامي ونقلت نداءه إلى حرس الشاطىء الامريكي.

استجابت للنداء طائرة بحث من طراز "فالكون"، لكنها أربكت باستغاثة أخرى وتشوشت الموجات اللاسلكية بفعل العواصف الرعدية، فاستغرقت الطائرة نحو ساعة لتحديد موقع يات. وقبل أن يرى يات النفّاثة البيضاء والبرتقالية تخرج من الغيوم كان محرّكه الأيمن بدأ يفرقع وكاد الظلام يحلّ.

لكن قائد الفالكون الملازم ستيفن بلانكنشيب أكّد له: "سوف نهبط بك أيها الرفيق!" وأشار إلى شريط أرضي يصلح للهبوط الاضطراري في جزيرة كي سال في الجنوب الغربي. وحض يات على اللحاق به.

قال بلانكنشيب وهو يهبط الى علو منخفض فوق البحر المزبد: "اثبت يا والتر، عشرة كيلومترات ونبلغ الهدف."

فجأة توقّف محرك يات الأيمن ونفد الوقود فخرس المحرّك الثاني. واتجهت الطائرة نحو الماء. وسارع والتر إلى خفض الجنيح الاضافي المتحرك ليحد من سرعته صارخاً: "إنني أسقط!"

رأى بلانكنشيب أضواء تضرب الماء ثم تتوارى. فأمال طائرته جانبياً وانخفض ليستكشف الموقع فلم يعثر على أي أثر للطائرة المنكوبة أو للرجل.

وسلطت طائرة نقل كانت تحوم في المنطقة ضوءاً ساطعاً. فحلّقت الفالكون أربع مرات فوق الموقع ولم يرَ أفراد طاقمها أي ضوء أو خشبة نجاة ولم يسمع أي نداء استغاثة. فتأكدوا من موت يات. وضرب الطيار المساعد مايك فلاهرتي معيار الوقود إذ كانت الابرة تدنو من اشارة "فارغ."

وفي تمام السادسة مساء استدارت النفّاثة عائدة الى جزيرة كي وست. وقال بلانكنشيب بكآبة: "بذلنا ما في وسعنا. سنملأ خزان الوقود ثم نعود."

في خضم الامواج – أحسّ يات جبينه يصطدم بلوحة المفاتيح. ووثبت الطائرة ثم عادت فضربت الماء بقوة. اختطف يات سهمي استغاثة وتسلّق أحد الجناحين. ثم سحب عروة سترة الانقاذ لتنتفخ وراح يحدّق الى السماء. كانت أضواء نفّاثة خفر السواحل تتجه نحوه. فحاول إشعال أحد السهمين فلم يشتعل، أما الآخر فسحق في يده.

وأحسّ الجناح يغرق تحت قدميه ومقدم الطائرة يغوص في الماء. وبعد ثوان توارت الطائرة وبقي يات طافياً في مياه بلغ عمقها مترين.

كان يات اتبع تدريباً على النجاة في البحر، وأدرك أن عليه المحافظة على قوته. ولكن ما إن مضى نصف ساعة حتى بدأ يرتعش وتشنّجت ساقاه. وأدرك أن الامواج تحجبه عن المنقذين فراح يسبح في ما ظنه اتجاه جزيرة كي سال.

هبّت عواصف عنيفة فأزبد البحر. وما إن مضت ساعة حتى شعر يات بالضياع وراح أمله ينحسر سريعاً. وبدأ الهواء

يتسرّب من التجويف الايسر في سترته - من شقّ في درزة أنبوب النفخ. ثم أفلت الأنبوب ففرغ التجويف. لكنه أعاد نفخه من خلال الثقب وسد الفجوة باصبعه.

سبح يات في الموج البارد كيفما استطاع. وكان الدم يسيل من جبينه مخلّفاً رائحة تهتدي بها أسماك القرش المفترسة. لكنه أدرك أن لا بدّ له من المقاومة للبقاء على قيد الحياة، فالاستسلام انتحار. وراح يصلّي.

حاول يات تجنّب الغرق بتحريك قدميه إلى أعلى وإلى أسفل، وراح يعد سترة النجاة لتحمل وصيته الأخيرة إلى أحبّائه. فنزع شارة اسمه عن قميصه وحفر عليها بسوار ساعة يده عبارة: "المنزل لتريشا." كان يأمل أن يعثر عليها أحدهم فيفهم أنه ترك منزله في هومستيد بولاية فلوريدا لخطيبته تريشا لاندسديل.

وعلى ظهر الشارة حفر: "أحبكم يا أ.أ.ج.و.ت." وهي الحروف التي ترمز الى أمّه وأبيه وابنته جنيفر (١٢ عاماً) وابنه والتر (١٠ أعوام) وتريشا. كان يات مطلّقاً وولداه يعيشان مع أمهما في مدينة شاتانوغا بولاية تنيسي.

غرز الشارة بالسترة وتابع صراعه. كانت ساعته تشير إلى الثامنة مساء. فقال في نفسه: يمكنني أن أصمد الى العاشرة.

وقبيل انتهاء المهلة أحسّ يات بجسم قاس متحرّك يصطدم بقدميه. انها سمكة قرش!

راح ينتظر وقد دبّ فيه الذعر. لقد وجدتني. سوف تعود.

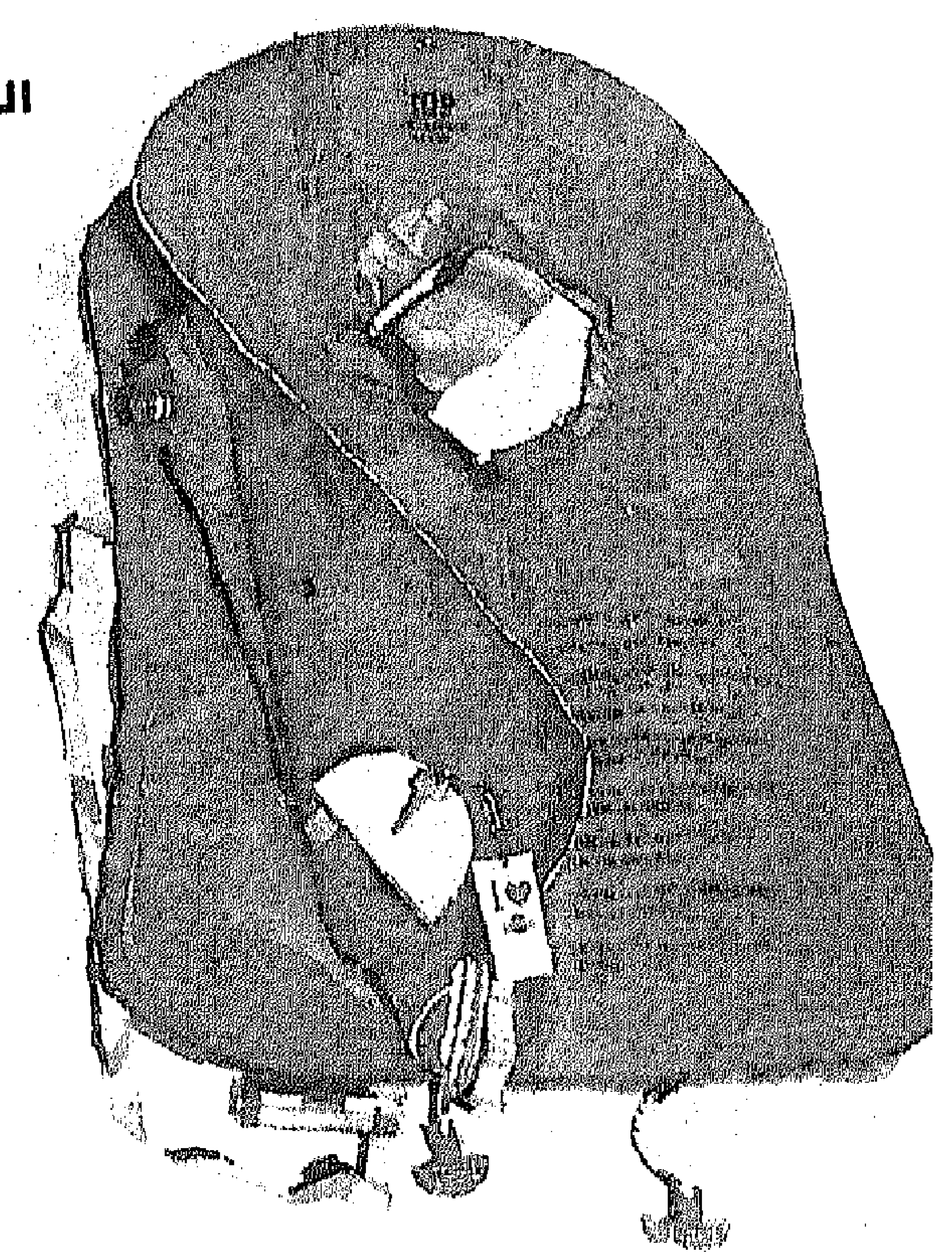
في العاشرة مدد المهلة لبقائه حياً الى الثانية عشرة ليلا. لكن الهواء بدأ يتسرّب من التجويف الايمن في سترته. ولما أفلت أنبوب النفخ أعاد يات نفخ التجويف وسدّ الثغرة بسبابته الأخرى مصارعاً ليبقي رأسه فوق الماء.

تمدد على ظهره وترك مياه المطر تنهمر على لسانه المتورم وعينيه اللتين حرقهما ملح البحر. ولمّا تفرّقت السحب لبرهة وجيزة رأى النجوم تومض في السماء. وبدا له أن إحداها تنفصل عن صاحباتها وتسدد اليه نورها. ربما أتت لتأخذني حيث عليّ الذهاب. يا رب، اجعل وفاتي سريعة.

مقاومة شرسة - في الجو غرباً، كان الملازم بلانكنشيب يصارع ليبقي نفّاثته ثابتة في طريقها إلى كي سال. فقد ملأ خزانها في كي ويست وعاد ترافقه طوّافة من سلاح البحرية مهمتها تسليط الضوء على منطقة البحث. لكن الرؤية كادت تنعدم وسط البرق والرعد والمطر الغزير. فأدرك بلانكنشيب أن متابعة الطيران قد تعرّض الطائرة والطاقم للخطر. فأشار إلى الطوافة واستدار عائداً من حيث أتى. سوف يعاودون البحث في الصباح.

وفي البحر كان السابح المرهق يتخيل سماء الفجر وقد ملأتها الطائرات الباحثة عنه. ولما حلّ منتصف الليل عزم على الصمود الى بزوغ الفجر.

وما لبثت لكمة على قدميه أن أوقعته في الذعر. سمكة قرش أخرى! وبحركة غريزية رفس الدخيلة المتطفّلة ساحباً يديه عن السترة. وسرعان ما تدفقت المياه عبر الفجوتين، ففار في الماء وهو



يحاول أن ينزع السترة إلى أن أفلت منها.

كفى! اجمع شتات أفكارك الآن! وفيما راحت السترة تغرق اندفع يات نحوها يائساً وأحسّ بأصابعه تلامس المطاط.

ثم طفا وهو لا يزال ممسكاً بالسترة وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يغطس وجهه ثانية وهو ممدود الذراعين. ورفس الماء رفسة تشبه فتحة مقص ليندفع إلى الأمام، ورفع رأسه فزفر ثم شهق. وأمضى نحو ساعة يكرر هذه العملية. بعد ذلك أحسّ بالهدوء يرجع إلى نفسه، فنفخ تجويفتي سترة النجاة وتعلّق بها وراح يطفو متقدماً وقد جعل حركة جسمه منسجمة مع تدفّق الامواج.

سوف أصمد إلى الفجر.

تحركت في نفسه شعلة أمل عندما لاحت بقعة حمراء في الأفق ثم ارتفعت في السماء. فراح يبحث عن طائرة لكنه لم يرَ لها أثراً.

وخفض نظره إلى المحيط فرأى أمامه مباشرة زعنفة ظهرية تشقّ العباب. وشعر بضربة على مرفقه الأيسر فصرخ واستدار في حين انساب نحوه جسم أصفر رمادي لسمكة قرش. لقد احتشدت الأسماك الضارية حوله وراحت تقدّر مدى قوّته.

"ما زلت حياً!" – استدار يات على ظهره، فتراءت له سمكة قرش ضخمة تدنو منه عبر الامواج الداكنة الزرقة. غاصت بعنف ثم هجمت على ساقيه. فسحب يات قدماً ورفس السمكة بحذائه بين عينيها. فابتعدت عنه ستة أمتار وراحت تدور. فصاح فيها: "لست مستعداً للموت بعد." وارتدت عنه سمكتا قرش أخريان من جرّاء رفساته المسعورة. لكن قرشاً ضخماً لامسه بحركة رشيقة، فأخطأت قدمه الخرطوم الضخم وضربت الزعنفة فانحرف القرش.

وما لبث يات أن رأى ذيلا فضي الزرقة يشقّ الماء. إنها سمكة قرش من تلك التي تسبح بسرعة ١٥٠ كيلومتراً في الساعة. شدّ أعصابه منتظراً الضربة الصاعقة وراح يراقب القرش هاجماً عليه. كانت عينا الحيوان الضاري الخاليتان من كل تعبير تحدّقان مباشرة الى عينيه. وفي ومضة برق اختفى القرش.

أحسّ يات وهناً شديداً. وأدرك أن أسماك القرش قد تشعر بضعفه، فاذا ما سمح بالعضة الأولى تهافتت عليه المجموعة مسعورة.

وحوّل نظره هدير بعيد إلى اليسار، فرأى نفّاثة تابعة لخفر السواحل ما لبثت

أن توارت. لكنها عادت فظهرت بعد دقائق، فأدرك أنها تبحث عنه.

لما أصبحت الطائرة على بعد كيلومتر لوّح يات بسترته البرتقالية. فاقتربت الطائرة إلى أن أصبحت فوقه تماماً. فراح يلوّح باهتياج.

في الطائرة كان بلانكنشيب ينظر إلى أسفل آملا تحديد موقع حطام الطائرة. فجأة لمح رجلا تكاد الامواج تغمره وهو يلوّح بسترة نجاة. فضرب مفتاحاً الكترونياً ليحدد الموقع وهتف: "في الماء رجل!" وسارع إلى الاتصال بزورق خفر السواحل الذي كان يبعد ١٢ دقيقة.

أسقط مايك فلاهرتي قذيفة دخانية ليرشد الزورق، فرأى يات يسبح متجهاً إليها وفي إثره ظلّ أسود ضخم. فسارع بلانكنشيب إلى الاتصال بالزورق: "أسرعوا إن قرشاً يطارد الرجل!"

لم يكن يات يرى إلّا ومض القذيفة الفضي. لماذا لم يرموا اليه طوف نجاة؟ ولم تمضِ دقائق حتى أتاه الجواب اذ رأى زورقاً يمخر الموج متجهاً نحوه.

وفيما الزورق يقترب أدليت من جنبه سلم، فالتقط يات درجة عليا وتوقّف عاجزاً عن التسلّق.

فصرخ أحدهم: "إرمِ السترة." فأجابه يات بصوت أجش: "أبداً، فهي تذهب حيثما أذهب."

وأفلح أخيراً في التسلّق. كان منتفخ العينين مرتعش الأطراف، فجثا وقبّل ظهر الزورق. كانت الساعة التاسعة صباحاً. لقد أمضى ١٥ ساعة سابحاً في المحيط.

في الجو ربّت فلاهرتي كتف الطيار. فافترّ هذا عن ابتسامة عريضة: "لقد استحق ذلك عناءنا."

في ذاك اليوم أجرى يات فحوصاً طبية في مستشفى كي وست، ثم أخذه والداه إلى منزله في هومستيد حيث جلس لساعات عدة مع خطيبته تريشا. وكان يردد: "لا أصدق انني ما زلت حياً!" ثم غفا وتريشا تمسك يديه وسترة النجاة على السرير بجانبه.

بيتر مايكلمور



العمر المثالي!

بعد انتهاء محاضرة جامعية فتح باب الحوار، فقال أحد الطلاب ساخراً: "أنا لا أثق بمن تجاوز الثلاثين، ما رأيك يا أستاذ؟"

فرد المحاضر: "أنا لا أثق بأحد دون الثلاثين، إذ تنقصه الخبرة ويظن نفسه أفهم الناس ويجهل تواتر الأحداث. كما اني لا أثق بأحد تجاوز الثلاثين، إذ تنتابه هواجس الأمور المادية."

فسأله الطالب: "وكم عمرك؟"

فأجاب: "أنا في الثلاثين."

و. ف. و.

الزحفُ الأخضرُ

حيثما يشيّد الانسان عماراته تشن النباتات حربها الصامتة لاسترداد الارض



عذراء من حجر قرب البندقية نبت عليها الطحلب.
فوق، نافورة ماء قرب روما تغطّيها طبقة كثيفة من "غزاة المدن."

إن الذين يعيشون في مدن تضجّ بالسيارات والحافلات وورشات البناء يستخفّون بالحضارة. انهم يجهلون أن المدن عالقة في كفاح أبدي ضدّ قوى طبيعية عدوة قد تحوّلها ركاماً، كالعواصف والفيضانات والبَرد والمطر. ووسط هذه القوى تحتل النباتات المرتبة الأولى، انها كتيبة التدمير الحية.

ولعلّ المدن الاستوائية هي أفضل المناطق التي تمكن فيها مشاهدة الاجتياح النباتي. ففي سان هوسيه بكوستاريكا، مثلاً، تحتل الجحافل الآتية من الادغال القريبة، من طحالب وجنبات وأشجار، أمكنة غريبة كالسقوف والميازيب وأبراج الأجراس والتماثيل والسيارات المتروكة. لقد رأيت قبل

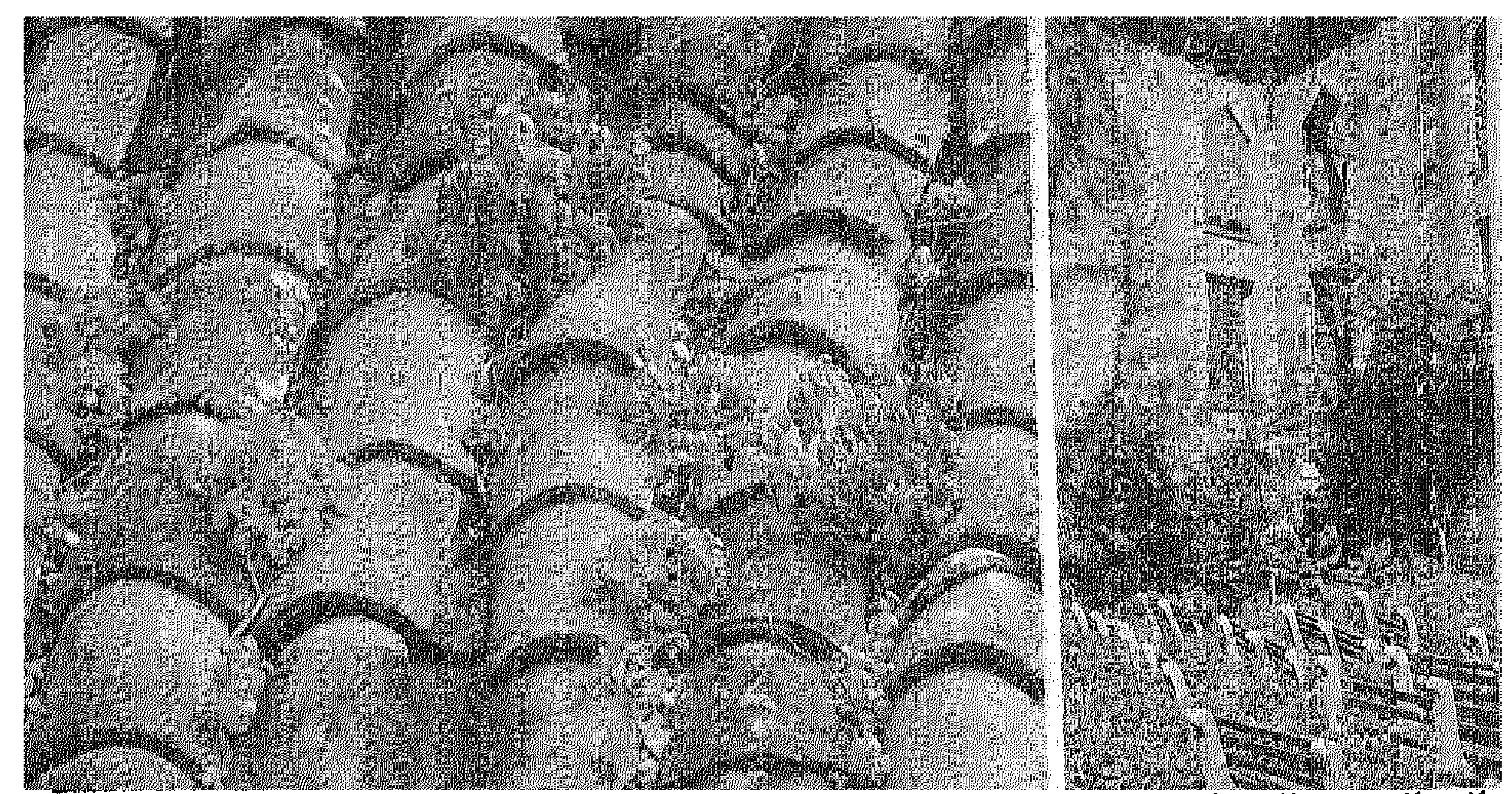


سنوات مباني عالية ينبت الخنشار (السرخس) بين طبقات واجهاتها.

الهجوم النباتي الاكثر شيوعاً يحصل جواً. فالجو مليء بأبواغ(★) بالغة الصغر من طحلب وفطر تحملها الرياح فتحطّ كمظليين في أنحاء العالم. أبواغ الطحلب قد تتكيّف وجو نيوزيلندة وتحط في جبال الأنديز. ومن النباتات ما يلتمس ركوب أجنحة الطيور أو اجتياز المسافات محمولاً على فرو الحيوانات أو في نعال أحذيتنا.

في غالب الأحيان يكون الطحلب الازرق المخضر أول نباتات المباني الواصلة. فيؤمن بعضاً من المواد الغذائية و"يستصلح" أرضاً قاحلة لكائنات أكبر كالخنشار الذي يلتقط الغبار والنفايات بكتل جذوره.

(★) البوغة أو الفبيرة (spore) حبيبة تكمن فيها حياة نبتة جديدة من الطحلب أو الفطر أو السرخس.



الى اليمين، الايلنطس العدواني يتشبث بجدران مستشفى مهجور في جزيرة روزفلت بمدينة نيويورك.
الى اليسار، نباتات برية اتخذت موطئاً لها في سقف بيت في سان هوسيه بكوستاريكا.

يمكن النباتات أن تتخذ أي شيء موطئاً لها، من الزجاج الى ورق الجدران. ويبدأ هذا "الاحتلال الأخضر" في كلّ مكان تستقر فيه البشرية، من خط الاستواء إلى القطب الشمالي. فنبتات الفطر والطحلب "تذوّب" أي مساحة بموادها الكيميائية للحصول على غذاء. أما السلاح الامضى الذي تملكه النباتات فهو الجذور التي تشق طريقها عبر التفسخات البالغة الصغر وتكتسب قوة رافعة مروّعة يمكنها أن تفصل القرميد وتقتلع الاسمنت والاسفلت. وعلى مدى السنين تنهار المباني المهجورة وتتحلل موادها التي صنعها الانسان.

توفّر المدن فرصاً أكبر للنباتات. فعلى سطوح المباني أماكن ينبت فيها الخنشار والعشب "المتخصصان." وتؤوي الأرصفة طحالب وأعشاباً. وتتعرض الطرق والسكك الحديد لهجمات الهندباء والفطر والأشواك التي تلوي الاسفلت ببطء. أما شجيرات عصا الذهب والخرنوب فقد تحول موقع مصنع مهجور حقلا في غضون خمسة أعوام.

ما زالت النباتات تشنّ حربها منذ ألوف السنين. وهناك مدن "مفقودة" منتشرة في الغابات العذراء جنوب شرق آسيا وفي أمريكا الوسطى والجنوبية. ونعلم اليوم أن تلك المناطق الاستوائية سندت الحضارات التي طمرتها النباتات الغازية قبل زمن بعيد.

واليوم يتكهن بعضهم بأن معظم الغابات الاستوائية ستختفي قبيل السنة ٢٠٠٠، وهذه الاكتشافات تذكّرنا بأن الادغال كانت ناشطة وعنيفة. يبقى أن نراقب مدى قدرتها على الصمود أمام هجمات الانسان العصري وتكنولوجيته. لكننا الآن مرتاحون الى رؤية المدن تقطنها أنواع شتى من الحياة النباتية الرائعة.

دونالد بيري وسيلفيا مرشل

Left photo: Donald R. Perry; Right photo: Andreas Sterzing

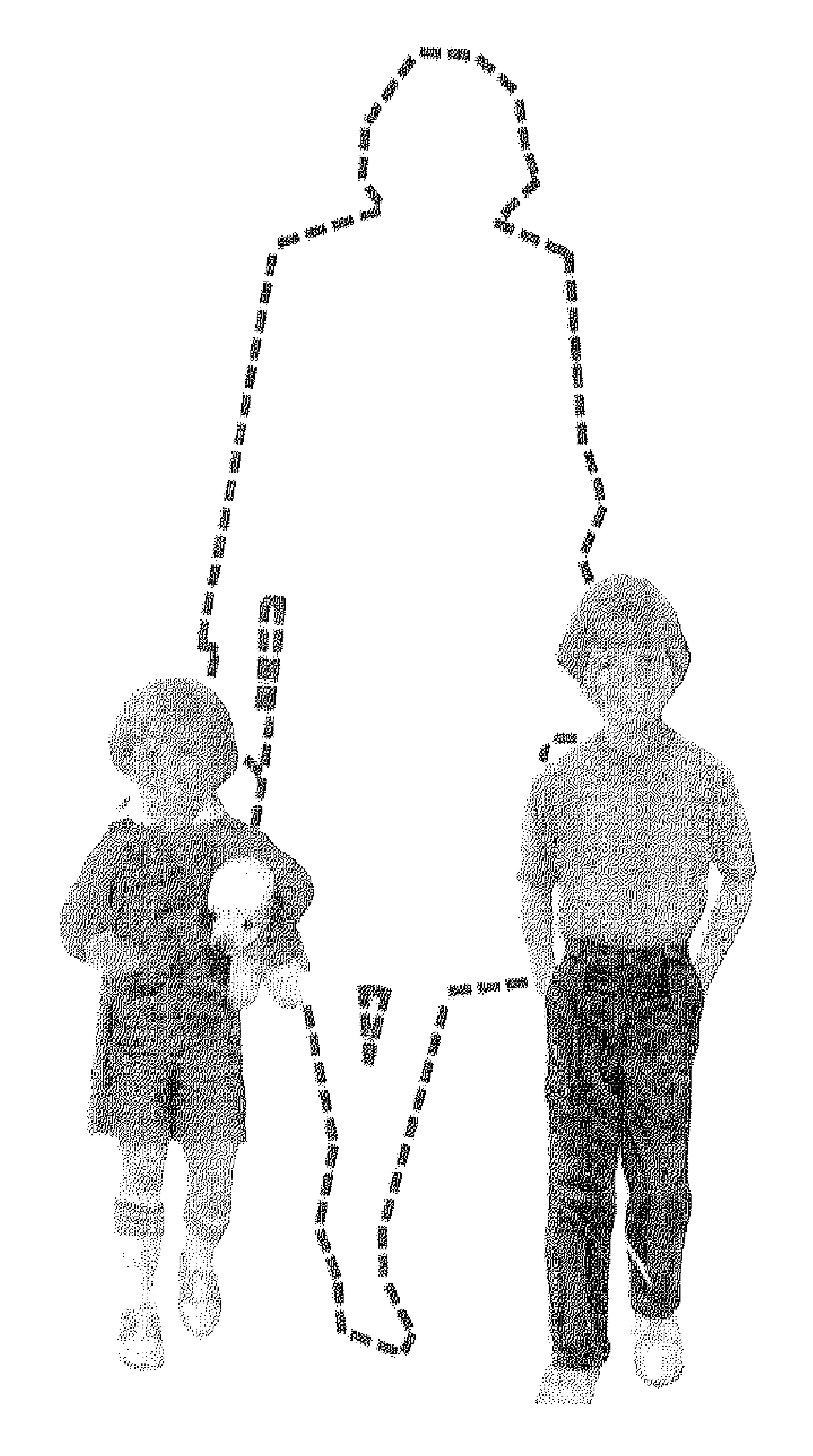
يسألني كثيرون: "ماذا تفعل امرأة ذكية مثلك في البيت؟" فهل تريدون أن تعرفوا أنتم أيضاً؟

أم ذكية



لم أكن أنوي البقاء في المنزل. فقبل ولادة طفلي الأول كنت أعمل بدوام كامل في مؤسسة قانونية. كانت وظيفتي مغيظة أحياناً لكنها مسلية تستهلك طاقتي على نحو مفيد.

بعد ولادة ابني وجدت نفسي في الثالثة والثلاثين من عمري عاطلة عن العمل أمضي الوقت متجولة في أنحاء المنزل حاملة طفلي في محاولة لوقف بكائه وغاضبة لأنه يمنعني من تأدية أعمال كثيرة. وأفتقدت وظيفتي وأصدقائي فأضحيت هزيلة القوام منهكة الملامح. وهكذا، على غرار النساء الاخريات، عقدت العزم على العودة الى العمل.



ووجدت وظيفة جديدة في محطة للتلفزيون، فعدت أتمتع بالحياة. وقررت أن أرعى طفلي في المساء وفي نهاية كل أسبوع وأمنحه عناية فائقة، وأن أبحث عن شخص رائع يعتني به أثناء النهار.

بحثت بدقة عن مربية للأطفال. ولحسن

Condensed from «What's a Smart Woman Like You Doing at Home?»
by Linda Burton, Janet Dittmer and Cheri Loveless,

حظي عثرت على سيدة بدت لي جديرة بالمهمة. لكنها لم تبقَ في وظيفتها إلا شهراً.

لما عدت الى العمل اكتشفت أموراً عدة: انني لا أستطيع ايلاء طفلي العناية اللازمة في المساء لأنني أصل مرهقة الى المنزل، ثم انني أفتقده خلال النهار. فتخليت عن عملي موقتاً لألازمه، ورحت في الوقت نفسه أبحث عمن يعتني به. بحثت طوال سنتين ولد خلالهما ابني الثاني.

في البداية أردت مدبرة منزل أو مربية تحوط طفليّ بعناية مستمرة. لكن المدبرات والمربيات يطلبن أجراً باهظاً يقضم مقداراً وافراً من راتبي. وإلى ذلك بدا لي من خلال المقابلات التي أجريتها أن نسبة كبيرة من اللواتي طرقن بابي غير مؤهلات للوظيفة.

وتعلّمت أيضاً أن بعض المدبرات والمربيات المؤهلات نادراً ما يبقين في العمل مدة طويلة. وكنت أريد أن يتعلم طفلاي الثقة ويشعرا بأن من يعتني بهما لن يفارقهما.

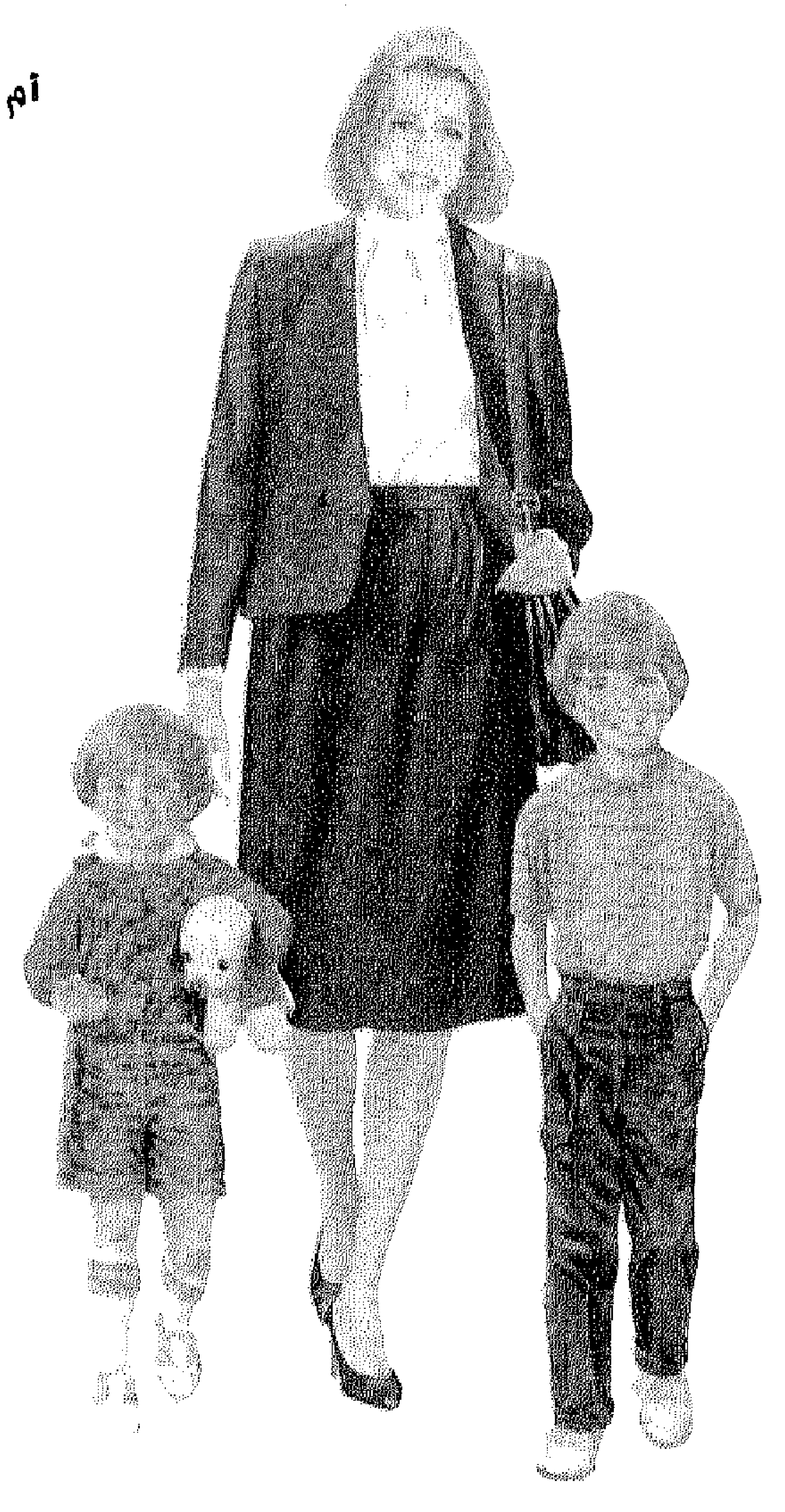
وقررت أن أخوض تجربة وضع طفليّ في منزل تعتني بهما صاحبته خلال النهار. وبدا لي هذا الخيار جذّاباً اذ ينعم ابناي بجو عائلي وبرفقاء يشاركونهما في اللعب. غير أن آمالي أحبطت بعد كل تجربة.

فالمشكلة الكبرى التي واجهتها تمثّلت في الازدحام. كنت أترك طفليّ برعاية حاضنة تؤكد لي أنها تعتني بعدد قليل من الاولاد، وحين أزورها على حين غفلة أجد بعض الاولاد مهملين. وذات مرة وجدت الحاضنة "الرائعة" التي أوصى بها أصدقاء لي نائمة على أريكتها وحولها أحد عشر طفلا هائمون حول جهاز تلفزيون مضاء، علماً أن الحاضنة كانت ادعت أنها لا تعتني الا بخمسة أطفال.

واكتشفت مشكلة أخرى هي أن الحاضنات عموماً أمهات يعتنين بأولادهن وبأطفال آخرين لزيادة دخلهن. ومن الطبيعي أن تستجيب المرأة لأولادها أسرع مما تستجيب لأولاد الآخرين، وإن تكن صاحبة عزيمة صادقة. وخشيت أن تُكبت فطنة ولديّ وحبهما للبحث والاستطلاع مع شخص لا يستجيب لهما جيداً على رغم لطفه. وخلال زياراتي للحاضنات اللواتي يعتنين بالأطفال في منازلهن لاحظت أن علاقتهن بولديّ تختلف عن علاقتي بهما، عندما يحاولن مثلا حل خلافاتهما واجابة أسئلتهما أو تجاهلها.

وأدركت رويداً رويداً أن تربية الاطفال لا تتمثل في الرعاية الوصائية فحسب. ثم ان طفليّ شرعا يتعلّمان دروساً ويختاران بين احتمالات شتى ويوجّهان بتصرفات انسانية صغيرة متكررة. ودبّ فيَّ القلق، فقد تترسّخ في نفسهما انطباعات يتعذّر محوها حول مكانتهما في العالم وعلاقتهما بالآخرين وقيمتهما الذاتية.

وأخيراً أدركت أنني حين أكون في المكتب لا أعرف حقاً ما يجري لولديّ. فابني الصغير لا يستطيع الكلام، وأظنّ أن اخاه قد يتعرّض لتهويل يمنعه من التحدث عما يزعجه. ويحرجني الاعتراف بأنني عندما كنت أغادر العمل تعبة



ومرهقة لم أكن أرغب في مواجهة متاعب اضافية من ولديّ.

وتقصيت أيضاً دُور العناية النهارية. فروّعني ما اكتشفت. فالعاملات في معظم الدور لسن تلك النماذج المثالية المحبّة الحنونة المثقفة التي تصفها بيانات تلك الدور. ويحظى بعضهن براتب زهيد وثقافة ضئيلة واهتمام سطحي بالعمل.

لا أقول إنني لم أجد مربيات رائعات يكرسن أنفسهن للعناية النهارية بالاطفال. لكن اثنين من المديرين الستة الذين تحدثت اليهم نصحاني بأن أبذل قصاراي للبقاء في المنزل مع ولديّ فلا ألجأ الى العناية الخارجية إلّا كملاذ أخير.

في الوقت المناسب لقنني بحثي عن رعاية الأطفال درساً لا ينسى: مهما حملنا من شهادات ووضعنا من ارشادات ودفعنا من مال، فنحن نعجز عن ضبط قدرة الانسان على حبّ انسان آخر والاعتناء به.

أنا كنت أبحث عن شخص محب حنون يتمتع بروح النكتة وبحيوية ونشاط، شخص يشجّع روح الابتكار في ولديّ ويصطحبهما في نزهات مشوقة ويجيب عن أسئلتهما الصغيرة كلها ويهدهدهما حتى يغفوا. وتوصلت ببطء الى ادراك مذهل: الشخص الذي أبحث عنه هو بين يدي، وأنا أسعى يائسة الى استخدام نفسي.

هذا ما تفعله امرأة ذكية مثلي في البيت.

ليندا بورتون

حسابات نفسانية

قال الطبيب النفساني لمريضته: "أنت تصرفين ٥٠ في المئة من طاقتك على عملك و٥٠ في المئة على زوجك و٥٠ في المئة على أولادك. أظن أني عرفت مشكلتك."

ر.غ.

قصة قصيرة

كتيبة الدّراق الأحمر



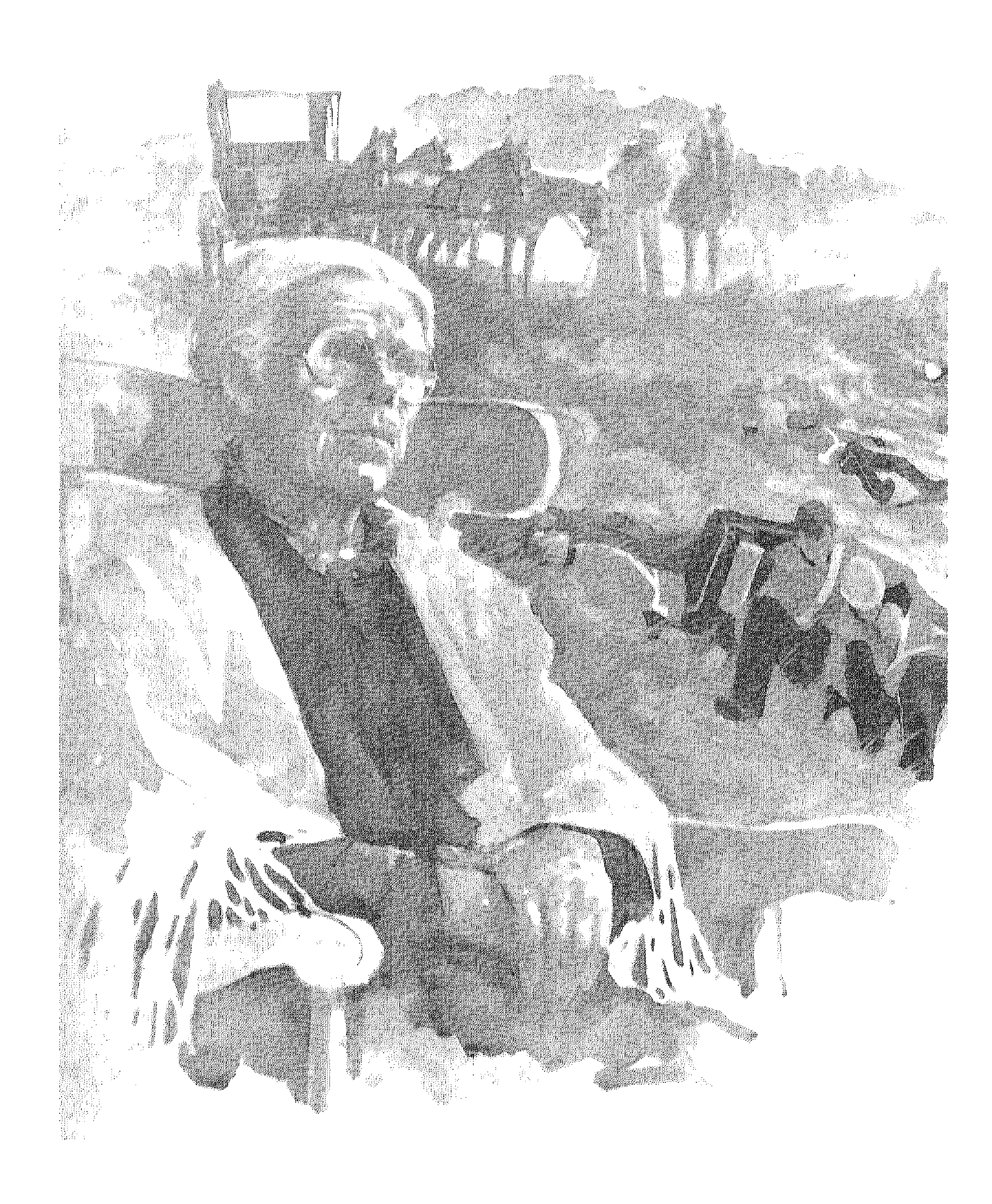
رأت ما حدث: رجالا في ثياب حمر وخيولا وغباراً وأشجار دراق

اعتادت السيدة برينين تنشق السعوط. وكان ذلك يسبب لها سعالا. لكن أسف أسرتها لتعاطيها السعوط زادها تمسكاً بعادتها. كان الناس يدعونها "مجنونة" في غيابها و"غريبة الاطوار" في حضورها. انها لا تقر بأنها مجنونة لكنها لا تنكر أنها غريبة الاطوار. أجل، ان تكن غرابة الاطوار تكمن في حب الجلوس على الشرفة في الشمس والتحدث عندما تود ذلك.

ثمة كلام كثير يسود العالم، لذلك كانت تصرف أياماً من دون كلام. وكان الناس يسمون ذلك إحدى نوباتها. ولكن بلغ من انشغالها في التفكير أنها لم تأبه لافكار الآخرين عنها. قالت: "دعوهم يتحدثون عني، لو رأوا ما رأيت للبثوا صامتين."

وتناولت حفنة أخرى من السعوط. انسل بعضه بين أصابعها متساقطاً على ثوبها الصوفي الاسود. نفضته بأناملها واستدارت لمشاهدة ثورين يتوقفان أمام المخزن.

تساءلت السيدة برينين عن عدد العربات التي رأتها تتوقف منذ وصلت عروساً إلى مخزن برينين. ألوف من العربات، وألوف من الرجال أيضاً، راجلين أو خيّالة أو ركوباً في عربات مغطاة. وها هم الآن يأتون في سيارات.



العمال يفرغون العربة. ذرة. حفيدها جورج يشتريها. كان يدفع الكثير ثمناً لها. صاحت به: "لا تدفع عشرة شلنات للكيس الواحد. لا تدفع أكثر من ثمانية، واختبرها."

أسرّت: لولاي لما اختبرها. راقبته وهو يدس في الاكياس مدية ذات ثلم أجوف ثم يفرغ البذار في كفه. هرعت الدجاجات لتلتقط الذرة المتساقطة على الأرض. وازدردت إحداها حشرة على قائمة أحد الثورين.

راقبت العربة اذ غادرت المكان. صرخ السائق وضرب سوطه. لقد فرغت العربة من الثقل الذي يحفظ توازنها وتحركت بجلبة. ندّ عن احدى العجلات صريف حاد. وفكرت السيدة برينين: ينقصها شحم، كان ينبغي أن يلاحظ جورج ذلك ويبيعه بعض الشحم.

حدّقت الى الطريق. كانت ترابية حمراء مغبرة وذات عرض كاف لسوق الثيران. تحاذي جزءاً منها أشجار زرقاء باسقة تفرز صمغاً، غير مرتبة يتدلى لحاؤها من الجذوع مزقاً بيضاء. وهناك مخزن القوارير وحانوت الصيدلي ومصرف "ستاندرد" والمخزن الهندي والبيوت البيض ذوات السقوف الحمر التي تصغر وتزداد حقارة مع تقدم الدرب.

سبعون عاماً، زمان طويل اذا مكث المرء في مكان واحد. لقد سئلت مراراً: "لم لا تسافرين؟" السفر! لم الارتحال بحثاً عن الحياة فيما هي تصطخب حول المرء اذا كانت له عينان ليرى ولبث زمناً كافياً؟

توقفت سيارة أمام المخزن وترجل منها شاب في يده رسالة. نظر إلى اللافتة خارج المخزن ثم صعد إلى حيث كان جورج وأعطاه الرسالة. بدا انكليزياً. وثمة أمر مألوف فيه، كانعطاف رأسه أو طريقة مشيه.

سمعت جورج يقول: "ربما تعلم. لكن التعامل معها صعب، تأتيها نوبات."

وهذا أحد الاوهام التي انخدع بها جورج، أنها صماء، كانت تمقت أن يصرخ في وجهها، لكن الأمر كان يستأهل ذلك اذ اتاح لها سماع أحاديث جانبية.

"قبليني يا أمي"

قال جورج: "أعرفك بالسيد فاين القادم من بريطانيا يا جدتي."

مدت يدها قائلة: "اني أتبين أنه من بريطانيا. انظر إلى جزمته." بدا شاباً لطيفاً أحمر الشعر ذا بشرة نضرة بالغ النظافة والاشراق.

سألته: "ماذا تبغي؟"

قال: "الأمر متعلق بأبي. فأبوه، جدي، قتل بالقرب من هذا المكان مع الكتيبة ٣٠١. واني لأتساءل هل من أحد يخبرني عما حدث. أتذكرين أنهم قدموا إلى هنا؟ كان ذلك في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨٠؟"

قالت السيدة برينين: "طبعاً، اني أذكر ذلك. كان جون، والد جورج، عليلا آنذاك. وخفنا أن يموت. ثم أتوا. قبليني يا أمي! هذا هو اللحن الذي كانوا يعزفونه فيما هم يتقدمون. ولكن ماذا تريد أن تعرف أيها الشاب؟"

أجاب: "أود أن أعرف كيف حدث ذلك. كان جدي آمر الكتيبة ٣٠١. وهو قُتل.

يقولون أن اللوم يقع عليه، وانه كان غير كفي. أبي عجوز الآن وهو يطيل التفكير في الأمر مكتئباً يريد أن يعرف ماذا حدث. انه طاعن في السن."

قالت السيدة برينين: "أنا مسنة أيضاً، واني أعرف ما حدث وأطيل التفكير فيه. أدعو ذلك تفكّراً. هو جدك إذاً. لذلك خيّل الي أني رأيتك من قبل. لقد رقصت معه تلك الليلة. رقص جيداً. أقمنا لهم سهرة في المستودع القديم."

وأومأت برأسها إلى المستودع القائم خلف المبنى العالي: "أخرجنا كل شيء: المحاريث والمنسوجات وسواها. كانوا آتين من ليدنبره ومتوجهين الى بريتوريا. لم يخطر لهم أن حرباً ستنشب. قالوا إن مجزرة ستقع اذا نشبت الحرب. البوير (*) ضد الجند المدربين أشباههم."

طبور ودراق

كانت السيدة برينين رأت كل ما حدث. رأتهم يتقدمون على أنغام "قبليني يا أمي." قذف قارع الطبل عصاه، أمسكها، لوح بها. رجال في ثياب حمر. موكب متصل من الفتيان في أثواب حمر. ضباط، راكبون، شاحنات مقعقعة، بغال، متاع، عربات تجرها الثيران، كلاب تتعقب الكتيبة بألسنة متدلية.

ساد المرح بلدة برننزدورب اذ عجت بالجنود ليوم واحد. احتشدوا في كل مكان. يسيرون ازواجاً أو يقفون جماعات أو يستلقون على ظهورهم في ظلال أشجار الصمغ. رأتهم يغتسلون بالدلاء. صدورهم الفتية عارية وشعورهم مبللة وعيونهم متغضنة بماء الصابون.

وكم جهدوا لتفريغ المستودع. بذل كل واحد منهم يد العون. رموا دقيقاً على الأرض لتغدو صالحة للرقص. وجاء العقيد ليشكرها.

قال: "أشكرك يا سيدة برينين. لطف منك أن تقدمي الينا تسلية على هذا النحو."

كان العقيد فاين معجباً بها. رأت ذلك في عينيه. قال: "بلغني أن صغيرك عليل، أترغبين في مقابلة النقيب بول، طبيبنا؟"

كانت رأته من قبل، رجلا عطوفاً. وهو حضر لتوه في جزمته المغبرة ووجهه ما زال مبتلا. قال: "سأمكث معه يا سيدة برينين." ولبث مراقباً حاله الى جانب السرير.

كانت الحفلة الراقصة حدثاً مهماً. أخذت الفرقة الموسيقية في الكتيبة تعزف لحناً اثر لحن. وعج المدخل بالاولاد المتفرجين. ارتفع الغبار والدقيق عن الأرض سحباً والتصق بملابس الفتيات وشوارب الرجال. صدحت الموسيقى وعلا الضحك.

ليت جوني ينمو فيغدو قوياً ومعافى كهؤلاء الضباط. ليته... واستأذنت للانصراف وهرعت لتراه. كان النقيب بول نائماً والطفل غافياً أيضاً ويده في يد الجندي. لكم بدا تعباً!

في الصباح تحسنت حال جوني. قال الطبيب: "سيبرأ من مرضه." وحضّر له عقاراً في زجاجة شراب. وتساءلت هي والسيد برينين عما يعطيان الطبيب من أجر، فليس في وسعهما أن ينقداه مالا.

(*) البوير جنوب افريقيين من أصل هولندي.

قال جوني: "أعطياه قفص طيوري." كانت طيوره جميلة: حساسين وعنادل وكنارات. حملت القفص إلى النقيب بول وقالت: "انها هدية من جوني." ووصل السيد برينين في تلك اللحظة ومعه صندوق شراب. ووضع القفص والصندوق في عربة الطبيب.

قال العقيد فاين: "صباح الخير يا سيدة برينين. سررت اذ علمت ان صحة صغيرك في تحسن."

خلف العقيد سارت عربة يجرها حمار، موسوقة بالدراق الأصفر. وحين وصلت تجمهر الجنود حولها وهم يلتهمون ثمار الدراق ويملأون جراباتهم ليأكلوا منها أثناء سيرهم. وضحك العقيد كثيراً.

قال: "الفاكهة مفيدة لهم."

قالت: "موسم الدراق جيد هذا العام. كل الشجرات في المنطقة تنوء بحملها."

ثم تردد صدى الابواق. صاح الرقباء ذوو الثياب الملونة: "اصطفّوا! الكتيبة ٣٠١ راحلة."

عزفت الفرقة الموسيقية لحن "قبليني يا أمي." وكأفعى حمراء تمايل الجند خارجين من القرية في سحابة غبار.

برك حمراء

كانت جالسة مع جوني عند وقوع الحادث. رأت فارساً آتياً من أسفل الشارع، جندياً جريحاً يمتطي صهوة فرس ضابط. الحصان مبلل بالعرق والزبد وعيناه مسعورتان. كان فرس العقيد فاين.

كبح الجندي جماح الحصان وكاد يقع عن صهوته.

قال: "أرسلني الطبيب لآتي بالنجدة. لقد هلكوا جميعاً. طعنوا حتى الموت. المجموعة كلها. نحن مشينا الى الموت. العقيد قتل. أخذت فرسه." وشرع ينتحب. "يا للمجزرة!"

كان صبياً. أخذته بين ذراعيها والدم من جرح عنقه ينساب على كتفها. فجأة جلس منتصباً وقال: "ضمادات وكحول وطعام. هذا ما قاله الطبيب. لا ضمادات لدينا."

أسرع السيد برينين يحمّل العربة. ذلك أول ما يمكن فعله، وستعقبها عربات أخرى. هرعت إلى البيت لاحضار ملاءات ومناشف وحشيات وكحول. وسرعان ما أفرغ المنزل والمخزن من كل ما يفيد.

ارتقت العربة وجلست إلى جانب زوجها. كانت أعدت أربعة جياد بدلا من اثنين. ثم انطلقا وهما يترجحان في الطريق المحفرة. ارتفع الغبار سحباً طامساً كل شيء، مما حجب عنها الرؤية فلم تر سوى آذان الخيل وأعرافها.

ثم وصلا. أجفلت الجياد وكبح لجامها وكادت تتعثر بعربة منقلبة. لقد رأت المشهد كاملا: الأرض المتموجة، الأشجار إلى جانب الطريق، كثير منها أصيب بالرصاص. الدم في كل مكان، ينساب من خلال شقوق الطريق المنحدرة إلى برك حمراء.

لفّا جثث الرجال في ملاءات ودفناها حيث سقطت إلى جانب الطريق. وقرب كل جثة ثمار دراق تساقطت من أيدي الرجال اذ هوجموا. لقد دفن أفراد الكتيبة ٣٠١ مع دراقاتهم.

رأت قفص طيور جوني. كان محطماً والطيور طليقة.

قالت السيدة برينين وهي ترفع بصرها: "أجل، هذا ما حدث للكتيبة ٣٠١. طيور طليقة ورجال أموات مدفونون حيث سقطوا."

قال فاين حائراً: "ولكن..."

انها لم تلفظ كلمة. انها جالسة منذ نصف ساعة ورأسها خارّ على صدرها.

نظرت إلى حفيدها عاتبة: "ويظنون أن ليس في وسعي أن أتذكر. اني أتذكر كل شيء، حتى الاسماء."

قال جورج: "هذا ما كنت اخشاه، انها احدى نوباتها."

جلس الرجلان صامتين وهما يحدقان الى العجوز. انسابت الدموع على وجنتيها متتبعة خطوط وجهها ثم قطرت على ثوب الصوف الملطخ بالسعوط.

قالت: "دراق الجنود نبت من جيوبهم."

سألها فاين: "من جيوبهم؟"

فتدخل جورج: "انها تعني جراباتهم."

– ثمة شجرات اذاً.

– "أجل، ثمة شجرات، كثير منها."

– ودفنوا حيث سقطوا؟ أتعرف المكان جيداً؟

"الجميع يعرفونه. كل الاطفال يقطفون الدراق من هناك. الاشجار تنمو على هذا المنوال. ورسم جورج باصبعه شكلا على غبار الرواق.

"هنا معظم القتلى. وهنا تلقوا الضربة الكبرى. لقد دفنوا إلى جانبي الطريق. وها هنا سقط الكشافة." ورسم نقاطاً مبعثرة.

قال فاين: "اذاً ثمة كشافة خرجوا للاستطلاع. لم تكن غلطة جدي اذاً."

قال جورج: "لم تكن غلطة أحد. كان البوير مختبئين وتريثوا في اطلاق النار."

ضحك فاين وسأل: "أيمكننا أن نذهب إلى هناك غداً؟ سأرسم الخريطة لابي. أبي المسكين. ليته عرف بذلك قبل سنين. انه جاء إلى هنا مرة واحدة ولم يعد لأنه خاف مما قد يجد."

قال جورج: "اننا ندعوه دراق الجنود. ولكم وددت لو أنها اخبرتك القصة، فأنا سمعتها مئات المرات. لكنها عجوز، ولها نوبات."

فرفعت جدته بصرها وقالت: "اني أذكرها كأي شخص آخر." وأشارت إلى فاين: "اني أذكر جده. كان رجلا رائعاً. كان ثمة رجال رائعون أيامذاك."

تأبط جورج ذراع فاين قائلا: "تعال إلى منزلي، وسنذهب في الغد."

ستيوارت كلويت

اقتصاد

ظل الصبي طوال سنوات يسمع أباه يشيد بفضائل الاقتصاد. الى أن كان يوم رجع من المدرسة لاهثاً وقال بفخر "لقد اقتصدت الآن خمسين قرشاً. فاتتني الحافلة فركضت وراءها حتى وصلت الى البيت."

فرد أبوه: "لقد كان عملك في غاية الغباوة. في المرة المقبلة اركض وراء سيارة أجرة فتقتصد أكثر."

م.٥.



الجراثيم الحميدة

عمد رالف بورتييه الباحث في جامعة لويزيانا الأمريكيّة الى تلقين ١٤ صنفاً من الخمائر والبكتيريا التهام المواد الكيميائيّة التي تؤذي البيئة وتحويلها ثاني أوكسيد الكربون أو ماء وسوى ذلك من مواد غير ضارّة. وقد أنجز ذلك في "مستنقعات" صغيرة ضمن مختبره وضع فيها مادّتين من أكثر المواد المعروفة سمّيّة. ثم أضاف الجراثيم بأنواعها المختلفة وأخذ يراقب أيّاً منها يصمد أمام السمّ. واستنتج أن "الجراثيم التي صمدت هي تلك المؤهّلة للقضاء على السموم."

ولما كان من المكلف تنظيف الكثير من المستنقعات والأماكن الملوّثة، فانّ اعتماد الجراثيم للقيام بهذا العمل يؤتى نتائج ايجابيّة بأدنى كلفة ممكنة، من غير أن يسبّب أذى للبيئة كعادة المواد الكيميائية الفاعلة.

مجلة "المحيطات"

مملكة النحل

ألقت الدراسات الأخيرة لممالك النحل ضوءاً جديداً على طريقة عمل الكائنات التي يصنفها العلماء بعد الانسان مباشرة من حيث التكوين الاجتماعي. وتوزيع العمل متشعّب جداً في مملكة النحل. فهناك النحل الذي يجمع الماء ويأتي به الى القفير للحفاظ على مستوى معين من الرطوبة. وهناك النحل الذي يتولى إبعاد بقايا النحل الهالك الى الخارج. وهناك النحل الذي يجمع المادة الصمغية لاصلاح كل خلل في القفير. ثم هناك النحل الذي، برائحة أجنحته، يرشد النحل الضائع إليه.

ومع تقدم النحلة في السن تزداد وظائفها تعقيداً. فهي تنتقل من تنظيف البُيوض الى إطعام النحلات الصغيرة ثم الى خدمة الملكة. وأخطر الوظائف طراً جمع المؤن، إذ يقتضي الذهاب الى العالم الخارجي الحافل بالأخطار.

صحيفة "نيويورك تايمس"

تململوا تنحفوا!

لوحظ ان التململ هو طريقة فاعلة لحرق الوحدات الحرارية. وقد وجد الباحثون أن بعض الناس يبددون بالتململ والتلوي ما يعادل هرولة عدة كيلومترات يومياً. والبحث الذي يجريه علماء في مركز المعاهد الوطنية للصحة في فينكس بولاية أريزونا، هو جزء من الجهد المبذول لمعرفة لماذا يزداد بعض الناس بدانة ويظل آخرون نحيفي البنية. وشملت الدراسة ١٧٧ متطوعاً أقام كل منهم في غرفة تنفس مفروشة لاربع وعشرين ساعة، وقيست طاقتهم المستهلكة من خلال مراقبة مستويات الاوكسيجين وثاني أوكسيد الكاربون في الغرفة.

في نهاية النهار كان بعضهم حرق ٨٠٠ وحدة في التحرك جيئة وذهوباً وفي حركات عصبية كالقرع والنقر بأصابع القدم واليد، بينما استهلك آخرون ١٠٠ وحدة فقط. ووجد الباحثون أن النساء النحيفات كن اكثر تململا من البدينات، ولم تصح هذه المقارنة مع الرجال. فالثقيلو الوزن يستهلكون من الطاقة عندما يتململون اكثر مما يستهلك الرجال الرشيقون، لان تحريك الوزن الثقيل يتطلب حرق مقدار لا يستهان به من الوحدات الحرارية.

وكالة "أسوشييتد برس"

الضوء النباتي

وجدت عالمة نبات من جامعة ستانفورد في كاليفورنيا ان بعض النبات يبث الضوء كما تبث شركة الهاتف المخابرات. والعالمة هي دينا ماندولي التي وضعت الياف من الشوفان والفاصولياء والذرة في غرفة معتمة وسلطت شعاع ليزر على طرف منها ثم تولت قياس الضوء هناك.

وعلى غرار الألياف الضوئية ارسلت الألياف النباتية الضوء عبر سنتيمترين ونصف سنتيمتر من ساق النبتة. ووجدت ماندولي ان قابلية النبتة لبث النور قد تفسر توجهها نحو الشمس تلقائياً. ويُظن ان هذه النتيجة تفسر استجابة النبات الصغير للنور، وان يكن معظمه تحت التراب. وهذا امر حير العلماء طويلا.

صحيفة "نيويورك تايمس"

عصفور مهاجر

وصل الى مدينة برث في أوستراليا عصفور طيطوى (زمار رمل) وفي قائمته رباط يشير الى أن علماء في سيبيريا الشرقية أطلقوه. وهكذا فان العصفور الصغير الذي يزن أقل من ثلاثين غراماً قطع ١٢ ألفاً و٥٠٠ كيلومتر عبر اليابان وجنوب شرق آسيا.

مجلة "النوفيل أوبسرفاتور"، فرنسا

أسنان اصطناعية... للغنم

قبل سنوات اخترع طبيب أسنان اسكوتلندي جسراً لأسنان الخراف التي تصيبها علة في الفكين تدعى "علة الفم المكسور،" فتسقط أسنانها وتعجز عن الرعي جيداً. والنعاج المصابة تعاني سوء تغذية فتعجز عن ارضاع حملانها. لكن طبيب الاسنان أدام طومسون ابتكر جسراً معدنياً يثبت الاسنان المهددة بالسقوط مما يتيح للخراف المصابة أن تتغذى وتستعيد قدرتها على البقاء.

صحيفة "ليفنتاي"، بلجيكا

كوخ الأحلام



ما أحلى الحياة في كوخ قديم على شاطىء البحر!

يعود بناء هذا البيت القديم إلى القرن السابع عشر. تميّزه دعائم من خشب السنديان ومداخل واطئة وأرضية منحدرة في غرف النوم ومستوقد واسع لحرق الحطب. يقع في مقاطعة سافوك بين حانة وسد ترابي يقيه تدافع بحر الشمال الذي تشاهد أمواجه الصاخبة من نوافذ الطبقة العليا. في البدء كان بيت مزرعة كبيراً، أما الآن فأصبح قسمين. وعلى رغم تطلبه عملا شاقاً فقد أعجبني أنا وزوجتي. إنتقلنا اليه في الشتاء الماضي مزودين كل المهارات البارعة التي اكتسبناها خلال سنوات قضيناها في ضواحي لندن. إلاّ أن هذه المقتطفات من مذكراتي تثبت عدم كفايتها.

اليوم الأول. لم يتمكن الحمّالون من نقل السرير المزدوج على السلم الضيقة

Illustrations: Roy Raymonde

الملتفّة. فتدبرنا بيع السرير وطلبنا سريرين منفردين يصلهما زمام منزلق. في هذه الأثناء استعضنا موقتاً بسريرين هوائيين يستخدمهما المخيمون. إنهما مريحان جداً لولا المسامير الناتئة من الأرضية الخشبية القديمة. ظهرت ثقوب صغيرة في السريرين أجبرتنا على نفخهما كل ساعتين. صوت الهواء المتسرب لم يسمح لأي منا بالنوم.

اليوم الخامس. بينما كنا نطلي ونمعجن ونصلح ونرتب، أتى رجل بمنشار ليقطع أشجاراً مريضة في الحديقة. أثارني منظر كومة الجذوع، فدافعي الى شراء البيت هو ذلك الكهف الصغير لاشعال الحطب في الجدار القرميدي بغرفة الجلوس.

تخيلت نفسي أتحدث إلى الضيوف سانداً رقعة مرفقي الجلدية على إلى المستوقد وممسكاً إبريقاً معدنياً للشاي وقاذفاً الجذع البرّاق المتقد بعقب حذائي الغليظ اللماع. لذا بدأت أخزّن الصحف للاشعال وأشتري علب ثقاب كبيرة.

اليوم الثامن. أخبرنا جارنا اليوم أن المنزل مسكون، مستشهداً بكتاب قديم عن الأشباح المحلية وداعماً الخبر بتفسير مقنع لخطوات ليلية مبهمة في الجناح الآخر من المبنى عبر ممر يقع مباشرة خلف خزانة ثيابنا. كذلك أكد أن الأشباح هي سبب الترجح المفاجىء للابواب، وان تكن تلك ظاهرة عزوناها من قبل إلى نسيم البحر والمزاليج المهترئة.

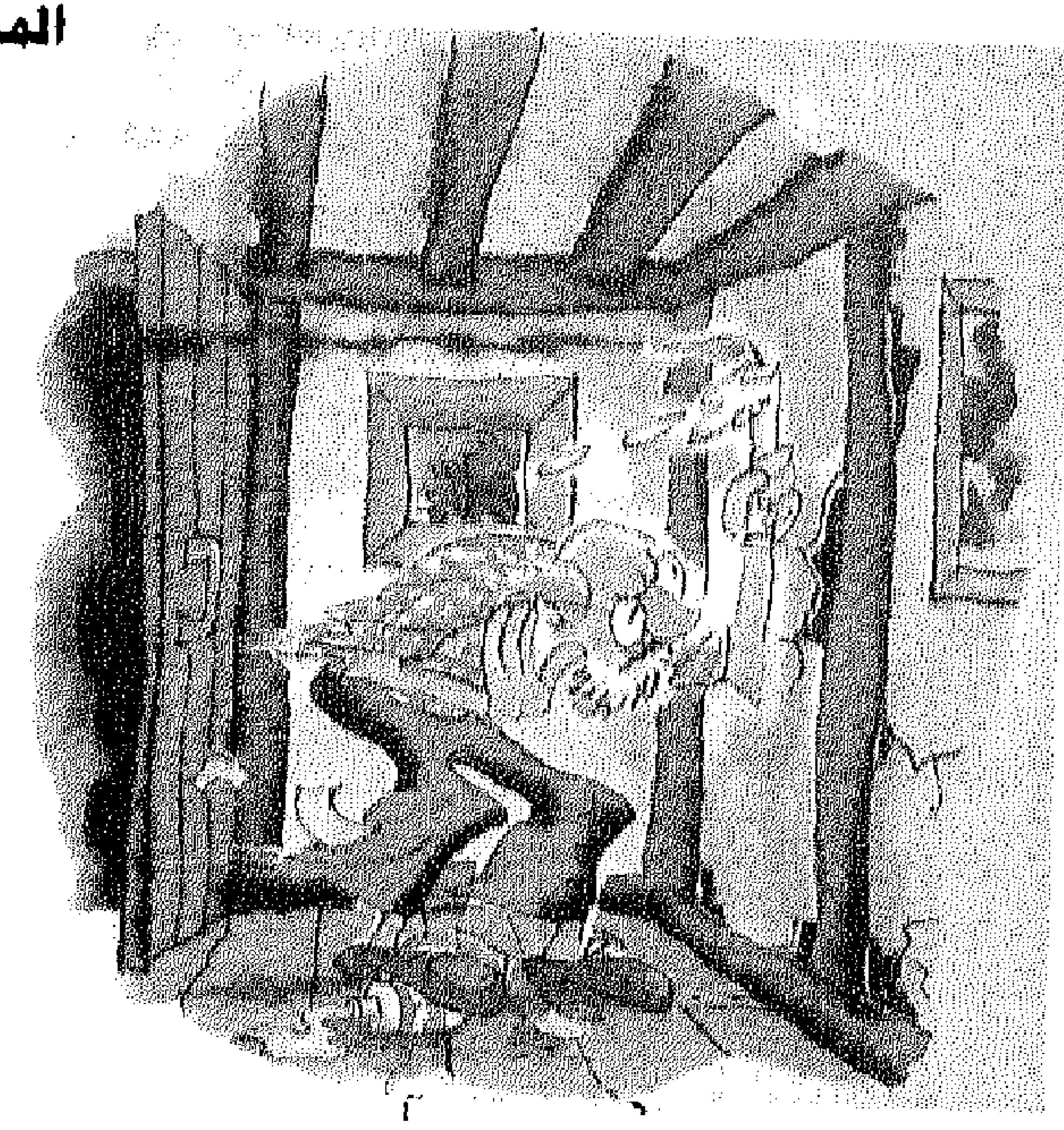
بعد ساعات، عندما فُتح الباب قلت بتهذيب: "تفضلوا." ينبغي ألاّ نعادي من نستطيع مصادقته. لكن ليز، والعرق يتصبب منها فوق الممسحة الرطبة على الأرضية القرميدية، أفسدت الأمور إذ أضافت بانفعال: "وامسحوا أقدامكم."

اليوم التاسع. في الخارج عصفت ريح بحرية هوجاء اختلقناها عذراً لاضرام النار في المستوقد. ولكن، أولا يجب إقناع ليز بأن ذلك سيكون عملا لا لعباً. تمتمت من غير قصد: "أتشعرين بالبرد؟" وكتفت ذراعيّ وارتجفت متظاهراً بنوبة رئوية. فردت زوجتي: "قليلا،" وهي منهمكة على السلم في أعمال نسائية كتنظيف الميازيب ورأب القرميد المكسور.

حسناً! سحبت بعض الصحف عن المستوقد متوقفاً لحظات لقراءة مقتطفات مذهلة فاتتني حين كان الحبر جديداً. غطيت الأوراق بكومة من قطع الأثاث المكسور وجعلت الركام يتقد متآلفاً. ثم رميت فوقه جذعاً. تصاعد الدخان نصف ساعة ثم تلاشى.

اليوم السادس عشر. بيع السرير القديم بخسارة إجمالية بلغت ٨٠ بنساً. باعه الدلالون في المزاد بـ١٦ جنيهاً استرلينياً وحسموا أتعابهم، ثم أرسلوا الينا حوالة بقيمة ٢،٢٠ جنيه. أذكر أني أعطيت الحمالين ثلاثة جنيهات اكرامية.

اليوم التاسع عشر. اليوم يقع اللوم الشديد على الأشباح لاخفاء المطرقة وإضاعة القطة بين العوارض الخشبية وتغيير علو المداخل مما جعلني أطرق



رأسي باستمرار فأضطر الى الانحناء. للحظات راعشة اعتقدت أن الاشباح تنتقم، إذ تسللت أصوات غريبة من المطبخ كصرير مفاصل صدئة في باب قديم: "إررك... وو." واستمر الصوت. جمعت شجاعتي وقمت لأتحقق من الأمر. يبدو أن الصوت صادر عن غلاية وضعت لتسخن فوق الجمر!

إتصلت بأصحاب المصنع طالباً التحدث إلى مهندس. أصرّت الفتاة التي ردت على معرفة الخطب. أخبرتها مرتبكاً: "انها تصيح إررك... وو." فقالت اني اذا رفعت غطاء الغلاية فسأجد قطعة معدنية أزاحها الهواء المتسرب في أعلى المدخنة وجعل مفاصلها الجافة تصرّ. ونصحتني: "حكّها بقلم رصاص، فالغرافيت يؤدي دور المشحم."

للحصول على نتائج سريعة استعملت قلم رصاص طري. سألتني ليز وهي جاثمة على يديها ورجليها تغلق ثقوب الفئران: "ماذا ترسم؟" فأوضحت: "اني أطرد الاشباح." قضى القلم على "إررك" لكن "وو" ما زالت حية كلما هبت الريح من الشرق إلى الشمال الشرقي بقوة ٩ درجات في مقياس بوفور.

اليوم الرابع والعشرون. استقبلنا زواراً وأشعلنا نار الموقد. لم يألف الولدان الصغيران النار من قبل، فأمضيا نهارهما باحثين عن الاغصان الجافة وموقدين النار بمنفخ الأسرّة الهوائية. مع هبوط الليل حملهما والدهما إلى السيارة للعودة إلى البيت وهما منهكان سعيدان وقد سوّد السخام ثيابهما وأحرقتها الشرارات. لوّحت مودعاً وعدت إلى الداخل فوجدت النار قد انطفأت.

اليوم السادس والعشرون. قرأت في مجلة "المستهلك": "لن يدفأ بيتك ما لم تمنع تسرب التيارات الهوائية من الأبواب والنوافذ." جلت في أنحاء المنزل حاملا شمعة ومراقباً اتجاه الهواء الذي ينفخ اللهب فيكاد يطفئه. رميت الشمعة اذ تمكنت من كشف هذه التيارات لدى اهتزاز ياقة قميصي. سددت أطر الأبواب برقائق نحاسية ورغوة لاصقة.

اليوم السابع والعشرون. ما زلنا نشعر بالتيارات الهوائية. قالت ليز: "هناك رائحة طبخ في غرفة الجلوس." فأجبتها ساخراً: "هراء!" لكنها ردت أن انهماكي في التيارات أفقدني حاسة الشم. وأضافت: "إذهب إلى الباب وتحقق. أمس أكلوا سمكاً، واليوم لحماً." يحتاج الواحد منا إلى سنوات من التعارف قبل أن يجرؤ على استطلاع محتويات

قدور جاره. في أي حال، طفت حول جدار غرفة الجلوس مستشماً. وجدت إصلاحاً غير محكم في القوائم الخشبية القديمة، وتسللت من خلال الجص نفحة هواء بارد. لا أنكر أنها حملت نكهة لحم. ملأت الشق وحذائي الأيسر صمغاً ثم جلت حاملا شمعة مضاءة. بقي لهب الشمعة مرتفعاً ومشتعلا في أنحاء المنزل.

اليوم الثامن والعشرون. إكتشفت أن النار لا تبقى مضطرمة إلّا حين أقف عند الباب ممسكاً قبضته ومحركاً اياه بلطف جيئة وذهوباً كمنفاخ كبير. ذكرت ذلك لأحد القرويين فسألني: "لا تقل لي انك سددت المنافذ الهوائية!" يا لخجلي حين أدركت أني أفسدت جهاز الدورة الهوائية الذي وجّه طوال ٣٠٠ سنة دفقاً من الأوكسيجين نحو المستوقد.

اليوم التاسع والعشرون. تحت غطاء الليل كبست أنفي على نافذة الجيران ووجدت نار مستوقدهم مضطرمة دافئة. نار الموقد في الحانة تجعل الشاي يغلي. كبت كبريائي وطلبت نصيحة، فنلت الكثير. قبل أن تشعل النار تحتاج إلى طبقة سميكة من الرماد والخشب الجاف والجذوع المقطعة بالفأس ومدخنة حامية واتجاه صحيح للريح، والى الجهاز الهوائي القديم الذي سددت منافذه. اشتريت فأساً ذات قبضة طويلة، لكني لم أنجح في قطع الجذوع حتى اتضح لي وجه التشابه بين ترجح الفأس ولعبة الغولف: أنت تخسر إن لم تراقب الجذع بعناية. أخيراً قطعت الجذوع مجهداً ظهري. انحنيت بصعوبة ووضعت قطع الحطب باتقان لتجف أمام نار تمهيدية من الورق وخشب صندوق مفكك. كلما جفت حطبة وضعتها فوق اللهب.

اليوم الثاني والثلاثون. نتمايل اليوم على شفير الكارثة. وصل السريران المتصلان بزمام منزلق، لكن السائق ورفيقه صعقا لدى رؤية السلم الملتفة. في هذا الوضع السلبي توقعا أن يعلقا على السلم، وحدث ذلك فعلا. أحدهما يندب رازحاً تحت الحمل الثقيل والآخر يسعل مكروباً على الدرج حيث ألصق وجهه بالحائط والسرير ينخسه تحت أذنه اليمنى. أعلن الرجل في الأسفل: "لن يمرا" وهزّ النبأ مشاعري. أدركت أن مغامرتنا الريفية ستنتهي هنا إن هما أخفقا في حمل السرير الى الطبقة العليا.

كفى إذعاناً للأساليب القروية! حان الوقت لأفرض سلطة رجل المدينة المتمرن على زحمة السير الكثيفة. أصدرت أوامري: "قليلا الى اليسار. الآن إرفع إلى فوق." ودفعت السرير بقسوة متجاهلا استغاثات الحمّال في الأعلى. إنها أذنه اليمنى في مقابل نمط حياتي المستقبلي. إندفع السرير الى فوق كسدّة قنينة شراب فتحت لتوّها. أفسحت في المجال للرجلين كي ينقلا النصف الآخر من دون مساعدتي، وهما نفذا ذلك بسرعة قصوى.

سننام هنيئاً الليلة.

اليوم الثالث والثلاثون. لم ننم هنيئاً. حين أطفأت النور وأسندت رأسي

الى الوسادة انزلق السرير بعجلاته المتحركة على الأرضية المنحدرة واصطدم بالجدار. حملناه من جديد ودعمناه بصندوق خشبي. من الغرابة أن السرير بدا قصيراً. فطوال الليل امتدت أرجلنا تحت الأغطية وتدلت من طرف السرير. وفي الصباح بانت الحقيقة، فالسرير كان ثابتاً لكننا نحن لم نكن كذلك. تحت تأثير الجاذبية انزلقنا لاشعورياً الى أسفل ساحبين الوسائد معنا.

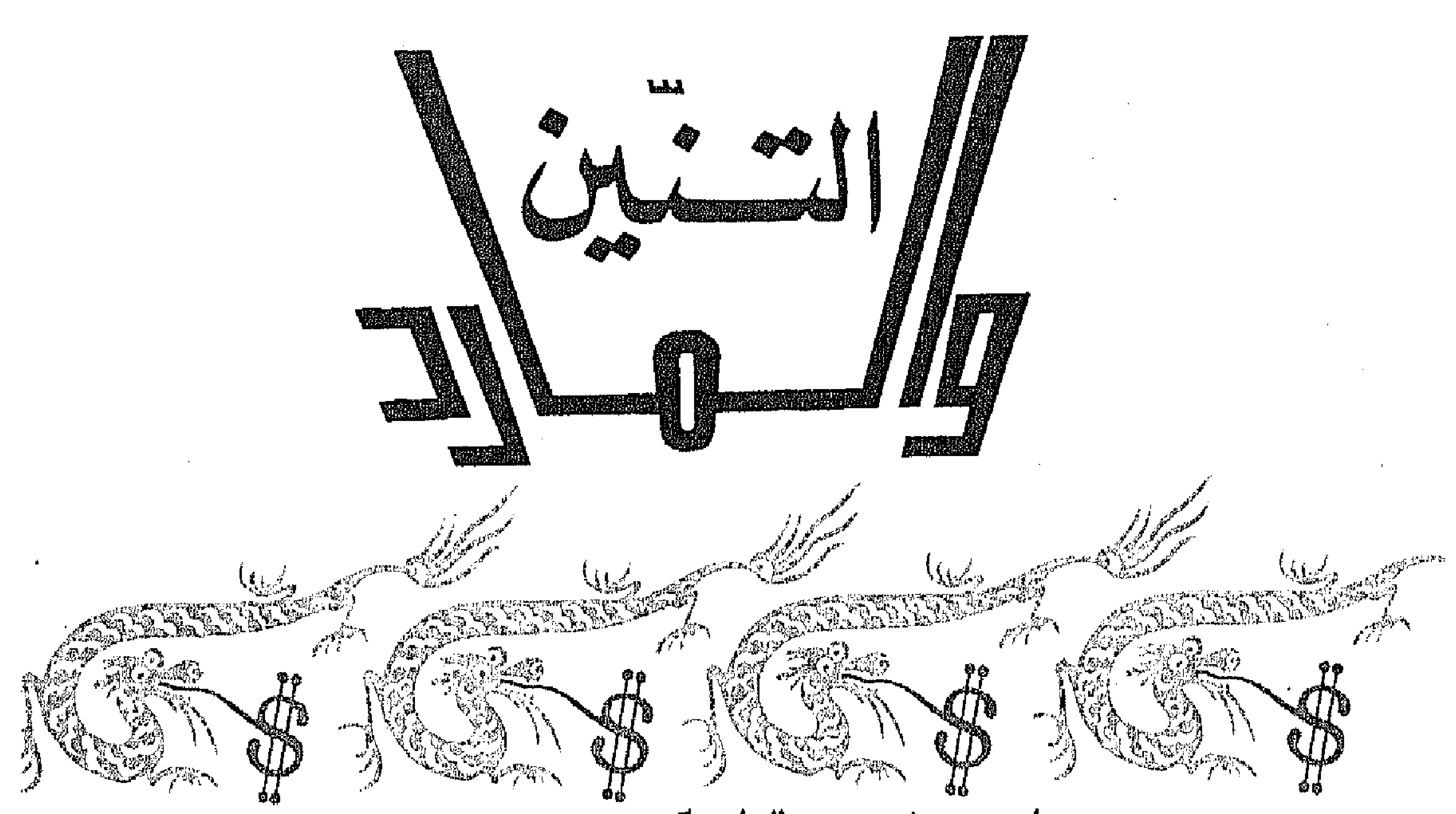
اليوم الرابع والثلاثون. وضعت ميزان البنّائين على السرير ووجدت انه غير مستو. ينبغي رفع احدى قوائمه خمسة عشر سنتيمتراً قبل تعاظم المسألة. كنت واثقاً بأننا سننعم بالراحة هنا بعد أن أسوّي التدفئة المركزية وأنشر منصة لرفع السرير. لسوء الحظ سيؤخر ذلك تركيب رفوف الكتب، وهي ألواح خشبية موصولة داخل خزانة للأواني الزجاجية والصينية وضعناها موقتاً في مستودع الفحم. نتيجة ذلك كدّس بائع الفحم خلف الباب ٨٠٠ كيلوغرام من الفحم الذي نستعمله لغلي الماء. ومما زاد استيائي طمر منشاري الذي أحتاج اليه لصنع المنصة الخشبية في غرفة النوم، تحت كومة الفحم.

اليوم المئة. اليوم أخيراً حللت مشكلة مستوقد الجذوع مستخدماً حيلة غجرية قديمة، مرنماً كلمة "اشتعل" ثلاث مرات وقاذفاً علبة كاملة من الكبريت خلف الضرم ونافخاً على نحو متواصل بمنفخين. تجف الجذوع بسرعة في شمس الربيع وتصبح قابلة للاشتعال اذا أبقيت كل النوافذ مفتوحة. عظيم أن جهاز التدفئة المركزية المركّب حديثاً يعمل بانتظام، والحرارة في الخارج بلغت أواخر العشرات في القياس المئوي.

في رأيي أني اذا تركت النار مضرمة طوال الصيف فستكون المدخنة رائعة ودافئة في الخريف، وستتراكم طبقة كثيفة من الرماد مع حلول الميلاد. سأستهلك كل الجذوع الرطبة وأشتري جذوعاً جافة من الفلاحين كما يفعل جيراني. ولقد أرسلت بالبريد طلباً لرقع جلدية لمرفقي.

أتخيل نفسي الآن مستنداً إلى رف المستوقد حاملا إبريق الشاي قاذفاً الحطب، ومقدماً الى أصحابي صورة عن حياتي الوضيعة في كوخ أحلامي على شاطىء البحر.

جون أنيس



اربع دول صغيرة في آسيا تمنح العالم الثالث املا بان العمل الشاق لا بد أن يثمر ازدهاراً

ترعرع في احياء الفقراء في هونغ كونغ حيث كان ابوه بائعاً جوالا للفاكهة، وعائلته تعيش في مهجع خلف متجر لبيع الاثاث. كان يقف في الصف كل صباح للحصول على الحليب المجاني والكعك المحلى الذي تقدمه الجمعيات الخيرية.

لكن فنسنت هـ.س. شنغ كان محظوظاً إذ بلغ سن الرشد ابان حدوث تغيرات كبرى في شرق آسيا. كان غاسل صحون، اجتاز المرحلتين الثانوية والجامعية بنجاح في هونغ كونغ، ثم انتقل إلى نيوزيلندا للدراسات العليا في الاقتصاد. وشنغ اليوم اقتصادي اول في الشركة المصرفية لهونغ كونغ وشنغهاي، وهي احدى كبرى المؤسسات المالية في آسيا.

وثمة ملايين آخرون مثل شنغ يحيون في تلك الدول التي عرفت بـ"التنينات الصغيرة" الاربعة في آسيا وهي: تايوان وكوريا الجنوبية والدولتان المدينيتان سنغافورة وهونغ كونغ. ويطغى على الاخيرة الطابع الصيني. وأحرزت الدول الاربع هذه نجاحاً باهراً، وأصبح سكانها الذين كانوا فقراء ذات يوم، في مراتب الفئات الموسرة في العالم. ان الذين كان آباؤهم منهمكين في توفير وجبة غذائهم التالية من سلطانية الرز، غدوا يملكون منازل وسيارات خاصة بهم، ويسافرون الى الخارج. إنه امر لا مثيل له في اي مكان من العالم منذ اصبحت اليابان،

التنين الاكبر في آسيا، قوة عظمى لقرن خلا.

لقد اظهرت هذه التنينات الصغيرة للعالم ان للمشاريع الحرة نجاحاً مذهلا. فدخل الفرد في تايوان مثلا والذي كان يقدر بـ٥٠ دولاراً سنوياً عام ١٩٥٠ تخطى الآن الـ٣ آلاف دولار. كما ان كوريا الجنوبية التي دمر اقتصادها فعلا في حرب ١٩٥٠ - ١٩٥٣، يتجاوز دخل الفرد فيها اليوم الألفي دولار. أما سنغافورة وهونغ كونغ فتمثلان حالتين مميزتين، اذ انهما كدولتين في مدينتين لم تكن فيهما مناطق ريفية نائية ذات دخل متدن. وقد ارتفع الدخل الفردي السنوي في كل منهما الى ما ينيف على ٦ آلاف دولار. علما ان دخل الفرد في اليابان هو الأعلى في شرق آسيا اذ يناهز ١٠ آلاف دولار.

بين الامس واليوم – فيما ينطلق الصيني العادي للعمل في الارض حاملا مغرفة، يحمل نظيره في تايبيه (عاصمة تايوان) حقيبة يد ويرتحل على طريق معدة للنقل السريع صوب مكتب جديد في بناء متطاول. وتزدحم متاجر التجزئة (القطاعي) بالمتسوقين لاصناف شتى تراوح بين مسجلات الفيديو والملابس الباهظة الثمن المستوردة من اوروبا.

في سيول، عاصمة كوريا الجنوبية، افتتحت سبعة فنادق فخمة في السنوات الاخيرة لتؤوي الزوار الاجانب من رجال الاعمال.

قبل عشرين عاماً كانت الثيران تتحرك بتثاقل في شوارع سيول، اما الآن فقد اخلت مكانها لسائقي السيارات التي تزدحم بها الشوارع. وقد فرغت سيول لتوها من انجاز نظام لقطار الانفاق (المترو) بطول ١١٨ كيلومتراً، ينقل برشاقة يوميا مليوني شخص الى مراكز اعمالهم.

وفي هونغ كونغ يرتفع المعقل المالي في ناطحة سحاب مشرفا على مرفأ مكتظ بالسفن الشراعية والزوارق ذات المجاذيف وسفن الرحلات السياحية اضافة الى بواخر الشحن. وعلى رغم ان عدد سكانها لا يتجاوز الـ٥،٥ ملايين نسمة فقد غدت هونغ كونغ المصدّر الاول في العالم للملبوسات والدمى. وبلغ من ندرة الاراضي ان المصانع اخذت تتوسع عموديا وتحلق عاليا حتى طاولت ١٥ الى عشرين طبقة.

أما سنغافورة، الواقعة على الرأس الجنوبي للقارة الآسيوية، فهي نظيفة وخضراء على نحو ملفت للنظر، اذ تكنس الشوارع وتجمع القمامة سبع مرات في الاسبوع. وثمة شجرات مثمرة على امتداد الجادات الجميلة في سنغافورة، وما على المشاة سوى مد ايديهم لالتقاط ثمر البابايا. وتضم سنغافورة أحد المراكز المالية الكبرى في شرق آسيا وهو "شنتون واي."

ان التنينات الصغيرة واليابان ستوفر القوة المحركة لجعل القرن المقبل حسب مايك مانسفيلد السفير الامريكي في طوكيو: "قرن المحيط الهادىء."

منذ عام ١٩٨١، تجاوز حجم التجارة بين الولايات المتحدة ودول شرق آسيا مثيله بين الولايات المتحدة واوروبا

الغربية، فبلغ حجم التجارة مع دول شرق آسيا ١٨٧ مليار دولار عام ١٩٨٥ في مقابل ١٤٠ مليار دولار مع اوروبا.

والأمر الاكثر ادهاشاً في نجاح التنينات الصغيرة هو انها بدأت من الصفر. فليس لدى تايوان او كوريا الجنوبية موارد طبيعية ذات شأن. كما ان سنغافورة وهونغ كونغ عليهما ان تستوردا الغذاء ومياه الشرب.

لكن للدول الاربع مزية مهمة هي سجايا مواطنيها. فللمجتمعات الاربعة سمات مشتركة هي اخلاقيات العمل والأهمية الفائقة للتعليم، والادخار والاقتصاد في الانفاق. وبلغ من الاقتصاد الصيني في الانفاق حداً أن السير ي.ك.باوو أحد اغنى الرجال في العالم دأب على نصح بناته الاربع: "زوج من الأحذية كاف ووافٍ."

الحرية والازدهار - آثرت التنينات الصغيرة المشاريع الحرة التي كان المثقفون يأنفون منها. ففي تايوان وكوريا الجنوبية وسنغافورة حكومات قوية فرضت الاستقرار اللازم للنمو الاقتصادي. وقد ابقت الدول الاربع الضرائب مخفضة نسبياً لحفز الادخار والاستثمار، واعطت اصحاب المشاريع حرية اكثر من اي مكان في العالم الثالث. واعجبت الصين الشعبية بهذه الظاهرة فحض الزعيم الصيني دينغ هسياو بنغ المتمولين في هونغ كونغ وسنغافورة، على الشروع في تنفيذ مشاريع انمائية في بلاده. ويأمل دينغ ان ينعش ذلك الاقتصاد الصيني.

ودول التنينات الاربعة بدأت نهضتها الاقتصادية باستخدام اعداد كبيرة من الايدي العاملة غير الماهرة. كانت الاجور في البداية مخفوضة، وتوجب استيراد المواد الخام وتحويلها سلعا ومن ثم بيعها الى العالم وسط منافسة ضارية. فكوريا الجنوبية مثلا تبتاع الجلود من الولايات المتحدة ثم تحولها احذية تصدرها الى الخارج باسعار تنافسية. وهونغ كونغ تستورد القطن من امريكا لانتاج القمصان والتنانير ثم تصدرها وتبيعها في العالم بأسعار مخفوضة.

وسرعان ما بدأت هذه الدول النهوض اقتصاديا. ولأكثر من عقدين من الزمن اخذت اقتصاداتها بالنمو بنسبة ١٠٪ سنويا. واختفى المتسولون من الشوارع منذ سنين، ونشأت طبقة وسطى كبرى في المجتمعات الاربعة. وأصبحت نسبة سبعين في المئة من العائلات التايوانية ونصف تلك الموجودة في سنغافورة تملك شققها او منازلها الخاصة. وفي ارياف تايوان وكوريا الجنوبية ابدلت اكواخ القش بمنازل حديثة الطراز ذات سقوف من قرميد. وانيرت المناطق الريفية بالكهرباء، وهو انجاز مهم في العالم الثالث.

وفي تايوان تملك ٩٥ في المئة من ربات البيوت اجهزة تلفزيون وثلاجات، و٨١ في المئة منهن لديهن هواتف. ويعتبر سكان الدول الاربع من بين اصحاب المستويات التعليمية العالية في العلم. والتعليم مجاني والزامي حتى السنة السادسة عشرة في تايوان. كما ان نسبة ٣١ في المئة من خريجي المدارس الثانوية في كوريا الجنوبية يتابعون دراستهم الجامعية.

على المفترق – ان المخاوف من انفجار سكاني في هذه البلدان لم تتحقق قط. اذ انخفضت معدلات النمو السكاني في كل منها من ٤ في المئة عام ١٩٥٠ وهي نسبة كانت تنذر بكارثة، الى ١،٥ في المئة او اقل اليوم. واحد اسباب هذا الانخفاض شروع الحكومات في الدول الاربع في اعداد برامج لتنظيم الاسرة. ولعل السبب لخفض النمو السكاني هو زيادة الثراء والتحضر. اذ كان ثلاثة ارباع سكان كوريا الجنوبية يقطنون الارياف قبل عشرين عاما. وكان للزوجين في العادة ثمانية اولاد أو تسعة، مما يؤمن ايدي عاملة وفيرة للعمل في الزراعة. وقد تحول ثلاثة ارباع هؤلاء الى المدن.

ودول التنينات الاربعة الصغيرة هي اليوم على مفترق. فقد بلغ معدل ارتفاع الاجور حداً لم يعد في وسعها منافسة الفيليبين واندونيسيا وماليزيا في انتاج الملبوسات الرخيصة والاحذية واجهزة الترانزيستور. ونتيجة لذلك، فانها تتحول الى الصناعات التكنولوجية المتطورة، ومثالها شركة صناعات .M.I.C التي صدرت السنة الماضية ١٠٠ ألف دماغ الكتروني إلى اكثر من ٤٠ بلداً.

لقد اثارت صناعات كوريا الجنوبية الذعر بين رجال الأعمال اليابانيين اذ اختطفت منهم عقود عمل مربحة وها هو المسؤول عن البيع في احدى الشركات الصناعية بكوريا الجنوبية يقول لاحد الزبائن الاجانب: "يكفي ان تبلغوا الينا السعر الذي يحدده اليابانيون حتى نبيعكم باقل منه بعشرة في المئة." كذلك أزعج الكوريون اليابانيين في بيع السيارات الصغيرة. فقد انزلت مجموعة "هيونداي" الى الاسواق الامريكية سيارة بسعر خفيض هي "اكسل" وثمة شركة كورية اخرى تدعى "دايوو" شحنت اكثر من ١٠٠ الف سيارة صغيرة بحراً الى الولايات المتحدة عام ١٩٨٧ لبيعها تحت اسم "بونتياك."

في الماضي كانت هناك في هونغ كونغ حوانيت يعمل فيها عشرات الألوف بأجور دنيا وشروط عمل مجحفة، لكن اليد العاملة في هونغ كونغ غدت اليوم مكلفة ونادرة. لذا فان عدة شركات افتتحت فروعا لها في الصين حيث اليد العاملة متوافرة بكثرة ورخيصة نسبياً. واحدى هذه الشركات "كادر" الصناعية المغفلة التي تصنع نصف عدد دمى القماش المرقعة في العالم وهي انتجت ١٠ ملايين دمية خلال ٣٠ شهرا. ويصرح كينيث تينغ احد خريجي جامعة ايلينوي والمدير الرئيسي في الشركة: "إن الدمى تحشى وتدرز في الصين، وهو عمل يستلزم اعدادا كبيرة من اليد العاملة، ولا مجال لتوفير مثل هذا العدد في هونغ كونغ."

وتواجه هونغ كونغ بمفردها مستقبلا قاتماً. فغالبية الاراضي هناك حصلت عليها بريطانيا من الصين بموجب عقد تأجير مدته ٩٩ عاماً ينقضي مفعوله سنة ١٩٩٧. ومنذ عهد ليس ببعيد، وافقت الحكومة البريطانية على تسليم هونغ كونغ الى الصين في الموعد المضروب، وتعهدت الصين الابقاء على النظام الاقتصادي الحالي في هونغ كونغ لخمسين سنة مقبلة. غير ان افراد الطبقة الوسطى ولاسيما المتخصصين منهم

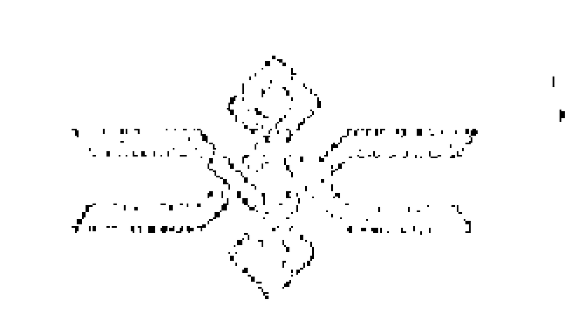
انتابهم قلق على المستقبل فاخذوا يغادرون البلاد.

ازهار سريعة الذبول - هذه الدول الاربع تعتمد في بقائها - وازدهارها بالتالي - على الخارج وخصوصا على الولايات المتحدة، وفي المقابل على هذه مواجهة المنافسة الشديدة التي يشكلها الانتاج الآسيوي لسلعها الوطنية وترتفع فيها اصوات تطالب بفرض رسوم جمركية مرتفعة على المستوردات من هذه الدول، لذلك تبدو التنينات الصغيرة مثل ازهار سريعة الذبول.

على رغم ذلك تشكل الدول الاربع ثورة حقيقية في ذلك الصقع من العالم. وبحلول سنة ٢٠٠٠، ترتقب كل من تايوان وسنغافورة ان يكون لديها دخل فردي يوازي ١٣ ألف دولار سنوياً، مما يحيلها بلداً مكتمل النمو متكافئاً مع الولايات المتحدة واليابان واوروبا الغربية. كما ان كوريا الجنوبية مرشحة لأن تضاعف دخلها خلال تلك الفترة او تزيده.

لقد اثبتت التنينات الاربعة للعالم بأسره ان العمل الشاق وسط مشاريع حرة ومنافسة شديدة يحقق نجاحات مثيرة.

ديفيد ريد



جرذان ايطاليا

دامت العداوة بين مدينتي بيزا ولوكا في ايطاليا عدة قرون، وخابت جميع مساعي المصلحين في احلال السلام بينهما. لكن ما عجز عنه البشر حققته ألوف الجرذان المنتشرة خارج مدينة بيزا والتي كانت تتغذى في مرمى للنفايات.

رأت السلطات البلدية في بيزا أن مرمى النفايات يشوه وجه المدينة الجميلة، فأحرقت النفايات كلها. فما كان من الجرذان، وقد حرمت مصدر غذائها، الا أن انتشرت في شوارع المدينة وبيوتها وسلالمها وهاجمت البرج السياحي الشهير وعضت الاطفال في الاسرة. كان ذلك كابوساً مزعجاً، خصوصاً لأن السلطات أدركت عجزها عن ابادة الجرذان بالمواد السامة لان الجرذ ذكي يتجنب تناول السموم، واذا شعر أنه تناولها أطلق صرخة لتنبيه اخوانه قبل ان ينفق.

وجاء الحل غير متوقع من مدينة لوكا، العدوة التاريخية التي رأت سلطاتها أن عدم توافر النفايات لتغذية الجرذان خارج بيزا دفعها الى غزو المدينة. فبادرت الى التبرع بنفاياتها بحيث تنقل شاحنات بيزا أربعين طناً منها كل صباح وتفرغها في المرمى السابق. فكفّت الجرذان عن غزو المدينة وانصرفت الى النفايات خارجها.

بيزا ممتنة لجارتها. ولوكا سعيدة لتخلصها من نفاياتها المكدسة. لكن الجرذان ستدرك أن الناس متى اتفقوا شكلوا خطراً مبيناً على كائنات أخرى. فالمدينتان عقدتا العزم على ابادة الجرذان في جهد مشترك، فترش النفايات بمواد كيميائية تعقم الجرذان وتضعفها وتميتها.

مجلة "البوان"، فرنسا



بيت موريس جنفوا كما بدا حين اشتراه عام ١٩٢٧. (تحت) غرفة الجلوس حيث كانت العائلة تجتمع للاستماع الى قراءات الوالد.

بيت أبي

استرجاع ساعات ماضية ماثلة في الذاكرة إلى الأبد

عن السؤال الشهير الذي طرحه الروائي الفرنسي مارسيل بروست "أين تحب أن تعيش؟" أجاب أبي قبل وقت طويل: "في بيتي في ليفرنيل، ومن وقت الى آخر في باريس." وهذا ما فعله خلال نحو قرن عاشه.

لطالما حلم أبي بذاك البيت وبحث عنه على ضفاف نهر اللوار حيث أمضى طفولته. وقد عثر عليه مصادفة في أثناء نزهة مع خاله عام ١٩٢٧ عندما كان في في السابعة والثلاثين.

وكان أبي قبل ذلك بسنتين حاز جائزة

"غونكور" للآداب. وخلال العقد الذي سبق، بعد إصابته بجروح في الحرب العالمية الاولى وتأثره بوفاة اصدقاء له، تردّد على سولونيه ووادي اللوار حيث أمضى طفولته، من أجل تنشيط طاقته على الحياة. وهو سرد كل ذلك في كتب له، عناوينها: "ثلاثون ألف يوم" و"كتب الحيوانات" و"على مقربة من الموت" و"حدائق بلا جدران" (★).

ليفرنيل، حيث ولدت بعد ذلك بكثير، كان منزلا ريفيا قديما مهجورا على وشك الانهيار. ومع ذلك كان بالنسبة الى أبي بيتاً مفعماً بالاحلام والذكريات والأسرار. وسرعان ما أدرك أنه سيكون ملكاً له. كانت تسليه زقزقة العصافير وتلفه الأعشاب والورود البريّة وتحوطه كروم محتضرة فتك بها داء "الفيلوكسرا" الذي قضى على السواد الأعظم من الكروم. ذاك المنزل جثم على كتف نهر اللوار الساكن المهيب المتلألىء على مدّ النظر.

ظلّ أبي طوال سنوات ثلاث يعمل على ترميم المنزل القديم. لم تكن فيه كهرباء ولا تدفئة ولا مياه جارية باستثناء مياه النهر. وبمساعدة مهندس معماري صديق ورفيق طفولة اصبح في ما بعد بناء، رمّم أبي الجدران المتداعية وشيّد السقف وأدخل فرناً للخبز يشكّل اليوم القبة التي تعلو المكتبة. وهو أضاف تلك التحسينات من غير التأثير في سحر هندسة البناء وأصالتها.

عندما كنت طفلة اعتاد أبي عرض صور عن المنزل كما كان قبل ترميمه. وتظهره إحداها جالساً باعتزاز على سقالة تصل الى السقف. بدا شاباً فرحاً راضياً عن الحياة. وفي سنيّ الأربعين قطع أبي كل صلاته الأخرى ليستقر في ليفرنيل. وحتى عندما كانت حياته الاجتماعية تقضي بأن يصحب عائلته الى باريس، كان دائماً يرجع الى البيت القديم في نهاية كل أسبوع وفي العطل.

زرع الحديقة زهرة زهرة وشجرة شجرة. غرسها جميعها بيديه: الزيزفون الأخضر والذهبي الذي كانت أزهاره تجفف في كل صيف لتعطّر المنزل، وشجرة الأرز الأزرق التي أحضرها من مسقط رأسه شاتونوف، والاكاسيا التي ما زالت تفتح أزهاراً وردية، وغيضة الصنوبر الكثيفة حيث كان أبي كل ربيع يقيس بابتهاج كل شطأ جديد. وأكثر ما أحبّه الأزهار البريّة كزهرة اللبن الثلجية في الشتاء والبنفسج في أوائل الربيع وشقائق النعمان والونكة الزرقاء والماهونية الصفراء التي لا تزال تضيء الغيضة بألوانها الزاهية.

أمضيت سنواتي الأولى في ليفرنيل بفرح شامل وقد أثملني العبير الناعم والحرية والحب البريء، حبي للهررة والكلاب وفئران الحقول وآرتور القنفذ الذي سمّنه الحليب الطازج لكنه كان ناكراً للجميل الى حد أنه نثر براغيثه في كل مكان من المنزل، وسنجاب غابة بورو الذي لا نزال نرى أحفاد أحفاده خارج نوافذنا، والنحل الموكل إلى النحال الذي كان وجهه المغطى بشبكة يرعبني أكثر من اللسع.

وفي كل اكتشافات طفولتي ومباهجها كان لي مرشد واحد وشريك واحد هو أبي.

(★) Trente Mille Jours; Les Bestiaires; La Mort de Près; Jardins Sans Murs

فكنت أنسى كل مخاوفي اذ يقول لي: "أعطيني يدك" ليقودني بعد هبوط الظلام فنخوض ظلمة غاباتنا العميقة حيث تعلمت أن لحوريات الليل اللطافة نفسها التي لجنياتِ النهار.

وكنا نمضي معاً الى نهر اللوار عبر سلّم تعج بالقراص وتقود مباشرة الى جسر قريب، أو عبر نفق خفيف الانحدار تشكله أشجار الخوخ البرّي. ولما كنا نبلغ المياه كان أبي يبهرني بطريقة رميه الحصى. وجنباً الى جنب كنا نصطاد السمك ونمضي سحابة بعد الظهر.

واليوم وقد مرّت سنوات أربع على وفاة أبي ما زالت اصداء صوته المرح ترن في اذني وهو يفتح الباب الأمامي: "أهذه أنت يا جميلتي الصغيرة؟" أما صريف كرسيه المألوف وصرير ريشته القديمة المستدقّة على الورق وضربات غليونه على المرمدة، فكلها كانت بالنسبة إليّ رديفة الصمت.

وعندما كان أبي يعمل كان الهدوء يخيّم على المنزل. فكنت وأختي لا نجسر على الصراخ أو إغلاق الأبواب بعنف أو اللهو تحت النوافذ. وكانت أمي تطبّق قاعدة الصمت بصرامة لم تعبّر الا عن حنان وقائي. غير أن ذلك كان يغيظني في بعض الأحيان. حسناً! أبي يعمل، ولكن لماذا يجب إيلاء هذا الأمر كل هذه الأهمية؟ وقبل كل شيء لماذا أبعد عنه؟ كنت أتسلّق الشجر عابسة ويدوم حقدي حتى المساء إلى أن يتلو أبي علينا ما دوّنه ذلك النهار وأنا جالسة قرب الموقد.

فيقـرأ كلمات لا أفهمهـا، تحملني موسيقاها الرقيقة المتنوعة بعيداً.

وبمقدار ما يسعني أن أذكر - وقد قال بروست ان الواقع لا يتكوّن إلا في الذاكرة - فإن هذا البيت لم يتغيّر طوال خمسين سنة. فورق الجدران عينه وان جدّد، والأشياء والكتب واللوحات احتفظت بمواضعها وإن زاد عددها على مدى السنين، كما بقيت فوضى الأطفال وحيويتهم.

واليوم بعدما أصبحت أدرك أن صيحة طفل يمكنها أن تبعث في القلب البهجة أو تبدّد التفكير أو تشنّج الأعصاب، أقدّر تساهل أبي، خصوصا لأنه انتظر حتى تجاوز الخمسين بسنوات كثيرة ليتزوج ويرزق طفلتين مشاغبتين منحهما كل حبّه وعنايته وكان لهما أفضل أب.

عندما يأخذني الحزن من جراء غيابه أو التوق الشديد الى طفولة كانت سعيدة جداً، أقرأ ما كتب أبي عن أمّه التي تركته يتيماً محطم القلب وهو صبي في الثانية عشرة من عمره:

"كانت تشجّعني وتواسيني في أحلامي الليلية وفي أحلام اليقظة. وهي التي كانت بصبر ومحبّة تنقذني من اليأس واللامبالاة وترشدني الى الطمأنينة من دون نسيان والى الارتضاء بعالم يعجز فيه الموت إزاء الذين أحبوا بعضهم بعضاً."

أما أنا فآمل أن أنقل الى أولادي كل هذه الحكمة وهذه المحبة.

سيلفي جنفوا ■



اذا حملت طفولتك معك فانك لن تكبر أبداً. ا.ش.

الازعاج الصحافي

اندفع صحافي شاب الى مكتب رئيس التحرير وقال: "آسف لازعاجك، لكنني أود أن أعدّل فقرة في مقالي."
– لا ازعاج يا بني، ولكن أسرع. سيفرغون سلة المهملات في أي دقيقة.

م. و.

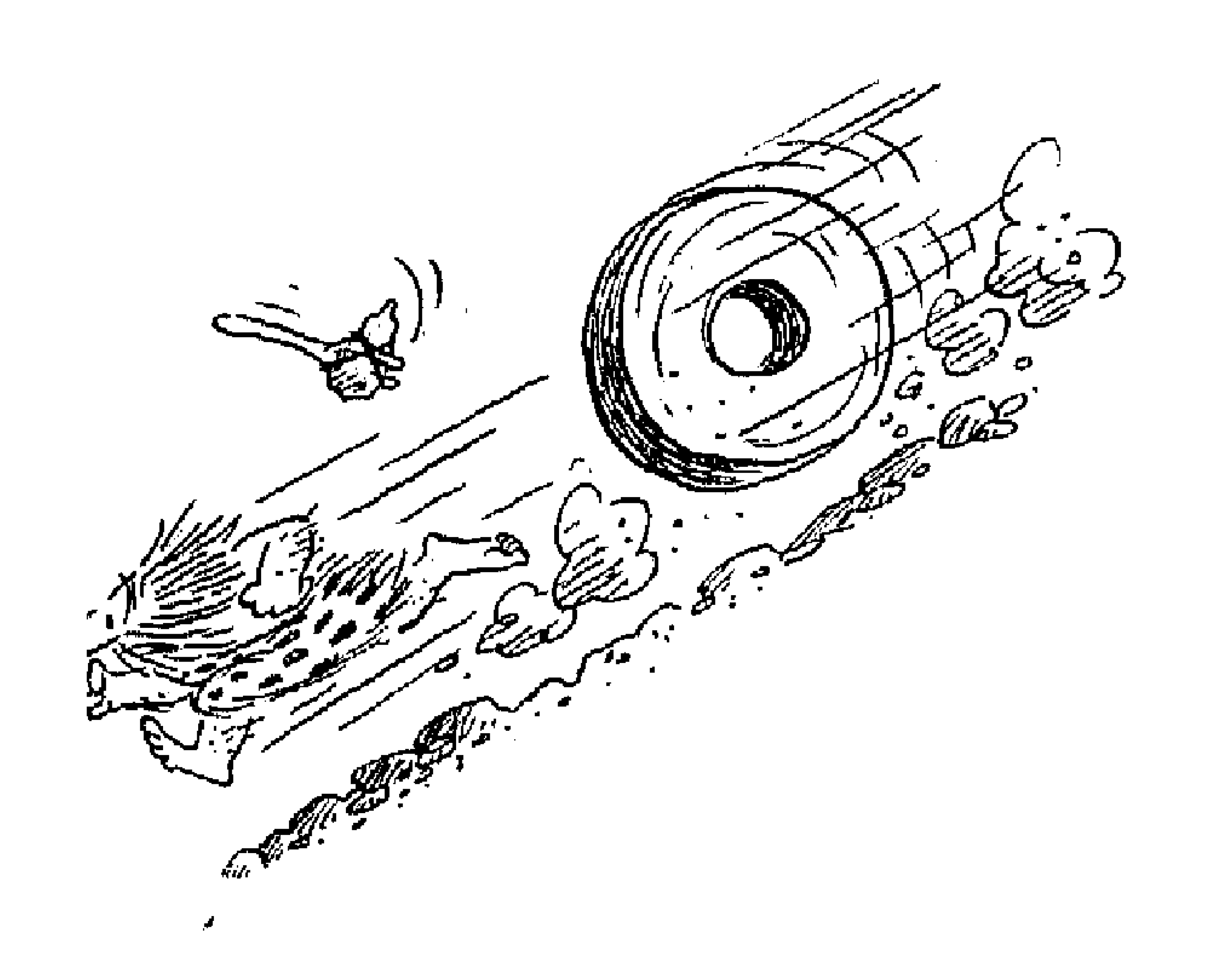
عَلَمان في افرست

قال أحد متسلقي الجبال لرفيقه: "ها قد بلغنا قمة جبل افرست. لقد أتينا الى هنا لنثبت علم بلادنا، وكادت مغامرتنا تكلفنا حياتنا. هيا ناولني العلم."
فردّ رفيقه: "ماذا؟ اعتقدت أنك أنت أحضرته معك."

ب.ب.

بذلة أبدية

كان لوالد أربعة بنين. أحدهم ذهب الى المدينة حيث أصبح رجل أعمال غنياً، وبقي الآخرون في قريتهم. وعندما توفي الوالد كان الابن الناجح مشغولا جداً بحيث لم يتمكن من حضور المأتم، لكنه أبلغ أشقاءه ألا يوفروا أي نفقة، فهو سيدفع كل التكاليف.
بعد أيام تسلم الابن الغني فاتورة من متعهد مراسم الدفن فدفعها. لكنه بعد ذلك ظل يتسلم شهرياً فاتورة أصغر.



واذ أحب الاستفسار عن هذا المبلغ الصغير كتب الى أشقائه مستوضحاً. فجاءه الجواب: "أبلغتنا الاّ نوفر أي نفقة. واذ قلت ان والدنا يجب ان يدفن بلباس أنيق فقد استأجرنا له بذلة فاخرة."

ف.و.

باريس – لندن

اتصلت امرأة بوكالة سفر وقالت للموظف: "أخبرني من فضلك، كم من الوقت تستغرق الرحلة بالطائرة من باريس الى لندن؟"
فرد الموظف: "دقيقة من فضلك."
فاكتفت المرأة وأنهت المكالمة.

ر.ت.



المتطوعان كيث بارك ومايك كولران ومؤسس فريق الانقاذ الدولي تيري برايس.

النجدة الدولية

في مدينة سان سلفادور التي دمرها الزلزال في أمريكاً الوسطى، توجه الاطفائي البريطاني مايك وايت مع ثلاثة عناصر من "فريق الانقاذ الدولي"(١) الى ركام الفندق الكبير الذي انهار كلياً بطبقاته الاربع. تحت الانقاض رجل أمن ميت، وقد جاء فريق الانقاذ لانتشال جثته.

اخترق وايت ثلاثين متراً من الانقاض نزولا عبر مهبط عمودي. وما كاد يصل الى الجثة حتى ضرب المدينة زلزال ثان. ويتذكر الاطفائي ويلي ماكمارتن (٣٥

(١) International Rescue Corps

عاماً) رفيق وايت الذي كان على مدخل المهبط: "مادت الارض وأخذ كل شيء يهتز، وكنا نرى الغبار والركام وكتل الاسمنت الكبيرة تحتك وينزلق بعضها على بعض."

أما مايك وايت فعلق في أسفل المهبط مع مهندس مكسيكي كان تبعه لانتشال الجثة. وفيما عمل ماكمارتن وزملاؤه على انقاذهما هرع سائر الفريق الدولي الذي يضم أربعة عشر رجلا كانوا خارج البناء، لمد أيدي العون. قال أحد الامريكيين الذين شاهدوهم ان المنظر كان رائعاً. ففي حين هرب معظم المنقذين من البناء المتداعي "اندفع هؤلاء البريطانيون المجانين داخله."

كانت استجابتهم نموذجاً لعمل الفريق الدولي للانقاذ الذي أنشىء كمؤسسة خيرية بريطانية صغيرة بهدف تقديم المساعدات الطارئة الى كل بلدان العالم. هؤلاء المتطوعون الذين نذروا أنفسهم للانقاذ يعملون من دون أجر، وغالباً ما لحقت بهم خسائر وهم يضحون براحتهم وأوقات فراغهم ويخاطرون بحياتهم لانقاذ الآخرين. يقول مايك وايت (٣٦ عاماً) الجندي السابق في البحرية الملكية البريطانية: "حين تقع الكارثة أريد أن أكون هناك للمساعدة."

– مهمة البعثة

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ الى عاصمة السلفادور المنكوبة كانت بدأت قبل ثلاثة أيام في مدينة مارلو بمقاطعة باكنهامشير. فقد سمع قائد الفريق الدولي تيري برايس، وهو وسيط لدى شركة تأمين، أول تقرير موجز عن الزلزال في نشرة أخبار محطة «BBC» التلفزيونية في التاسعة مساء. فاتصل حالا بسفارة السلفادور في لندن عارضاً مساعدة الفريق. ثم أرسل نداءات عاجلة الى منظمي الفريق الاقليميين في البلاد أن "كونوا جاهزين!"

وفيما باشر المنظمون إعلام المتطوعين ذهب برايس الى لندن في الصباح الباكر لمقابلة سفير السلفادور موريشو روزاليس – ريفيرا، وبوشرت المعاملات القانونية لدخول الفريق السلفادور بأسرع ما يمكن.

ولدى رجوع برايس في السابعة صباحاً الى مكتبه في مارلو الذي يستخدم ايضاً مقراً رئيسياً للفريق، كان الاعضاء بدأوا يتوافدون ومعهم عدة خاصة، بينها أجهزة سمع فوق – صوتية(٢) تستطيع التقاط أصوات الأحياء على عمق خمسة عشر متراً. وبعد انقضاء أقل من ستين ساعة على اذاعة نبأ الزلزال كان الاعضاء يبحثون عن احياء تحت انقاض المدينة حيث هلك نحو ١٥٠٠ شخص وأصبح نحو ٣٠٠ الف بلا مأوى.

يضم فريق الانقاذ الدولي أربعين عضواً "عاملا" وكل منهم مدرب وجاهز للعمل في أي وقت عند الطلب. ونحو نصف هذا العدد رجال اطفاء. اما الآخرون فبينهم بنّاء وعامل مصنع وشرطي ومزارع ومدير شركة ومحاسب وطبيب. وكل يضع خبرته العملية الطويلة في خدمة الانقاذ. ومنهم من يمارس هواية شاقة كتسلق الجبال واستكشاف الكهوف. ومعظمهم أرباب

(٢) Ultrasonic

عائلات تراوح أعمارهم بين الثلاثين والاربعين، ولكن ليس هناك عمر محدد لقبول الاعضاء. ليسلي كارول (٢٨ عاماً) هي المرأة الوحيدة التي درّبت لتقوم بعمليات الانقاذ، وهي خبيرة في الغطس.

عربون الخطر - يجري انتقاء الاعضاء بعد مقابلة يطلعون اثناءها بالتفصيل على دقائق المهمة التي تنتظرهم فلا يكون لديهم شك في ما سيواجهونه من أخطار ولا في التعهد الذي عليهم الارتباط به. ولدى تيري برايس فكرة واضحة عن الصفات التي ينشدها في الاعضاء: القدرة على الاحتمال ومواجهة المصاعب، وأهم من ذلك التحلي بالعزم والثبات.

يخضع المنتسبون الناجحون لتدريب شاق على نفقتهم الخاصة. وينظم مايك وايت دورات تدريبية لمدة أسبوع في مناطق وعرة حيث يكتسب الاعضاء مهارات مثل الانحدار على سطح صخري للبحث عن "ضحية" مدفونة وكشف موضعها بواسطة مكبر فوق - صوتي ثم حملها على نقّالة مسافة ربما بلغت خمسة كيلومترات. يقول وايت: "انها مهمة شاقة، لكن واقع الكارثة الكبرى أسوأ عشرة أضعاف. واذا لم يعرف الرفقاء كيف يتغلبون على الصعوبات فسيعرضون أنفسهم وأناساً آخرين للخطر."

يتوافر ثمن التجهيزات من التبرعات العامة وحملات جمع المال التي ينظمها المتطوعون أنفسهم ونحو ستين عضواً مشاركاً يساعدون تيري برايس. فشركتنا "الخطوط الجوية البريطانية" و"بريتيش كاليدونيان" نقلتا الفريق بالطائرات من دون مقابل. ووهبه أصحاب المعامل أجهزة قيمة منها مشرط حراري لنشر كتل الاسمنت، ومنهم من قدم تجهيزات بسعر الكلفة.

مع كل هذه المساعدات لم يكن الفريق ليؤدي مهمته لولا استعداد أعضائه لتأمين عدتهم من جيبهم الخاص. يقول برايس: "انهم يدفعون الكثير وهم راضون. بل انهم يدفعون ٧،٥ جنيهات استرلينية بدل اشتراك سنوي، وكأنما هو عربون لتتسنى لهم المخاطرة بحياتهم."

زلزال وبركان - نشأت فكرة الفريق الدولي للانقاذ عام ١٩٨٠ بعد زلزال ايطاليا حين تطوع مئات من رجال الاطفاء البريطانيين للمساعدة فرفضت الحكومة الايطالية طلبهم على مضض. وكان أحد أسباب الرفض استحالة تأمين الغذاء والمسكن لهذا العدد من العمال الاجانب في المنطقة المنكوبة.

بعد التفكير ملياً رأى بعض المتطوعين، وبينهم برايس (٥٣ عاماً) الذي يعمل اطفائياً بدوام جزئي، ان الحاجة ماسة الى فريق انقاذ يتمتع بالاكتفاء الذاتي فيؤمن بنفسه الغذاء والعدة اللازمة. يقول برايس: "كانت في بريطانيا فرق انقاذ للجبال والمناجم، ولكن لم يسبق أن طرح أحد فكرة انشاء فريق كامل الخبرة مستعد للطيران حول نصف الكرة الارضية لدى أول اشارة، في سبيل الانقاذ."

لقيت الفكرة تشجيعاً من مؤسسة

"أوكسفام" واللجنة الدولية للصليب الاحمر ووكالة الاغاثة في الامم المتحدة، ولكن لم يقدم أي منها مساعدة بل اكتفى الجميع بالقول: "انها فكرة جيدة. هيا، حققوها."

في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ أصبح الفريق جاهزاً للعمل ويضم خمسة وعشرين عضواً. وهو أدى مهمته الاولى بعد تسعة أشهر عندما ضرب زلزال مدينة مكسيكو. أرسل برايس مايك وايت وجيف ميلني (٤٠ عاماً) الذي يعمل اطفائياً بدوام جزئي، ليعملا مع فريق انقاذ فرنسي. ومن الضحايا التي تم انقاذها خلال ستة أيام من العمل امرأة وجدت حية بعدما دفنت تحت الانقاض أكثر من أسبوع.

وبرهن الفريق عن خبرة قيمة في التعبئة والتجهيز في كارثة تبعد ٨٠٠٠ كيلومتر. فحين ثار بركان في كولومبيا مدمراً مساحات واسعة، أرسل برايس فريقاً مجهزاً بعدة مستعارة، أهمها أجهزة سمع فوق - صوتية وآلة تصوير حراري قادرة على اكتشاف حرارة الجسم عبر الركام.

هذه المرة نظم برايس عملية الانقاذ كاملة. انطلق الفريق بقيادة مايك وايت مع أربعة فرنسيين التحقوا بالفريق. كان هدفهم يبعد ٩٥ كيلومتراً عن بوغوتا عاصمة كولومبيا، في مدينة أرميرو التي طمرها بحر من الطين البركاني الملتهب بلغ عمقه ستة أمتار في بعض الاماكن. والوسيلة الوحيدة للوصول كانت طائرة مروحية يمكنها ان تهبط في مساحة ضيقة من الارض بلغ طولها خمسين متراً. ولكن تعيّن على الفريق أولا التدلّي بحبال من المروحية وازاحة الجثث المنتشرة هناك والتي سُلق أصحابها وهم أحياء.

مشاهد مؤثرة - حدثت ثورة البركان في الليل ومعظم السكان نيام. وتحت الطين كان يرقد ٣٠ الفاً. يتذكر ويلي ماكمارتن: "نظمنا البحث عن الأحياء على مدار أربع وعشرين ساعة. وقد انصرف الجميع ولم يبق سوانا عاملا في الليل."

في النهار تعلّق اثنان من الفريق بزحافتي المروحية التي كانت تحلق على علو خمسة عشر متراً. وراح أحدهما يشغل آلة التصوير والآخر يستكشف بالمنظار عله يعثر على أحياء. وقد أدت آلة التصوير في الليل خدمة لا تضاهى بكشفها أشخاصاً أصيبوا بالغيبوبة نتيجة الحرارة الشديدة في النهار ثم أنعشتهم برودة المساء ومكنتهم من طلب النجدة. وراح رجل مسن يصفع الطين بيديه ليلفت الانتباه لعدم قدرته على الصياح.

طبع المنقذون شعار الفريق بطلاء أحمر على كل بيت جرى تفتيشه. وكانت الحرارة والرطوبة شديدتين. وقد طالعتهم مشاهد مؤثرة، كمثل ما وصفه نيل ورال (٤٢ عاماً) وهو متعهد بناء، اذ ذكر انه لن ينسى أبداً امرأة ميتة شاهدها في أحد البيوت راكعة ومادّة يديها محاولة انتشال أولادها من الطين. وبفضل رجال الفريق تم انقاذ أربعين شخصاً خلال احد عشر يوماً في أرميرو وضواحيها.

خلال مهمة أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ في السلفادور واجه الفريق المؤلف من أربعة عشر رجلا حوادث مؤلمة. فبعد

ثلاثة أيام من وصولهم انقسم الرجال مجموعتين، بقيت واحدة في المدينة مع ثمانية فرق من دول أخرى لتمشيط بقايا مجمّع ضخم للمكاتب والمتاجر دفن تحت انقاضه ٣٠٠ شخص.

عرفان بالجميل - أما المجموعة الاخرى فتوجهت الى الجبال حيث لم يجرؤ أي فريق انقاذ على اقتحامها خوفاً من الثوار الذين يسيطرون على تلك المنطقة. سار الرجال في طريق وعرة في عمق الادغال قادتهم الى قرية معزولة حيث وجدوا أربعين عائلة بقيت بلا ماء ثلاثة أيام، وقد لحق الضرر بكثيرين وتهدمت بيوتهم بفعل الانهيارات. اتصل مايك وايت لاسلكياً بالمدينة ونظم حملة لارسال المؤن بالمروحية وانزالها في القرية. وحصل على تصريح من زعماء الثوار يسمح لرجال الفريق ذوي المعاطف الزرقاء المميزة، بمساعدة الناجين.

في القرية تولى طبيب الفريق تيري غلانفيل (٦٦ عاماً) معالجة العظام المكسورة والجروح والاولاد الذين تعرضوا للصدمة. كذلك عالج امرأة كانت في حالة اسقاط. كان الطبيب عدّاء في سباقات الماراثون الطويلة، وبرهن أنه ندّ لثائر مسلح برز من الادغال وفي وسطه قنبلة كادت تسقط على الارض. فقال له الطبيب بحدة: "انزع عنك هذا الشيء الخطر وضعه على الارض. في وسعك أن تفجر نفسك اذا أردت، لكنك لن تفعل ذلك بنا نحن." وفيما القرويون يشاهدون ما يجري بخشية أطاع المسلح صاغراً. ويتذكر مايك وايت: "قال القرويون انهم لم يسبق أن شاهدوا نظير ما جرى أمامهم."

استغرقت المهمة ثمانية أيام عاد بعدها أعضاء فريق الانقاذ الدولي الى عائلاتهم وأعمالهم. انهم رجال عاديون حقاً، لكنهم أدوا مهمة خارقة واثبتوا كفاية فريقهم في أخطر الظروف الطارئة. وفي مطار هيثرو بلندن استقبلهم سفير السلفادور بكلمة: "ان بلادي مدينة لكم بالكثير. لن ننسى شجاعتكم أبداً."

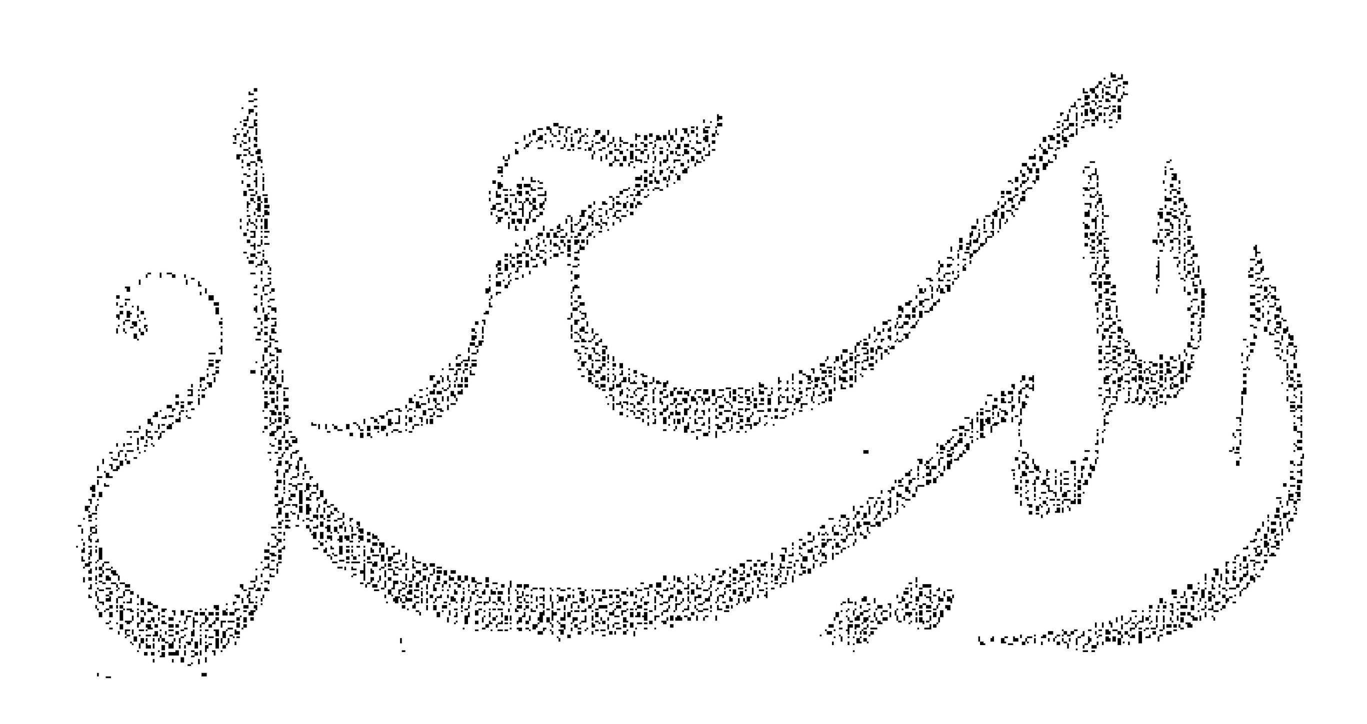
وفيما تنتشر أخبار انجازات الفريق في أنحاء العالم يسعى برايس الى زيادة عدد الاعضاء العاملين الى ستين، مما يكفي لتشكيل فريقين اذا اقتضت الحاجة وحدثت كوارث في أماكن متباعدة في وقت واحد. وهو يرى أن الحكومات، في مستقبل قريب، حين تواجه كوارث كبرى ستعمد الى طلب مساعدة فريق الانقاذ الدولي كاجراء طبيعي.

ويروي برايس بتأثر قصة فتاة فقدت والديها في الزلزال وأصرّت على اعطاء عناصر الفريق سبحتها للصلوات لكي تحفظهم وتحميهم من الاخطار. قال: "كانت السبحة كل ما بقي لها. والعواطف التي يبديها أمثال هؤلاء الناس تجعلنا نشعر بأن ما نفعله هو العمل الصحيح."

بيتر براون

الاهتمام بشؤون الاعداء يدل على غريزة سليمة لوقاية الذات.

هـ.ب.



تعالوا وانشدوا المعجزات التي يكشفها الظلام

استيقظت في الظلمة من جديد. أيقنت، من دون النظر إلى ساعتي، أن الفجر ما زال يبعد ساعات. تمددت متلوية متقلبة مغمومة بأحزاني القديمة أراقب أضواء السيارات تنعكس على السقف وأصغي إلى صرير المنزل القديم ونواحه.

أخيراً نهضت ومشيت نحو النافذة. شعت أنوار الطريق في الظلام كاشفة منازل جيراني النائمين. غلّف الصمت كل مكان، سكينة يستحيل وجودها في ضوء النهار. بدت النجوم البعيدة تنبض وترتعش وشعرت بأني أحدق إلى قلب الكون.

في هذا الصمت خمد شعوري بالوحدة وولج قلبي جمال الليل وسلامه. يا لعظمة الكون! يا لدنو الروابط بين السماء والارض!

كتب العالم الطبيعي لورين ايسلي: "يطرأ اختلاف خاص على الأشياء في الليل." هذا صحيح، فهو يغيرنا كما

Illustration: Alan Neider

يغير المناظر الطبيعية. الليل وقت النوم والأحلام والحب، وقت الجريمة والوحدة والخوف. إنه تشكيلة من الاختبارات أثمن من اختبارات النهار وأعمق. فالوعي يبدل مساره اذ ندخل سهرات الليل الغامضة.

أولا، يأتي الشفق، ذاك التوقف الرقيق بين النهار والظلمة الآتية. نثرات من نور تتلاشى على مضض ملقية ضوءاً خفيفاً فوق الاشجار ومضرمة النار في أسفل غيمة أخيرة. يومض الهواء كأن الشمس تتوانى عن الغياب. لكن الظلام يتصاعد من الأودية والغابات، ظلا تلو ظل، الى أن يختفي آخر شعاع من النهار.

في عالم الأفق هذا تنطلق صفارة القطار غير الملاحظة نهاراً والمقلقة الآن. تضاء أنوار الشوارع، تلك الأنوار الانسانية الودودة. تنطلق نجمة أولى منخفضة في الفضاء، وفوق الأشجار تماماً يشرق قمر جديد. تشع كل المنازل بالأنوار وتغمر جارتي ولديها وتدخلهما البيت.

عفاريت الليل - المساء وقت الرفقة، يتصل الناس بعضهم ببعض استعداداً لدخول عالم النوم المنعزل. يجتمع الجيران والاصحاب ويعود الوالدان من أعمالهما للتمتع بمنزلهما. إنه موعد التفاف الكبار حول النار في ليلة شتاء ولجوء الصغار إلى أسرّتهم مطمئنين إلى قرب والدتهم حالما تنطفىء الأنوار.

في الريف يتحول القمر نحو الحقول والغابات المغطاة بالثلوج. تأوي ساكنات الحظائر وتنام الدجاجات في خمها. يغامر قليلون بالسير وحدهم في الليل معتقدين أنه يحمل وحياً خاصاً.

في المدينة، المساء هو موعد الاحتفالات، وفيه يتفشى الخطر والعنف، كذلك يغمر المدينة جمال فتّان إذ يبدل نور الشمس بأضواء من صنع الانسان وتتألق سرادقات المسارح. قد يكون السعي الى التسلية محموماً في المدينة لكنه مبهج أيضاً، خصوصاً حين تفتن المسرحيات وفرق الرقص الحضور ويتبادل الأصدقاء الأحاديث في عشاءات احتفالية.

ليس المساء سوى مقدمة تنغلق فيها كوّات العالم. تنطفىء الانوار في البيوت وتتدنى الحرارة ويعم الظلام. يدنو منتصف الليل ولما يزل بنو الانسان خارجاً يحتفلون أو يغازلون أو يعملون. لكن الصفوف بدأت تتفرق. يستعد معظمنا للنوم والاستسلام الى أسرار الليل. إنها رحلة تتعذر فيها السيطرة على أنفسنا ويغلب علينا الخوف.

كم يرهف إحساسنا في الليل! وكم نشعر بالوحدة في الظلمة! يضعف دفاعنا الجسدي ونعاني رعب الظلام الغامض الذي سيطر على الانسان منذ البدء.

أذكر، وأنا طفلة، أنني كنت أنام في مكتب والدي إذ لم يكن لي من متسع آخر. تحت ضوء النجوم بدا جلبابه الأسود الطويل المعلق فوق الباب كوحش ضخم، والقاموس على قاعدته كمسخ في قصة مرعبة. يقولون ان العفاريت تقبض على المرء في منتصف الليل حتى بعد أن يكبر، إنها عفاريت المآسي القديمة والذنوب والقلق. يطردها النشاط الجسدي نهاراً لكنه يعجز عن ردّها ليلا فتنقضّ علينا كالفهود.

في آخر الأمر يغلب علينا النعاس. تسترخي عضلات الجفون، ومهما حاولنا فلن نتمكن من فتحها.

عالم الأحلام – ننام ونحلم. ما زال الناس يتساءلون عبر التاريخ: "ما هو الحلم وماذا يعني؟" لدى العلماء أجوبة قليلة. إلى حد ما، تبدو الأحلام سبيلا لاكتشاف الذات.

غالباً ما يعلّمني حلم واحد أكثر مما أتعلمه في شهر. إتهمت مرّة بكوني فظة مع الآخرين. وفي الحلم سمعت جوقة من الأصوات اللطيفة تنادي: "الناس حساسون." في اليوم التالي تذكرت مواقف كنت فيها لامبالية أو سريعة التعليق، فأخذت أردد في نفسي: "الناس حسّاسون! الناس حسّاسون!"

عثرت في أحلامي أيضاً على زوجي وولديَّ الذين فقدتهم. ضحكنا ومرحنا وسافرنا معاً. ان عالمة النفس آن فاراداي تدعو الأحلام "أفكار القلب."

ومن الواضح أن الأحلام تحرك فينا إبداعاً عظيماً.

بالنسبة الى المصابين بالأرق، تبدو الثالثة صباحاً أكره ساعات الليل. في هذا الوقت تكون جميع أضواء الأرض انطفأت وعلامات قليلة تشير إلى وجود الناس في الخارج. إنها أكثر الساعات رعباً ويأساً إذ يشتد الشعور بالمرض والوحدة والخوف ونتوق إلى الاقتراب مما هو دافىء وإنساني.

بعد هذا الظلام الحالك ننتقل بأمان إلى المرحلة التالية "قبيل الفجر." جميع الأشخاص الذين تقلبوا وتلووا طوال الليل يغطون الآن في نوم عميق مسترخين ومبتهجين. أما الذين اعتادوا الاستيقاظ باكراً فتحمل لهم هذه الفترة ملذات خاصة. ينفتح العقل والقلب أمام معجزات الكون ويسهل الايمان بأن الأرض تتحرك في الفضاء كمركبة كبيرة نحن روادها.

تعلن السماء عن الفجر قبل بزوغه بوقت طويل. تظهر ظلال الاشجار والمنازل وتومض النجوم تدريجاً ويبهت ضوء القمر. يبرز شق من الاشعاع في الأفق الشرقي. أخيراً يزهر النور.

أنظر من نافذة حجرتي. العالم هادىء مثل بحيرة في نهار بلا رياح لولا زقزقة عصفور متكررة. شعّ النهار أو كاد، لكن أنوار الشارع ما زالت مضاءة.

يخرق شروق الشمس ظلال الصباح ملمعاً أغصان الصنوبر ومحولا جذع القبقب بريقاً. تعلو سحائب زهرية وبرتقالية في السماء الباهتة الزرقة، بعضها ناعم كالأزهار وبعضها يصطدم بأشعة الشمس مثل شرارات متناثرة من مشعل.

ماذا يحمل هذا النهار؟ أشعر برعشة البدايات الجديدة. أصرف من ذهني سحر الليل، لكني على يقين بأنه ما زال في داخلي يمنح نور النهار الممل وميضاً من فتنة النجوم.

أرديس ويتمان

المسائل التي لم تُحلّ، لا تلك التي تم حلها، تبقي العقل ناشطاً.

أ.ج.

السيجارة في قفص الاتهام

ذوو ضحايا التدخين يلاحقون شركات التبغ التي تمارس نفوذها ضدهم وتحاول التقليل من أهمية التحذيرات الصحية بالاعلانات المشوقة...

خلال الأشهر الأخيرة من حياة زوجها غاب النوم عن عيني دولي روت. فهي بقيت إلى جانب سريره تعتني به الى أن توفي قبيل ميلاد ١٩٨٣ من جرّاء قصور في القلب وسرطان رئوي.

بعد سنة رفعت دولي دعوى ضد شركة "السيجار والتبغ" التي كان زوجها، البنّاء المتقاعد، يحشو غليونه بتبغها. واتهمت الشركة بأنها تعرف أن مضار التبغ تفوق ما أعلن في التحذيرات ومع ذلك لم تأتِ على تنبيه زبائنها اليها.

وهكذا بدأت معركة قضائية امتدت نحو سنتين ولم تنتهِ إلاّ عندما أسقطت دولي شكواها في فبراير (شباط) ١٩٨٧. وأكّدت الأرملة البالغة من العمر ٧٣ عاماً أنها لم تعد تتحمل الأسئلة المرهقة التي لم ينفك محامو شركة التبغ يطرحونها عليها، اذ أمضوا أياماً يسألونها بالحاح عن مواضيع شتّى كعقمها وشعور زوجها حيالِ اضطرارهما الى التبنّي قبل ٤٠ سنة. وتترقرق الدموع في عينيها اذ تتذكر: "باتوا يلحّون عليّ طارحين أسئلة حول علاقتنا الحميمة. فما شأن ذلك بموت زوجي؟"

ان ترتيبات كهذه تقف وراء النجاح الهائل الذي تحققه صناعة التبغ في هزم الدعاوى التي يتقدّم بها المدخنون أو عـائلاتهم المتحسـرة على فقدانهم. (تشارلز بريبير محامي شركة "السيجار والتبغ" يبرر هذه الاجراءات قائلا: "من

Condensed from The Wall Street Journal (April 29, '87),

المناسب أن نطرح أسئلة حول كل وضع يثير التشنج في العائلة.")

ما زالت صناعة التبغ تحارب مثل هذه الشكاوى منذ بداية الخمسينات. ولم تدفع درهماً الى اليوم بدل عطل وضرر أو كتسوية في حالات المرض المترتبة على التدخين. ويكمن سرّها في أجهزة دفاع تموّلها بسخاء فتؤدي مهمتها بعدوانية ضارية ترعب المدّعين أو ترهقهم قبل أن يمثلوا أمام القضاء.

واليوم تخضع استراتيجية صناعة التبغ لامتحان عسير. فنمو العداء تجاه التدخين في الولايات المتحدة آل إلى ارتفاع عدد الدعاوى ضد الشركات إلى أكثر من ١٤٠، وجُرّت شركات التبغ كلّها إلى حلبة المعركة. فان صدر حكم واحد في حق احداها أضحى كارثة على الصناعة كلّها، اذ انه قد يحرّك ألوف الدعاوى القضائية الأخرى. لذا أدرجت شركات التبغ أسماء حشد من المحامين على جداول رواتبها. وأظهر احصاء حديث أنه تمّ اعتماد ما يزيد على ٧٠ مؤسسة محاماة. كما أن الشركات عمدت إلى توكيل أطباء وعلماء نفسانيين ليدلوا بشهاداتهم أمام القضاء.

تضمّ قوى صناعة التبغ ما يشبه الجيش الذي هو في حال تأهّب قصوى. فالمخبرون السريون ينقّبون في أحياء المدعين وأماكن عملهم بحثاً عن اشاعات قد تكون مفيدة. ويقيم المحامون محاكمات سريّة زائفة ليختبروا ردود فعل الناس حيال الحجج القانونية. ويقول كالفرت كراري الذي يعمل محللا قضائياً في شركة "بير وسترنز": "تظهر صناعة التبغ اليوم عرضاً للقوى مهيباً، إذ يدور الرهان حول أفضل السلع مبيعاً: السيجارة."

[illegible] — من الواضح أن الحظ يعاكس المدّعين. ففي حربهم ضد صناعة غنية وقوية تراهم يلجأون إلى نظريات قانونية غير مألوفة تضع على المحك قوانين تحمّل السلع المنتجة مسؤوليات جرمية. وفي كثير من القضايا يؤكد المدعون أن التحذير على علب السجائر وفي الاعلانات لم ينبههم على نحو مناسب إلى أخطار التدخين. ويذهبون إلى الجزم أن الاعلانات التي تنشرها الشركات تقوّض التحذيرات أو تتحداها مباشرة. ويحتج بعضهم أيضاً بأن السجائر تسبب الادمان فيتعذر عليهم تغيير عاداتهم وإن تم تنبيههم إلى الاخطار.

وتعتمد صناعة التبغ التنبيه كوسيلة دفاع رئيسية. وقد أمر الكونغرس (البرلمان) الامريكي عام ١٩٦٥ بادراج سلسلة تحذيرات لطيفة على علب السجائر وفي الاعلانات. ولما حددت الابحاث الطبية مزيداً من الروابط بين التدخين والمرض أجاز الكونغرس عام ١٩٧٠، ثم عام ١٩٨٤، اعتماد عبارات تحذير تفوق الأولى صرامة. وتحتج شركات التبغ بأن التحذيرات ترفع عنها المسؤولية القانونية.

وتضرب صناعة التبغ كذلك على وتر "المسؤولية الشخصية" مع أنها ما زالت تصر على أن البحث العلمي لم يثبت بعد أن التدخين يسبب مرضاً. ويقول جون ستروتش أحد محامي شركة "نابيسكو":

"ما زلنا نؤمن بأن المرء مسؤول عن تصرفه." وهو يسوّي أخطار التدخين بأخطار شرب الكحول وتناول الأطعمة التي تحوي نسبة عالية من الكولستيرول.

ونجح المدّعون في اقلاق وسائل الدفاع لدى صناعة التبغ، لكنهم لم يفلحوا بعد في خرقها. فمنذ العام ١٩٧٧ لم تمثل أمام القضاء سوى ثلاث قضايا ربحها المدعى عليهم. وفي إحداها أصدر القاضي حكماً لمصلحة شركة التبغ قبل أن تقدم دفاعها. لكن قضية أخرى نبّهت صناعة التبغ إلى الأخطار التي قد تتعرّض لها في الدعاوى القضائية.

ففي سانتا بربارة بولاية كاليفورنيا تداولت هيئة المحلّفين عام ١٩٨٥ لأكثر من يومين قبل أن تصدر حكمها بنسبة ٩ أصوات إلى ٣ لمصلحة المدعى عليها، شركة "نابيسكو." ولما كان بعض المهتمين رأوا القضية في منتهى الضعف (اذ ان المدعي توفي عن ٦٩ عاماً من جرّاء مرض قلبي وليس بسبب سرطان رئوي ولم تشرّح جثته) فقد ذهلوا عندما نالت الجهة المدعية أصوات ثلاثة محلّفين.

ويقول كالفرت كراري: "لا بد من أن تخشى صناعة التبغ عواقب خلاصها العسير. فهي لن تفلت دائماً بمثل هذه السهولة."

ممارسات عنيفة — مع ذلك يبقى المدعون في موقف ضعف. فشركات التبغ تمارس نفوذها القانوني الهائل كلّما سنحت لها الفرصة. فقد سعت شركات "ليغيت غروب" و"لوز" و"فيليب موريس" إلى سحب قاضٍ اتحادي من قضية في نيوجرزي زاعمةً أنه متحيّز بعدما جاء عدد من أحكامه لمصلحة المدّعين. وتحوّل شركات التبغ عمل محامي المدّعين مهمة شاقة إذ تحول دون جمعهم الأدلّة. وقد اضطر أحد المحامين، ويدعى جورج برالي من مدينة آدا في ولاية أوكلاهوما، إلى الحصول على أمر من القاضي ليمنع دخول موظفي الشركة المدّعى عليها غرفة التوثيق حيث كان يدرس ملفاتها. فما كان من الشركة إلّا أن هدمتْ جدار الغرفة وأقامت مكانه نافذة زجاجية واسعة.

أما المناورة الأكثر هولا فهي تلك التي يدعوها محامو المدعين "الجدار البشري." ويقول دانيال شيلدز وهو محامٍ من فيلادلفيا في ولاية بنلسفانيا يتولّى قضيتين: "تذهب إلى المحكمة لتناقش استدعاء بسيطاً، وإذا باثني عشر محامياً يظهرون إلى جانب الدفاع."

ففي ربيع ١٩٨٧ خلال محاكمة أجريت في مدينة أوكلاهوما، استخدمت شركة "يو. إس. توباكو" ثلاث مؤسسات محاماة.

وتصرّ الشركات على التنقيب في حياة المدّعين من المهد إلى اللحد. فيتم التدقيق في الزواج والصحة وأحداث العمل وعادات الأكل وحتى الممارسات الدينية. ويبحث التحريون أيضاً عن الجيران وزملاء العمل والمراقبين وزملاء الدراسة وأطباء العائلة وغيرهم.

وقد تقفى التحريون يوماً جيران مدعٍ من كاليفورنيا انتقلوا إلى فيربانكس في ولاية ألاسكا. وتقول المدّعية لويز ساهلي:

"لم نرَ أولئك الناس منذ عشر سنين، ولا يسعني أن أتصوّر ما ظنوه. وقد لاحق المخبرون كلّ من عرفنا. أتوا بمذكّرات إحضار وهددوا الناس بالسجن."

إعلانات مضللة – يدّعي محامو الدفاع أن هذه الممارسات ضرورية لتحديد أسباب مرض المدخنين. لكن محامي الادعاء يصرّون على أن التحقيقات إنما تهدف إلى الازعاج والمضايقة. ويقول المحامي جورج كيلبورن من مدينة مارتيناس في ولاية كاليفورنيا: "انهم يظلّون يبحثون في ماضي المدعي إلى أن يجدوا ما يلحق به أذى، كحادث انتحار في العائلة أو مرض تناسلي. ثم لا ينفكّون يتحدّثون عن ذلك إلى أن تسقط الدعوى."

مع ذلك يراهن محامو الادعاء على أن التبغ قابل للقهر. والأمل بربح ملايين الدولارات جذب حشداً من المحامين إلى هذا الميدان. وكان كثيرون منهم حققوا ثروة طائلة في دعاوى معدن الاسبستوس، بعدما تبيّن أن خيوط الاسبستوس تسبب مرض السرطان، وهم الآن يبحثون عن أهداف جديدة. انهم اليوم أفضل إعداداً من متحمسي السنوات الماضية. وقد اتحدت مجموعات من المحامين في تكساس ونيوجرزي لتتقاسم الموارد ووضع خطط للعمل. وتتولى منظمات مثل "صندوق روكفلر" دعم هذه الجهود. وتعلّق الحركات المناهضة للتدخين آمالا عظاماً على قضيتين ستمثلان أمام المحكمة هذه السنة في مسيسيبي ونيوجرزي وتدعم كلا منهما مجموعة محامين أمضت سنوات في تحضير مرافعاتها.

قدّمت الدعوى الأولى في مدينة لكسنغتون بولاية مسيسيبي لمصلحة عائلة ناتان هورتان وهو متعهد بناء توفي في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧ عن خمسين عاماً على أثر سرطان رئوي. وتقاضي العائلة شركة "أميريكان توباكو" التي بدأ هورتان يدخّن سجائرها "بول مول" في سن المراهقة قبل أن يظهر التحذير على علب السجائر. وتتهم الدعوى الشركة بـ"الاهمال الفاضح الهادف إلى إبطال الادلة الطبية على أن التدخين يسبب الادمان والسرطان الرئوي والموت." فمن خلال إعلان زائف ومضلّل "حاولت شركة أميريكان توباكو أن توهم الناس بأن تدخين السيجارة لذيذ ينم عن مركز اجتماعي رفيع ويقترن بالنجاح والمجد والرياضة والحب وجميع النشاطات التي تمارس في الهواء الطلق."

ومن الاعلانات التي سيؤتى على ذكرها في القضية واحد يعود إلى الخمسينات ويدعو المستهلكين إلى "تفادي ألم الحنجرة" بتدخين سجائر "بول مول." أما شركة "أميريكان توباكو" فترفض التعليق.

باتريشيا بيلو غراي

ستبرز آفاق علمية جديدة على الدوام، حيثما وُجد ذهن منفتح ويد راغبة في العمل.

تشارلز كيترينغ، مخترع كهربائي



حضرت قبل فترة قصيرة جنازة لن ينساها أي شخص شهدها. فالوفاة كانت مأسوية. لكنها لم تتصدر عناوين الصحف، فهي حدث شائع.

كان التابوت يحوي جثة فتى لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، وهو ابن صديقي وزميلي في العمل. كان سليماً وسعيداً وزاخراً بالنشاط. وقد بلغ الصف الثانوي السادس وأسس نادياً للدراجات النارية وكان زعيم فتيان الحي. وأجمع معارفه على هدوئه واتزانه وحذره الشديد في قيادة دراجته النارية.

وصبيحة ذات يوم أحد ذهب في نزهة على دراجته إلى ضاحية هادئة شمال لندن ولم يعد. وبعد مضي أسبوع كانت الشرطة لا تزال جادة في سعيها الى معرفة ملابسات الحادث. ولم يتبيّن لها سوى أن سيارتين وركيزة اسمنت لعمود انارة كانت جزءاً مما حصل.

وصلت سيارة الاسعاف في وقت قياسي وأمضى الأطباء ساعات في جمع الأشلاء وهم يبكون من فرط تأثرهم لهول الحادث.

ومثلهم فعل المعزون الذين جاؤوا إلى

متى ننتهي من القتل
الذي لا مبرر له؟



المدافن. لا شك في أن الفتى كان يتمتّع بشعبية واسعة. الواقفون أكثـر من الجالسين، وقد تنوعت أعمار الحضور وطبقاتهم الاجتماعية وأعراقهم وحتى تسريحات شعورهم.

بدت المناسبة دنيوية في مظاهرها ولم تتميز بالكآبة. بعد العظة تولّت صديقة الفقيد إسماع المعزين تسجيلا للأغاني الشعبية التي أحبها. فالاحتفال جاء وداعاً لحياة غنية خفيفة الظل حساسة ضاحكة كريمة زاخرة بالأمل والحب والوعود.

وتفجرت العواطف إذ أغلق التابوت، وتضاربت بين الصدمة والعطف والغضب والشفقة. وانتاب البعض شعور مخيف وأفكار من نوع: لحسن الحظ انه ليس إبني.

لكن الأمر سيان بالنسبة الى العاملين في دفن الموتى. فليس مستغرباً لديهم مقتل مراهق يقود دراجته. ربّما لأن حوادث السير تبدو عادية جداً حين تصيب الغرباء فنعتبرها من قبيل الأمر الواقع، علماً أنها تقصف الاعمار بعنف الى حد أن مجازر الحروب وحدها تفوقها أذية.

يبقى السكر هو القاتل الأكبر. وهنا أيضاً السرعة الفائقة والخطأ في دوس الكابح أو إدارة المقود أو لحظة قصيرة من فقدان التركيز أو نسيان إعطاء إشارة ضوئية. فجميعها عوامل قاتلة، وذنب الضحية الوحيد هو الحظ العاثر الذي شاءها في المكان غير المناسب في اللحظة غير المناسبة.

قيل في الجنازة إن ذكرى الفقيد ستظل ماثلة، ولكن ما لم يعرف ولن يذكر هو الامور التي كان سيقولها ويفعلها ويؤول اليها لولا وفاته.

فكلمة "لولا" تكفي وحدها لاطلاق ألوف عبارات التأسف. فالحوادث غير المتوقعة والتي لا مبرر لها تحطم الايمان بعالم يتسم بالنظام وتدمر القناعة بالتعقل والنية الحسنة. ولئن يكن للمرض من سبب، فان الحادث هو في الغالب إبن السخافة المجرّدة.

من منا ينكر أنه، خلف مقود سيارته، لم يقامر يوماً بأرواح الناس؟ الحوادث لا تعطي تفسيراً ولا توفّر عزاء لمن المتهم، لكن لحظة قصيرة من التفكير في سخافتها قد تدفع السائق إلى الامتناع عن تناول الكحول أو الى النظر في المرآة عند المنعطفات، فتجعل أماً أو شقيقاً أو حبيباً أوفر حظاً مما قد يظن.

بن بيملوت

فندق صيفي

أثناء إقامتي في فندق بدت غرفتي رائعة تماماً. وذات يوم أمطرت بغزارة فاكتشفت رشحاً في سقف الحمام.

وحين سألت المدير عما سيفعله أجاب: "سيدي، أنا لا أستطيع إصلاحه تحت المطر. وعندما تشرق الشمس لن تبقى حاجة الى ذلك."

ر.ل.

علّموا أطفالكم حبّ المشاركة

الكرم لا يأتي بالسليقة، انه ينمو مع الثقة بالنفس والشعور بالامان. هنا ارشادات تساعد الاهل كي ينشئوا أطفالا كرماء

كانت ابنتي رونا في الثامنة عندما عثرت تحت شجرة الميلاد على دمية أحلامها. وهي دمية كبيرة الحجم، عاطفية على نحو قديم الطراز: لفّات شعر شقراء طويلة وأهداب كثيفة وثوب من التفتة وردي مخرم. طبعاً، عند ظهور أحد الاصدقاء وتلاوته السؤال المعهود في العيد: "ماذا كانت هديتك؟" تبرز الدمية الجديدة.

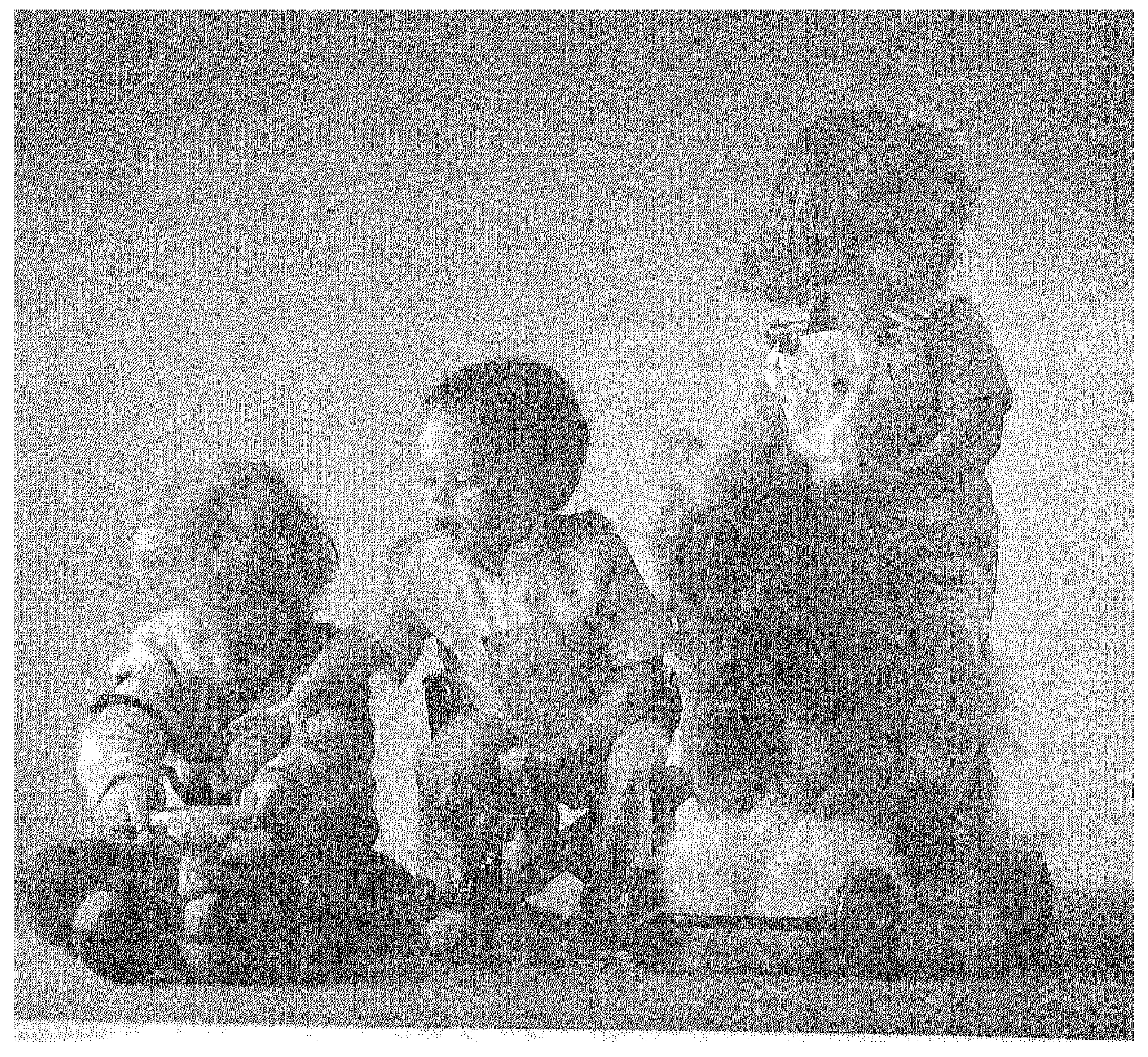
تناهى إلي وأنا في المطبخ أقشر ثمار الكستناء صوت حديث ينذر بسوء: "لنلعب لعبة البيت، سأكون الأم وآنا ابنتي الصغيرة." انه صوت ابنتي كاتي، وكانت في السادسة من عمرها وذات تصميم لا يعرف الاستسلام.

– لا، لا، لا تنزعي ملابسها. أرجوك يا كاتي، خذي الدمية الأخرى.

"اني أريد هذه." وتعالت أصوات العراك والصراخ. "ينبغي أن نتشارك."

لفظة "تشارك" أخذت تتردد في نفسي. عيد الميلاد، السلام، الوداد، حسن الطوية. اندفعت بعنف مقتحمة حجرة النوم حيث وقفت البنتان تحدقان بانشداه كل منهما إلى الأخرى. ونطقت الحكم المبرم: "رونا، أعطي كاتي دوراً." انتزعت كاتي الدمية فيما ولولت رونا وانسحبت. شعرت بأني فعلت الأمر الصحيح. وبعد لحظات جاءت كاتي وهي تهبط الدرج بقوة وهرعت خارجة من الباب. وتبعتها رونا متشبثة بالدمية "آنا" التي تدلت احدى ذراعيها رخوة من كم ثوبها الوردي المخرم. قالت لي دامعة: "طلبت منها ألا تنزع ملابس آنا. انظري، لقد كسرت ذراعها، والتنورة ممزقة."

اني اذ أتذكر تلك الكارثة البسيطة تصدمني حماقتي، ليس في تدخلي بشجار أخوي سخيف، بل بالحاحي على أن تتخلى رونا عن شيء جديد ثمين من مقتنياتها.



كم من الراشدين يشاركون الآخرين في ظروف مماثلة؟ اني لأعلم ما كنت سأجيب أختي ان طلبت مني أن تستعير القلادة العتيقة التي أهديت الي قبل أيام: "هذه القلادة عزيزة علي، ولن أقبل باعارتها. ولكن يمكنك استعارة عقد اللؤلؤ."

سخاء الشبعان – معظم الآباء يرغبون في أن يكون أطفالهم أسخياء. ولذلك سبب وجيه: البذل بكَرَم نفس يساهم في التآلف الاجتماعي والسعادة الفردية.

وثمة سبب آخر غير وجيه: كثيراً ما ينظر الآباء إلى الطفل مندوباً عنهم في العالم. لذا فان الطفل الشره الاناني يبدو كأنه يميط الستار عن الحقيقة البغيضة للأم والاب. فإما أن يكونا أنانيين واما أن يكونا غير كفيين كمرشدين. وحين يكون الضغط من أجل المشاركة ناتجاً من حاجة الاب أو الام الى البروز كوالدين صالحين، فان الطفل لا يستكشف متعة العطاء، وما يتعلمه في الواقع هو: "دميتي – أو دراجتي أو قطاري – ليست لي فعلا. انها

لأمي وأبي. وعلي أن أشارك الغير في ألعابي، سواء أرغبت في ذلك أم لم أرغب."

الرضع لا يشاركون الآخرين. قد يعرض الطفل ذو الاشهر التسعة، في لحظة هازلة، كعكته المحلاة مرفقة بابتسامة ملائكية. ولا يلبث أن ينتحب عندما يقضم أخوه قطعة منها. وقد يتخلى الطفل ابن السنتين عن سيارته الزرقاء اذا تشوق إلى أخرى خضراء أو اذا وافقه المزاج أو لم يكن يأبه لتلك السيارة أصلا.

هذه ليست مشاركة، انها القيام بما تمليه الفطرة. اني أتذكر غضب ابنتي ذات السنتين عندما أدار أحد الزوار الصغار ذراع صندوقها الموسيقي فندّت منه بعض نغمات. وطمأنتها: "باتريك يجربه فقط، وسيعيده إليك قبل أن يعود إلى بيته."

وبعد لحظات قالت جويس وهي تقف بثبات أمام المتطفل: "باتريك، عد إلى بيتك!"

قبل أن تتمكن الطفلة من اعارة دميتها بحرية، ينبغي أن تتأكد من أنها تخصها. لذا فإن السلوك الحكيم مع الاطفال دون الرابعة هو تعزيز حقوق ملكيتهم قبل الطلب منهم التخلي عن الالعاب وإن لفترة وجيزة.

عند اندلاع شجار جربي هذه العبارات: "سارة تود أن تأخذ دميتك في نزهة بعربة الاطفال، وستعود بعد دقائق. أليس كذلك يا سارة؟"

هذا ليس استسلاماً لصاحبة الدمية، لكنه ارساء القاعدة لسخاء نابع من حاجات تم اشباعها.

ممنوعات ومسموحات - خلال السنة الثالثة من العمر يكتشف معظم الاطفال بهجة رفقاء اللعب والحاجة الى الاخذ والعطاء أثناء اللعب. الانزلاق يغدو أكثر امتاعاً مع صديق يندفع معه الطفل. والطفل في الثالثة يشارك غيره معظم الوقت (وليس دوماً) لان له نصيباً في المشاركة: مبادلة عادلة أو صحبة أو اطراء من راشد.

ولدى بلوغه الرابعة يستطيع الطفل الذي أغدق عليه الحب والارشاد أن يستجيب لمشاعر الاولاد الآخرين الذين لا يملكون دراجات.

اذا ما أردتِ أن تنشئي طفلا سخياً فالممنوعات واضحة:

- لا تكرهي الطفل على المشاركة في ممتلكات يشعر نحوها بتعلق شديد، كمضرب كرة أو "آنا" الدمية القديمة الممزقة التي تملكها الأم.
- لا تلقي محاضرات عن روعة حب الآخرين وشناعة رفض المشاركة. ولا تنخدعي بالالعاب في الاعلانات باعتبارها أدوات مساعدة على تعليم السخاء (وكأن المرء يحتاج إلى دمى خاصة بأمر كهذا).
- لا تعاقبي طفلا بقسوة لرفضه المشاركة. واذا ما انخرط في صراع على شيء يملكه، فمن المناسب إفراده عن الغير وإرساله إلى غرفته حتى يصبح في وسعه أن يسلك بلباقة أكثر. أما اسقاط الدمية من يده أو "مصادرتها" دوماً فقد يثير استياءه ونفوره من المشاركة.

ولكن ماذا عن المسموحات؟ ان الاسلوب البنّاء يستدعي منك الأمور الآتية:

١. اضربي الأمثال وعلمي طفلك حذق فنون المفاوضة. لنفرض أن نيكول لكمت غابي لأنه لا يدعها تركب دراجته. تخيلي هذا النقاش:

أنت: "هل يود غابي ان يعيرك دراجته اذا ما سميته غبياً؟ أتظنين أنه سيسمح لك بالركوب اذا ما ضربته؟"

نيكول (ممانعة، لكنها ترى بصيص نور): "لا."

أنت: "اسأليه ان كان يسمح لك بالركوب دوراً حين ينتهي، واشكريه بلطف."

هذه التكتيكات البسيطة تفعل الاعاجيب. حتى الولد يدرك أن الصغار لن يتكيفوا مع من يضرب أو يبدي تعليقات فظة. والطرفان تطمئنهما فكرة الدور حينما يصبح اللاعب جاهزاً للتنازل عن لعبته. والطفل الذي يمسك شيئاً في حيازته يحس بالسيطرة، فهو من سيقرر متى يسلم لعبته إلى الغير. أما المتوسل فسلواه أنه يمني نفسه. فدوره آت.

٢. ساعدي طفلك على تفهم مشاعر الآخرين. في أحد مشاريع الابحاث جلس الأولاد في رياض الاطفال إلى شريط فيديو يظهر رد فعل طفل على فقده مجموعته من البلل (الكلل). وانتهى الشريط بلقطة مأخوذة عن قرب لوجه طفل كئيب.

بعد العرض خُيّر المشاهدون الاطفال بين اللعب بدمية وادارة آلة تقذف بللا تذهب جميعها الى الطفل الذي فقدها. فأخذ الاطفال، الذين أثيرت مشاعرهم على نحو جلي خلال عرض الشريط، يديرون ذراع الآلة بحماسة، لأن التعاطف مع شخص متألم أوجد رغبة في المساعدة بدلا من اللهو.

في وسع الاهل أن يشجعوا هذه المشاركة الوجدانية. ويمكن الام أن تفسر لابنها فيليب صنيع أخته جينا بتهديم المربعات الخشبية التي شادها: "إنها حزينة لانك لم تسمح لها باللعب معك. وعندما يحزن الناس يقومون بأعمال وهم فاقدو الصواب. إسألها هل ترغب في مساعدتك لبناء أحد الجسور."

٣. دربي أولادك على المشاركة. قد يبدأ ذلك في سن الطفولة، قبل نشوء حافز الكرم بأمد طويل. تمسك طفلتك مرآة فيما تقبضين أنت على مجموعة من الملاعق. أعطيها الملاعق برفق وابتهاج، خذي المرآة، الوي قسمات وجهك (ها هي ماما) ثم أعيديها اليها. وبالتبادل المتكرر يتعلم الطفل المبادلة والثقة.

أما مع الاطفال الاكبر سناً فتَعلُّم المشاركة على أفضل نحو اذ تتوافر كميات أكبر من الشيء الواحد، كبطيخة حمراء كبيرة أو كيس كبير من الفشار (بوب – كورن)، أو اذا ما كان اللهو قائماً على التعاون.

يعبر الدكتور بنجامين سبوك عن هذا الأمر حسناً اذ يقول: "بقليل من التشجيع لا يحس الطفل أن المشاركة تعني تجريداً من المقتنيات، بل انها وسيلة جديدة وأكثر نضجاً للمتعة."

٤. اعتمدي تمارين "تمثيلية" لتفادي المشاكل. ان طفلة في الثانية

من العمر مدعوة إلى حفلة عيد ميلاد، ستعمد على الأرجح إلى انتزاع هدية الطفل صاحب العيد، إلا اذا تلقت تدريباً سابقاً. فهي قد تسأل: "كيف يحوز كل الالعاب؟" وقد ترفض التخلي عن الهدية التي أحضرتها. انها في حاجة الى من يخبرها غير مرة أنه دور الصديق ليقيم حفلة ميلاده ويتلقى الهدايا، وأن دورها آت في يوم آخر. كما أن حضها على المشاركة في اختيار هدية قد يخفف عنها صدمة التنازل، خصوصاً اذا سُمح لها بأن تنتقي لعبة صغيرة لها.

٥. شجعي التجارب التي تجيز للاطفال أن يساعدوا من يحتاج إلى العون. ان أجيالا من الأمهات حضضن أطفالهن على التهام الطعام قائلات: "الاطفال في الهند يموتون جوعاً." ان نجاح ذلك في جعل ثمار اللفت والفجل تبدو اكثر جاذبية أمر محتمل، لكنه يقيناً لم يوسع إدراك الطفل عن عالم جائع. أما الآن فان التلفزة تدخل البيوت صوراً حية عن البؤس البشري الذي يؤلم الصغار والكبار على السواء.

قد يتمكن الآباء من شغل العائلة بأسرها في حملة لجمع التبرعات، وفي وسع الفتية أن يصنعوا كعكاً يبيعونه إلى الاجداد أو الجيران، وفي مقدور الاولاد أن يكسبوا المال في تأدية خدمات صغيرة. بالتمتع بالكسب والعطاء يستكشف الاطفال أن البذل يمنح شعوراً بالرضا.

٦. أظهري أن الاهتمام، كالممتلكات، يجب أن يشارك. دأب أحفادي على زيارتي، كل على حدة، وهو ترتيب أتاح لي بذل انتباه تام لكل طفل، وتدليلا كاملا. وفي السنة الماضية حضرت أودري (٧ أعوام) وتشارلي (٣ أعوام) معاً. كان اليوم الاول كابوساً جاثماً. فقد تذمرت أودري من عدم ذهابنا الى الحديقة المائية لأن أخاها صغير جداً على تعلم الانزلاق على الماء. كما أكثر شارلي من الجدل في محل الدمى. وعاد التآلف حينما أدركت أن أودري تتقبل بعض القيود إذا ما أعطيت دوراً فاعلا. سألتها: "ما هي الأمور التي تروق تشارلي؟"

فردت متفكرة في الاشياء التي يلهو بها أخوها: "لا أظن أن في وسعه أن يخيط، لكنه قد يرغب في استكشاف القبو معي أو اللعب بلعبة المطعم." وكما ثبت في النهاية، كانت لعبة المطعم اكثر امتاعاً بمشاركة ثلاثة بدلا من اثنين، وقد استهوى أودري دور الدليل في مغامرات القبو: "أنظر يا تشارلي، ها هي علبة الخرز، أتود أن تخيطها؟ هذه صور ماما عندما كانت صغيرة..."

وعند انتهاء الزيارة، وبدلا من استجداء الانتباه، كانت أودري تمنح أخاها انتباهها مستمتعة بدور الناصح.

٧. تذكري أن للمُثل ايحاءاتها. في انتظار أن يتعلم الاطفال التهكم والسخرية من الراشدين، فانهم يؤمنون بالطيبة ويتأثرون بقصص البطولة: المرأة الثرية على سفينة "تيتانيك" الغارقة ترفض مكاناً لها في قارب النجاة لأنها تؤثر الموت مع زوجها. والمستكشف لورانس أوتس في الحملة الاسكوتلندية

الثانية إلى القطب الجنوبي يندفع بقوة في الثلج المميت ليترك المؤن القليلة لرفقائه الجوعى.

وعلى مستوى أقل رفعة، لكنه فاعل ايضاً، ينير مثال الأبوين سبيل الاطفال. انهم يلاحظون متى تخبز أمهم كعكات اضافية كي ترسلها إلى مركز المتخلفين عقلياً في الشارع، أو حينما يعير الاب جزازته الى جار اكبر سناً أو يجز له العشب بنفسه.

يقول العالم النفساني ارفين ستاوب الذي درس حياة أفراد بارزين غير أنانيين: "الآباء الذين ينقلون حب الغير بفاعلية يمارسون توجيهاً حازماً لاطفالهم باستعمال مزيج من الحزم والحنان والتفكير المنطقي. انهم يرشدون الطفل ليشارك غيره ويكون ذا نفع."

المصدر الأول للسخاء هو احترام الذات. فاذا شعر المرء بالرضا عن نفسه، فإن الاهتمام بالغير والمشاركة واللطف تعقب ذلك على نحو طبيعي. ويروي المربي جون هولت قصة عن الملاكم جون سوليفان. فقد دفعه رجل ثمل في محطة القطار، فتنحى سوليفان جانباً بهدوء. وسأله مرافقه محتجاً: "هل تسكت عنه؟ انك بطل العالم في الوزن الثقيل. لا يجوز أن تكون مهذباً إلى هذه الدرجة اللعينة."

فقال جون سوليفان: "ان في وسع بطل العالم في الوزن الثقيل أن يكون مهذباً."

كل طفل يشعر بأنه محبوب وقيّم وصالح هو بطل من الوزن الثقيل. يقول هولت: "اذا ما أتيحت تربية تخولهم أن يصبحوا بالغين ذوي شعور قوي بكرامتهم وجدارتهم وكفايتهم، فسيبسطون مشاعرهم كي تعانق أناساً آخرين."

فريديل ماينار ■

عروس للصغير

قال الطفل لابيه باعتزاز: "سوف أتزوج يا أبي!"

– أحقاً؟ ومن هي السعيدة الحظ؟

"جدتي."

– ولكن لا يجوز أن تتزوج أمي!

"ولم لا؟ هل اعترضتك حين تزوجت أمي؟"

م.و.

ابن أبيه

أثنا جولة في البستان شاهد المزارع ولداً في شجرة تفاح، فصاح به: "مهلا أيها الشقي، سأخبر أباك عنك."

فتطلع الولد الى أعلى ونادى: "يا أبي، هناك في البستان من يريد أن يكلمك."

م.و.

طلتها الجديدة


مجلة كل بيت

اسبوعية فنية ثقافية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، بسيطة، تهتم بشؤون كل بيت:

- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج
- بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

MISS ALHAJ



امتحان حسابي

أحجية المونوبولي

في لعبة "مونوبولي" أعطي كل لاعب كدسة أوراق نقدية. وكانت بين اللاعبين خبيرة مالية، فأجرت حساباً سريعاً وجدت على أثره أن مجموع قيمة الاوراق بلغ ٤٠٠٠ نقطة.

رتبت اللاعبة أوراقها، كل فئة على حدة: نقطة واحدة، خمس نقاط، ١٠ نقاط، ٥٠ نقطة، مئة نقطة. فوجدت أن عدد الاوراق من كل فئة هو عشرات مضاعفة. وأن عدد الاوراق من فئة النقطة الواحدة هو أكثر ٢٠ مرة من عدد الاوراق من فئة ١٠٠ نقطة. وأن القيمة الاجمالية للاوراق من فئة ٥٠ نقطة هي الاعلى (١٥٠٠ نقطة). وان عدد الاوراق من فئة ١٠ نقاط هو أكثر ١٠ مرات من عدد الاوراق من فئة ١٠٠ نقطة.

فما عدد الاوراق في كل فئة لدى هذه اللاعبة؟

باريس – ريفييرا

خطط فيليب رحلة لعائلته من باريس الى منطقة الريفييرا جنوب فرنسا، على أن يجتازوا المسافة في يوم واحد. وهو قدّر الوقت الذي سيصلون فيه اذا قاد سيارته بسرعة منتظمة على الطريق الرئيسية.

لدى مغادرة باريس في السابعة صباحاً كان فيليب يعرف أنه متى حان الغداء يكون قطع أكثر من نصف المسافة. وبعد ثلاث ساعات سألته ابنته ألكسندرا: "متى نتوقف لتناول الغداء يا أبي؟"

فأجابها: "بعد ساعتين نكون في المطعم."

وبعد اجتياز ١٥٠ كيلومتراً أخرى قال ابنه ألكسندر: "أماه، اني جائع." فهدأته أمه: "انتظر قليلا يا حبيبي، سنصل الى المطعم بعد نصف ساعة."

لدى وصولهم الى المطعم تناولوا الغداء ومكثوا نصف ساعة ثم عاودوا السير.

بعد برهة نظر فيليب الى ساعته وقال: "لقد مضت ساعة على توقفنا في المطعم."

وهنا غرق ألكسندر في حسابات ذهنية ثم هتف: "أبي، ان المسافة بين المطعم والريفييرا هي ٤٠٠ كيلومتر!"

فهتف أبوه: "أحسنت!"

هل يمكنكم تحديد ساعة وصول العائلة الى الريفييرا، والمسافة التي اجتازتها؟

الأجوبة في الصفحة ٩٤

جواهر لاليك

تألق هذا الفنان في صنع المجوهرات فخلد في عالم الفن الراقي



متحف كالوست غلبنكيان في لشبونة عاصمة البرتغال، معرض لمجوهرات باهرة ومذهلة مثل قطرات ندى في وادٍ مسحور. تحف براقة تجمع براعة الفن والخيال التي تميز أسلوب الفن الحديث. إنها أعمال رينيه لاليك المولود في فرنسا عام ١٨٦٠ والذي اعتبر فنان المجوهرات الأول في بداية هذا القرن.

لا يكمن إبداع لاليك في قيمة الجواهر والدرر، فالحجار الكريمة لا تعطي حُلاه ثمنها دائماً، وغالباً ما استغنى عنها. وعوض ذلك كان يمزج مواد مختلفة، كالقرون والعاج والذهب والمينا واللؤلؤ والعقيق وغيرها من الحجار نصف الثمينة، إضافة الى الزجاج الذي ركّز عليه في المدة الاخيرة لتصوير المشاهد الطبيعية المستوحاة من تأملاته الدقيقة ومخيلته الخصبة ومبالغته الفائقة.

صممت هذه الحلى في عصر اتسمت الازياء النسائية بالصدور الواسعة

Photos: Calouste Gulbenkian Foundation

والخصور الدقيقة، فتخطت بجمالها محدودية الازياء في أي عصر. وبين حشود الزبونات المعجبات كانت الممثلة الشهيرة سارة برنار التي فتنها "أسلوب لاليك" فخصّها الفنان بجواهر خارقة.


قيل ان برنار هي من قدّم لاليك الى المجتمع وان الممول كالوست سركيس غلبنكيان هو الذي جمع أعماله. وتجاوزت هذه الاعمال ١٥٠ قطعة معظمها

قلادة عاجية من عالم الأساطير، تصور القنطور الخرافي نيسوس وزوجة هرقل ديانيرا. تطأ قدما القنطور أعشاباً بحرية من الذهب والمينا تطابق الطبيعة بشكلها وتتفوق فناً بتصميمها. الحلية المعلقة في الاسفل هي من الأوبال (١٩٠٠ - ١٩٠٣).

صفيحة قلادة أنيقة (توضع حول العنق) تمجّد جمال المرأة وتساويه، بصرياً، بجمال الزهور. فيها حجر كريزوبراز (شبه كريم) محفور ومرصع بالذهب تؤطره زهرات خشخاش من الذهب والمينا مع ورقة ذهبية. وهو يوثق حول الجبين كما في التماثيل الرومانية واليونانية (١٨٩٩ - ١٩٠٠).



استوحت حركة الفن الحديث أعمالها من الطبيعة والخيال. يؤكد عرف الديك الطبيعي - الخيالي رغبة لاليك في تحويل المجوهرات تحفاً فنية خالصة. خُرّم العرف والغبغب بالذهب والأطراف بالمينا. أما المشط الثلاثي الاسنان فمادة قرنية. ويحمل الديك في منقاره حجر جمشت، وقد كان الحجر الاصلي ألماسة (١٨٩٨).



تتألف هذه القلادة من أربع وريقات لنبتة أوركيديا من المينا والذهب، ومنحوتة المرأة التي تشكل الوريقة الخامسة صنعت من الزجاج المقولب المجمد (١٩٠٠ - ١٩٠١).

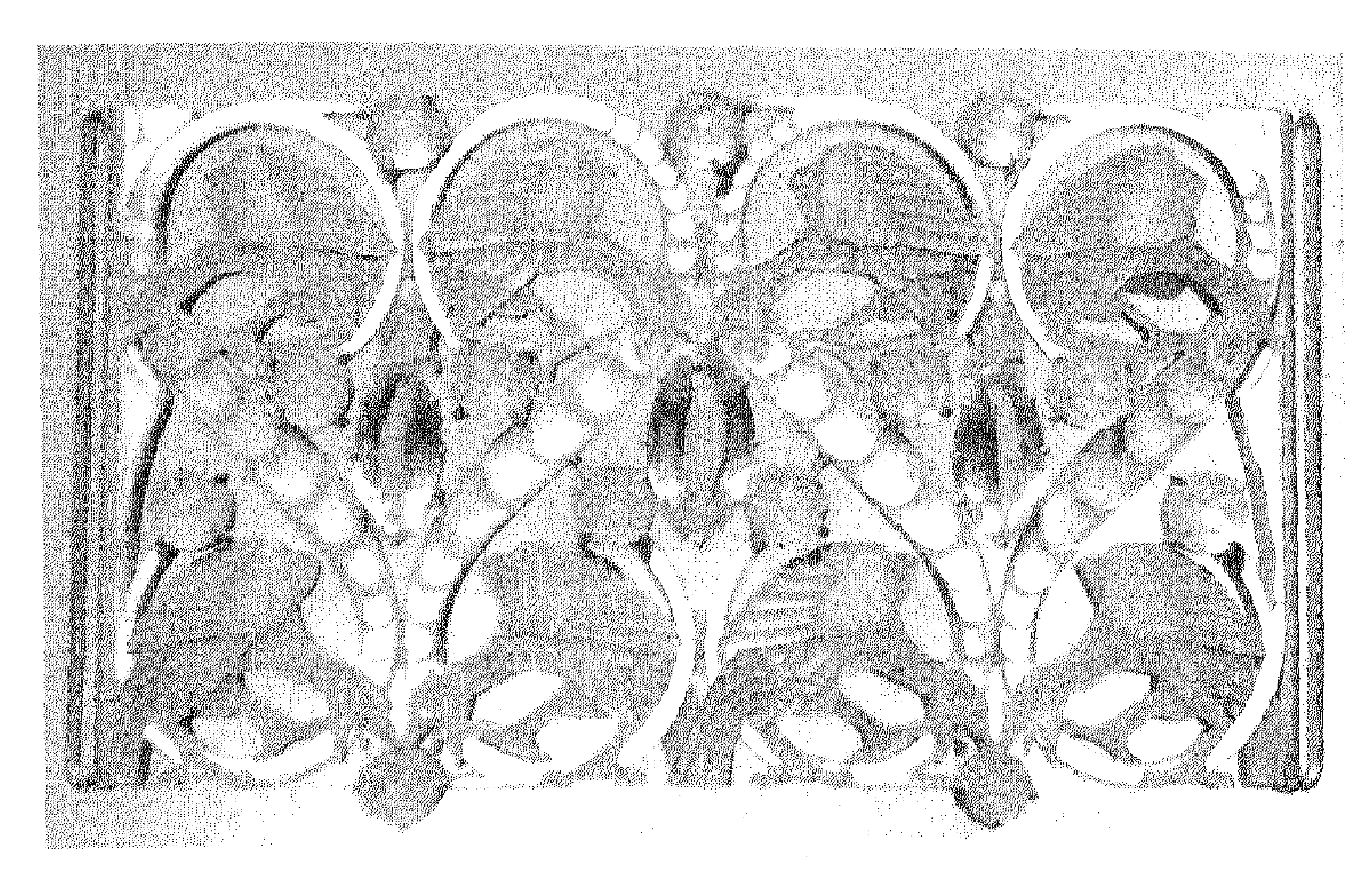
ابتكار إدخال الكائنات الغريبة صناعة المجوهرات. على هذه القلادة وحش يحمل في فمه حجراً صغيراً يزين تمثالا عاجياً يعتقد أنه لسارة برنار (١٩٠٠ - ١٩٠٢).

كان لاليك أول من استعمل القرون المحفورة لصنع أمشاط زينت تصفيفات الشعر آنذاك. يصور هذا الاكليل غصن شجرة بندق مزهرة ذات أوراق من الفضة والقرون وحبات بندق من المينا المتلألىء وحجار القمر داخل إطار ذهبي (١٩٠٠ - ١٩٠٤).


مجوهرات كلاسيكية للفن الحديث تعود الى الفترة بين ١٩٠٠ و١٩٠٣. ظواهر خارجية تربط الرجلين، الفنان - الحرفي الفرنسي ذا المخيلة المتقدة وغلبنكيان المولود في اسطنبول والحائز شهادة في الهندسة والعلوم التطبيقية. إلا أن صداقتهما دامت حتى وفاة لاليك في العام ١٩٤٥. انهما تقاسما حباً عميقاً للطبيعة. وأعجب غلبنكيان بأسلوب لاليك المبدع وقدرته على إثارة الحياة والجمال بمواد غير متجانسة.

في العام ١٩٦٩ افتتح متحف باسم غلبنكيان موّلته المؤسسة الخيرية التي أنشأها قبل مماته. ومحتويات هذا المتحف من روائع لاليك ليست فقط انعكاساً رائعاً لذوق غلبنكيان، بل لغريزته العميقة أيضاً. إذ حوّل لاليك وجهته الفنية نحو الزجاج متوقفاً عن صنع حليّه الساحرة في العام ١٩١٤. وبذلك تبقى مجموعة غلبنكيان، المتفوقة نوعاً وكماً، فريدة لا نظير لها.

ماريون كابلان



قلادة رائعة من نسور مضفورة بين أغصان توت بري. صنعت النسور من الذهب الممزوج بالمينا وهي تنقر ثمار التوت الزجاجية اللامعة. استعمل لاليك المينا في عدة أساليب شفافة وبراقة وسائلة. تجمل الحلية ثلاثة حجار من الزبرجد (١٩٠٢ - ١٩٠٣).

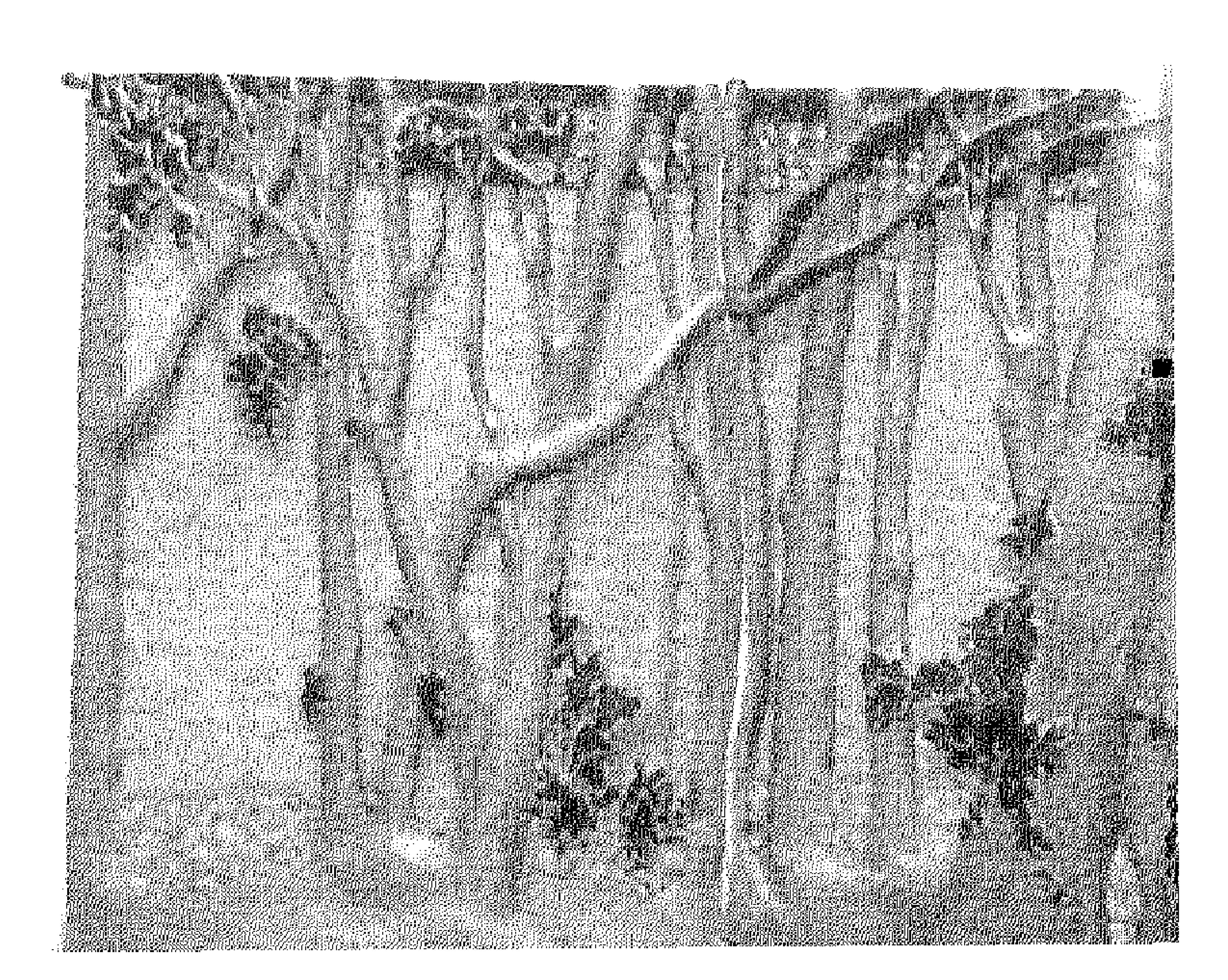


يتوسط حجر القمر، محاطاً بالصفير، قلادة في شكل حشرة. الجناحان الزجاجيان المتقزحا الالوان يمثلان شوكة مزهرة، وتفصلهما شعاعات من المينا. ويرصع الالماس قرني الاستشعار (١٨٩٨ - ١٩٠٠).

صفيحتان عاجيتان تظهران حوريتي بحر وتزينان ..بيماً من الفضة. حلقة الابزيم سمكة ثنائية الرأس، ومشبكة قوائم ضفدعة (١٨٩٩ - ١٩٠١).

صورة طبيعية من عالم الاساطير تنبض بالحياة على قلادة مرصعة بالجواهر. أشجار من الذهب ولباب من المينا الشفاف تحوط شاطئاً ذهبياً مزيناً بالالماس. وتتألق بحيرة من الأوبال المحفور (١٨٩٨).

تتحول الصورة الطبيعية نتاجاً فنياً في مخيلة لاليك. يشكل هذا الطاووس الملكي حلية صدرية من الذهب المسبوك الخالص. ريشات ذنبه المصنوعة من المينا والذهب وفي كل منها حجر أوبال، تشكّل قوساً تحدد أطرافه حجار ألماس (١٨٩٨ - ١٨٩٩).



كراسة وألوان
وخرطوم عملاق الادغال
يمسك فرشاة ويرسم

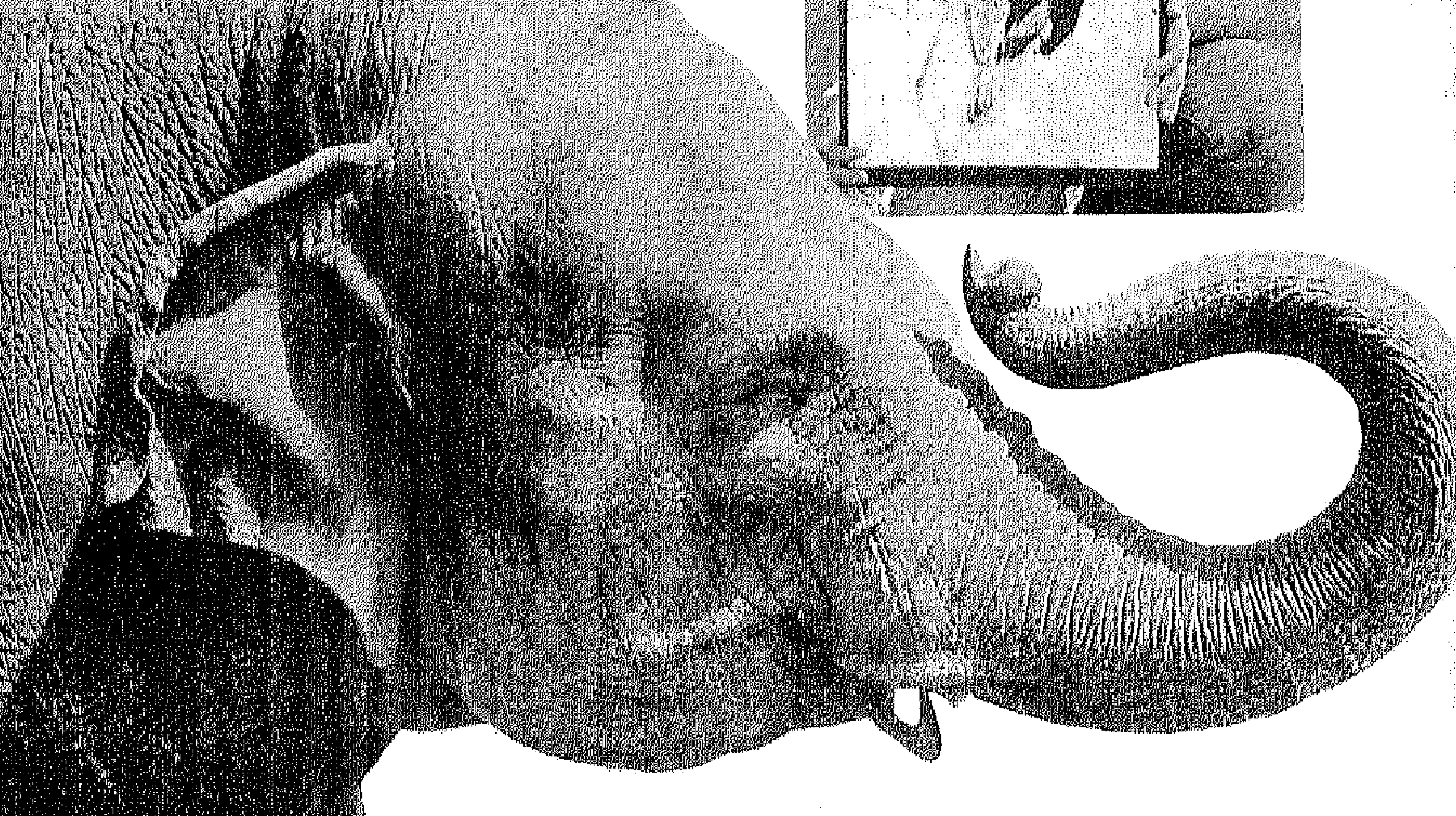
فيلة موهوبة

على سبيل التسلية ومن أجل ضمان رأي موضوعي توجهت أنا وديفيد غوكوا الى السيد جيروم ويتكن، وهو رسام وأستاذ فنون وخبير في الفن التعبيري التجريدي، وأخبرناه أننا نملك بعض الرسوم ونود أن يبدي رأيه فيها.

سحر ويتكن بما رأى وقال: "إن هذه الرسوم معبرة وجميلة جداً. هي في غاية الايجابية والاندماج والانضباط. إنه أمر لا يصدق، ليس في وسع معظم تلاميذي أن ينجز مثل هذا العمل."

كان في امكان فنانتنا أن تملأ غرفة التدريس التي يعلّم فيها ويتكن. فتلك الرسوم من انجاز "سيري" المقيمة في حديقة "بورنت" للحيوان بمدينة سيراكوز في ولاية نيويورك. كان ارتفاعها الى الكتفين مترين ونصف متر آنذاك، ووزنها ٣٨٠٠ كيلوغرام. وهي فيلة آسيوية لها من العمر ١٢ عاماً.





سيري وأحد رسومها يعرضه القيم السابق عليها ديفيد غوكوا.

عندما علم ويتكن الحقيقة لم تخفّ حماسته بل قال: "لطالما حال غرورنا البشري دون توقعنا قدرة كائنات أخرى على أداء أي عمل فني. واني أعتبر هذه الرسوم جميلة أياً يكن الفنان الذي رسمها ومهما يكن عرقه أو أصله أو وزنه."

أتت سيري الى حديقة "بورنت" وهي في الرابعة من عمرها بعدما أسرت عام ١٩٧٤ في غابة في تايلند.

ما من أحد في الحديقة يدري متى بدأت الفيلة الصغيرة الوحيدة الرسم. عام ١٩٧٦ لاحظ عالم الحيوان دون مور رسوماً على أرض حظيرتها. كانت سيري تنفذ معظم رسومها خلال الليل بواسطة حصاة تعلّقها بخرطومها حافرة الرسم على الاسمنت. وعام ١٩٨٠ أصبح ديفيد غوكوا أحد القيمين على سيري. وهو يقول: "استرعت اهتمامي عندما رأيتها ترسم بعصا على الأرض وتشير الى رسمها بخرطومها وكأنها تود التعبيرعن أمر ما." فخطرت في باله فكرة: وضع كرّاسة رسم في الحظيرة واعطاء الفيلة قلم نجار.

أمسكت القلم بخرطومها وفحصته وخمشت به جلدها ثم قضمته لتتذوّق طعمه. وما كان من غوكوا إلّا أن وضع رأس القلم على الكرّاسة. فتحرّكت سيري ولاحظت أن الفحم ترك علامة على الورق. وللحال أخذت تنتج عملها الأول بالادوات التي يستخدمها الانسان، فأتى عملها الأول مجموعة أقواس وخطوط متناثرة تحوط رسماً إجاصيّ الشكل.

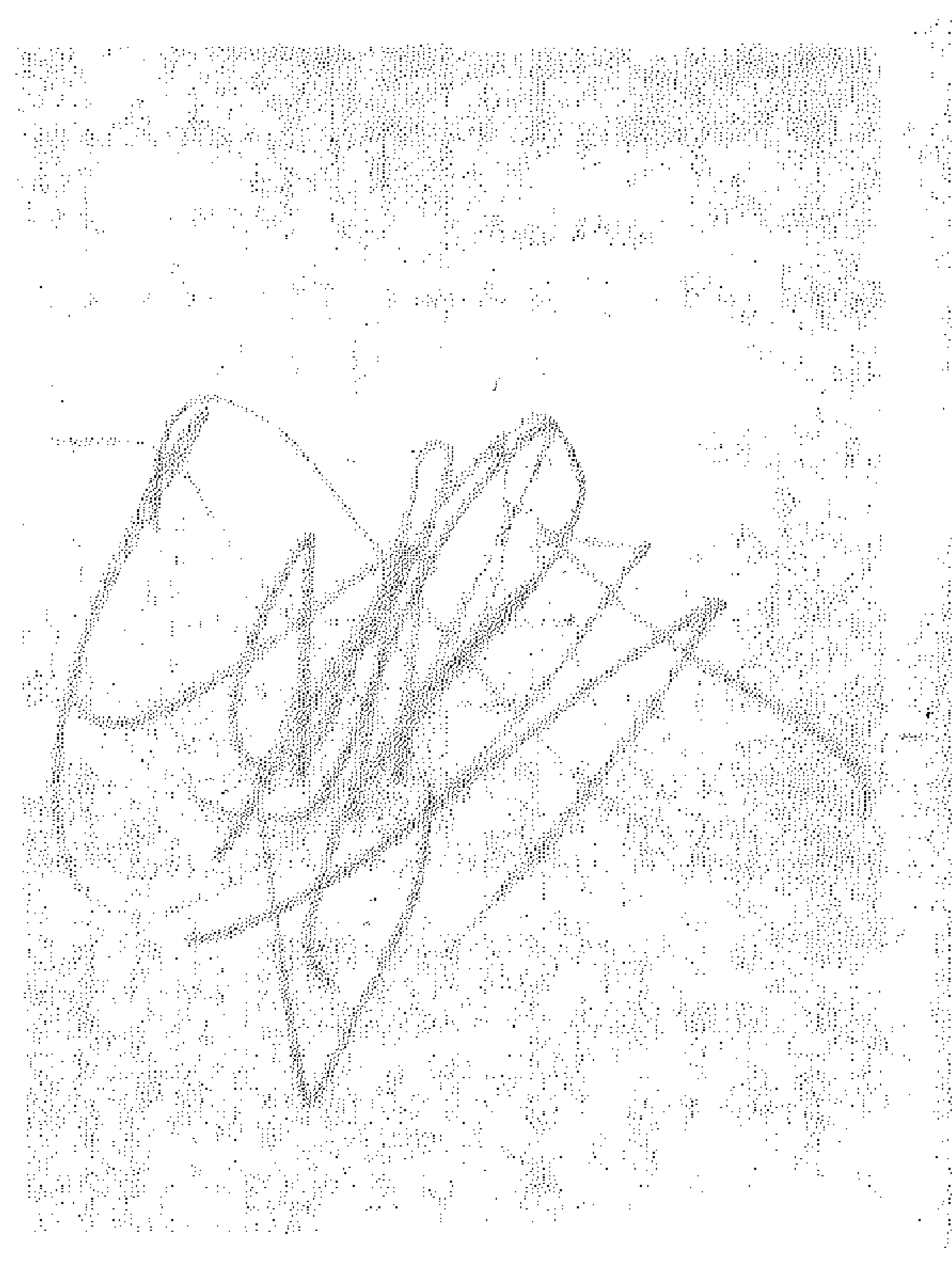
فن جديد – خلال السنتين التاليتين زوّد غوكوا سيري أقلام رصاص وأقلام شمع وفراشي وألواناً. وكان يجلس القرفصاء أمامها حاملا الكراسة في حضنه، فتملأ سيري صفحة تلو أخرى. وهي أنتجت ما يزيد على ٢٠٠ رسم قبل أن تنقل موقتاً الى حديقة حيوان أخرى.

بدا لي غوكوا كأنه يحقق تقدّماً في معرض دراسة لذكاء الحيوانات، مع أنه لم يعِ ذلك. فمنذ زمن بعيد رُفض اعتبار استخدام الادوات وسيلة تميز البشر عن بقية الكائنات. وكان الباحثون يدّعون أن التعبير بالكلمات يشكّل الحدّ الفاصل بين البشر والحيوانات. ولكن سرعان ما امحى هذا الحد أيضاً عندما أظهرت قرود الشمبانزي سهولة في التعبير بالاشارات. فبقي الانتاج الفني العفوي ميزة البشر الوحيدة. وقد كتب الخبير الفني فيكتور لوينفلد: "الانسان يبدع أما الحيوان فلا."

لكن سيري استطاعت، بواسطة حصاة تعلّقها بخرطومها، أن تلقي الشك على هذا المبدأ. فعندما كانت تزوّد قلماً كانت تستمر في الرسم تلقائياً من دون أي تعليمات أو طمع بجائزة.

هل يعتبر تصرّف سيري غير عادي؟ لم نستطع العثور على ظاهرة مماثلة في الأدب، فاتصلت أنا وغوكوا بقيمين على حدائق حيوان اخرى فظهر لنا عالم جديد للفنانين.

قال ستيفان ماكوسكر الذي كان قيماً على حديقة "واشنطن" للحيوان في بورتلاند بولاية أوريغون: "يمكنكما أن تأتيا إن شئتما، إلا أنني لا أجد ما اكتشفتماه فريداً من نوعه. فبعض أفيالنا يرسم إن كنتما تسميان ذلك رسماً."



خط رسمته سيري.

وقال توماس دنستان القيّم على حديقة "مترو تورونتو" في أونتاريو بكندا: "لدي على جدار غرفتي رسم لفيلة آسيوية كانت تحرّك عصا في التراب فأعطيناها فرشاة فرسمت أشكالا لطيفة تشبه تلك التي رسمتها سيري."

وأخبرنا الطبيب البيطري مايكل شميت من حديقة الحيوان في مدينة واشنطن أنه رأى الفيلة "سنشاين" عندما كانت في الشهر التاسع من عمرها تمسك بسلك معدني رمي جانباً ثم تبدأ رسم اشارات على الاسمنت. وربما كان هذا التصرّف فطرياً على حد قول شميت، ولا يعني بالضرورة أن الحيوان فنان.

موهبة أكيدة – إننا نؤكد أن ما من أحد علّم سيري الرسم، وذلك يثير مجموعة من الاسئلة. وإن يكن الانسان الأول تعلم الموسيقى من زقزقة العصافير كما يعتقد بعض علماء الانثروبولوجيا (★). فهل يمكن القول إنه تعلّم الفن من الخطوط التي كانت الأفيال ترسمها؟ وهل إن الرغبة العفوية في الرسم تظهر مستوى أرفع من الذكاء؟ وهل كتب للأعمال الفنية التي تنجزها ذوات الخرطوم أن تمهد سبيل الاتصال بين البشر؟

لم يبتّ بعد معنى كل ذلك. لكن عدداً كبيراً من العلماء بات حائراً. وقد أعلن ألن وبياتريكس غاردنر الرائدان في تعليم الشمبانزي لغة الاشارة: "أن رسوم سيري تتفق وما نعرفه عن ذكاء الحيوان وتعتبر انجازاً معبّراً."

ما زال بعض الخبراء يرتاب في الأمر. قال هربرت تيراس من جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك الذي كان يعمل مع الشمبانزي "نيم"، إن عليه أن يتروى في ما يتعلّق بسيري ويطلع على دراسات أخرى. وقال روجر فنيوس القيم على الحيوانات في حديقة واشنطن والذي رأى أفيالا ترسم: "انها مجرد وسيلة للتسلية والتخفيف من الضجر."

ولكن هناك من رأى في رسوم الفيلة عناصر أساسية لما نسميه فناً. وتلحظ عالمة النفس دوان رامبو من جامعة ولاية جورجيا في أتلانتا "أن رسوم سيري تظهر في منتصف كل صفحة وأن الفيلة أنهت جميع أعمالها وهذا أمر مدهش جداً. فلعلها تتمتع بحسّ مرهف للفن والاشكال الجميلة."

(★) الانثروبولوجيا أو علم الانسان يبحث في الجنس البشري وأعراقه وعاداته ومعتقداته.

ويبدو أن جهود سيري الفنية كانت تتطور وتنضج. فعندما عرضنا على هوارد غاردنر وزملائه في جامعة هارفرد، المسؤولين عن تنمية الفن لدى الاولاد، ثلاثة رسوم لم نذكر تاريخ أدائها حددوا السياق الذي وضعت فيه ولاحظوا تطورها.

ومن أجل اجراء اختبار أخير أرسلنا نماذج من أعمال سيري الى الرسام الامريكي فيليم دي كوننغ عميد الفن التعبيري التجريدي. فتفحص تلك الرسوم وقدرها كثيراً. ولم يكتشف أن الفنانة فيلة الا بعدما قرأ رسالتنا.

لكن دي كوننغ حافظ على رأيه الصارم: "انها فيلة موهوبة حقاً!"

جايمس ايمان ■

الكاتب صحافي يتناول المواضيع العلمية في مجلة "بوست ستاندرد" بولاية نيويورك. وهو شارك ديفيد غوكوا في تأليف كتاب بعنوان "الى من يهمه الامر: تحقيق في الفن لدى الافيال."



قضيب يكشف الماء

هل في استطاعة أي رجل ان يكتشف وجود الماء في باطن الارض بواسطة قضيب ملتو؟ هذا سؤال قديم ومثير للجدل. وقد نُظر الى الاشخاص الذين يستعينون بقضيب لهذه الغاية على أنهم اما دجالون واما نوابغ. لكن الفيزيائي الفرنسي إيف روكار كتب في المجلة العلمية "لا ريشرش" انهم لا هذا ولا ذاك. فردّ الفعل اللاارادي (reflex) لحامل القضيب هو الذي يجعل القضيب يرتفع ويهبط فجأة، وهذا رد الفعل العضلي للجسم البشري اذ يستبين، من خلال حاسة لا تزال مجهولة، تغيرات خفيفة في الحقل المغناطيسي للارض.

أظهر روكار أن هذه الشواذّ المغناطيسية الحاصلة بسبب طبيعة الارض هي مرتبطة غالباً بوجود الماء. وعندما نشر حصيلة تجاربه الاولى عامي ١٩٦٢ و١٩٦٤ سخر منها العقلانيون أصحاب المنطق. لكنها تلقى الآن تأييداً قوياً في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي.

صحيفة "الحياة"، فرنسا

ببغاء ثنائية اللغة

ذهب أحدهم ليشتري ببغاء أليفة تتكلم لغتين. فأراه البائع ببغاء ربط خيط في كل من قائمتيها وقال له: "اذا شددت الخيط الذي الى جهة اليمين تكلمت الببغاء الفرنسية، واذا شددت ذلك الذي الى جهة اليسار تكلمت الانكليزية."

فسأله الزبون: "واذا شددت الرباطين في الوقت ذاته؟"

"أسقط على وجهي!" هتفت الببغاء.

أصداء من عالم الطب

العمل والغذاء

كل منا تحكمه مجموعة معقدة من "الساعات" الداخلية التي تنظم آلاف الوظائف البيولوجية في جسمه وتقرر أوقات الانشراح والكآبة والصبر والغيظ والدقة والاهمال. والجدير أن فهمنا لهذه الامور لم يأتِ الا بعدما أحدثت الشركات الصناعية الأمريكية نظام التناوب في العمل.

وهناك ٢٧ في المئة من الموظفين الأمريكيين يعملون ليلاً. ومعظم هؤلاء يعملون أسبوعاً خلال الليل وأسبوعاً لاحقاً خلال النهار. وما ان تتعود أجسامهم نظاماً معيناً حتى يباشروا نظاماً آخر. والنتيجة تولد إرهاق مزمن لديهم شبيه بالارهاق الذي يعانيه المسافرون جواً من جرّاء فارق الوقت.

وقد ابتكر العالم البيولوجي تشارلز إهرت من مختبر آرغون الوطني بالقرب من شيكاغو نظاماً غذائياً يعتمده في نهاية الاسبوع الموظفون الذين ينتقلون من نوبة الليل الى نوبة النهار أو العكس. وهذا النظام يبدأ يوم الجمعة (آخر أيام العمل الاسبوعي في الغرب) بفطور غني بالبروتيين وغداء مماثل من حيث غناه البروتيني وعشاء مشبع بالكاربوهيدرات (المواد النشوية السكرية) مع أخذ المواد المحتوية على لكافيين، كالقهوة والكولا، بين الثالثة والخامسة عصراً. ويوم السبت يكون الطعام خفيفاً، مع الحرص على الاقلال من المواد النشوية - السكرية وتجنب الكافيين بعد الصباح. وعلى المرء أن ينام طويلاً صباح الأحد، ثم يتناول فطوراً وغداء مشتركاً مؤلفاً من مواد غنية بالبروتيين. وقبل النوم ليلة الأحد عليه أن يتناول عشاء مشبعاً بالمواد النشوية - السكرية.

صحيفة "نيويورك تايمس"

حبوب ضد سرطان الرحم

ان خطر الاصابة بسرطان بطانة الرحم، وهو السرطان الاكثر شيوعاً بين النساء الامريكيات، ينخفض بنسبة خمسين في المئة بين أولئك اللواتي يتناولن حبوباً ضد الحمل لسنة على الاقل. ويدوم هذا التأثير الوقائي خمس عشرة سنة على الاقل، كما يستنتج من دراسة شملت ٣٥٠٠ امرأة وأجرتها "مراكز ضبط المرض" في أتلانتا بولاية جورجيا بالاشتراك مع المعهد الوطني لصحة الطفل والنمو البشري في بتيسدا بولاية ماريلاند.

لا يُعرف لماذا تخفض موانع الحمل التي تؤخذ بالفم خطر هذا المرض الذي يصيب بطانة الرحم. غير أن بعض الباحثين يعتقدون أن الخلايا ربما أصبحت اقل عرضة للتأثر بالتغيرات الخبيثة بعد تعرضها للهورمونات التي تحويها الحبوب.

وهذه أنباء سارة لملايين النساء.

مجلة "الجمعية الطبية الامريكية"

الصداع المفاجىء انذار مبكر

يعتقد أن هناك ملايين من الناس مصابين بأنوريسما خفية في الدماغ. والانوريسما انتفاخ في جدار شريان نتيجة ضعف فيه. وبعض المصابين مهددون بخطر "انفجار" يغمر الدماغ بالدم وقد يتسبب في الوفاة. ولكن هناك تحذير لمعظمهم: صداع مفاجىء حاد ومؤلم كقصف الرعد.

وينبه الدكتور نيل راسكين أستاذ طب الجهاز العصبي في جامعة كاليفورنيا بسان فرنسيسكو، الى أن كل حالات الصداع "الرعدي" يجب أن تعتبر تحذيراً من الانفجار، وان تكن ثمة أسباب أخرى للالم. وعلى الاطباء أن يطلبوا تخطيطاً للاوعية الدموية في الدماغ.

والباعث على توصية راسكين هو أن معدل الوفيات نتيجة انفجار الاوعية الدموية في الدماغ يبلغ خمسين في المئة. وهو يحذر: "في هذا الظرف الذي يترجح فيه المريض بين الموت والحياة، يُعتبر اهمال هذا الفحص أشد خطراً من إجراء فحص غير ضروري."

نشرة جامعة كاليفورنيا

العلق الشافي

استخدم العلق على نطاق واسع في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لامتصاص الدم من أجسام المرضى، وربما أخذ الآن يستعيد دوره في المعالجات الطبية الرائجة. يفيد تشرلز لينت أستاذ علم الحياة في جامعة يوتاه بالولايات المتحدة أن العلقة «Hirudo medicinalis» نافعة خصوصاً لامتصاص الدم من أنحاء في الجسم حيث جرى زرع نسيج أو أعيد ربطه. فعندما يتجمع الدم قد يتلف النسيج قبل أن يلتئم. ويوضح لينت أن معالجة الموضع المصاب بالعلق مرة أو مرتين يومياً لمدة أسبوع يتيح وقتاً كافياً للاوعية الشعرية لكي تنمو وتغطي قُطب الجراحة وتحيي الدورة الدموية.

صحيفة "نيويورك تايمس"

تسمم بالحقن الشرجية

توفي طفل أعطي في المستشفى كمية زائدة من مستحضر الحقنة الشرجية. فحمل ذلك الدكتور روبرت مارتن وزملاءه في هونولولو على التحقيق في مفعول هذا المستحضر المأمون استعماله عادة. فاكتشفوا ستة عشر حادثاً مماثلا. يقول الدكتور مارتن ان الاطباء كانوا يحسبون أن القولون لا يمتص جيداً محلول فوسفات الصوديوم. لكن أبحاثه أظهرت أن القولون يمتص الفوسفات بسرعة مما يؤدي الى اضطراب في مستويات الكلسيوم في أنحاء الجسم. ويمكن أن تصبح النتيجة خطرة اذا أعطي أكثر من جرعة لولد يشكو اختلالا في القولون يؤدي الى احتباس المحلول لمدة طويلة، أو اذا كانت الكليتان ضعيفتين. ويرتأي الدكتور مارتن ان تكرار هذه الحقن بكميات مفرطة قد يشكل خطراً على البالغين الذين يتناولون أدوية للقلب تمنع انسداد المجاري بالكلسيوم، أو يعالجون بأدوية مدرّة للبول.

ويستنتج الدكتور مارتن أن الحقن الشرجية، على أنواعها، قد تكون مضرة، وربما قاتلة، اذا أسيء استعمالها. وهو يعارض استعمالها اطلاقاً للاطفال.

مجلة الجمعية الطبية الامريكية



قصر الفرو.

مزاد الفرو في لينينغراد

في يناير (كانون الثاني) من كل سنة يجتمع خبراء الفرو من أنحاء العالم في هذه العاصمة القديمة للمزايدة على أجود أنواع الفراء، من الفيزون الى السمور الذي يعتبر أرفع رموز الترف والثراء

انها السابعة والنصف صباحاً في يوم قارس من شهر يناير (كانون الثاني). ريح غربية تذرو الثلج في شوارع عاصمة الامبراطورية الروسية القديمة. جمع من الرجال يهرول من بوابة فندق "بريبالتسكايا" الى حافلات وسيارات أجرة تنتظر في الخارج. أمريكيون وايطاليون وبريطانيون وألمان غربيون وفنلنديون ودنماركيون وسويسريون وفرنسيون وياباتيون وصينيون وغيرهم، ٣٢٤ رجلا من ٣٠ دولة، هم الممثلون العصريون لتجارة الفرو العتيقة.

إنهم في لينينغراد في لقائهم الاول عام ١٩٨٧ للاشتراك في المزاد الاول الذي يدوم ستة أيام، وهو أهم المزادات السنوية الثلاثة للفرو التي تشهدها

Photos: J.C. Francolon / Gamma

المدينة. في كل سنة يساعد هذا المزاد في إرساء أسعار معاطف الفرو الجديدة في العالم ونهج التجارة للاشهر التي تلي. ولاحقاً تشهد هيلسنكي وكوبنهاغن ولندن وسياتل ونيويورك وتورونتو مزادات كبيرة، لكن أياً منها لا يوحي التقاليد العريقة والطابع المميز لهذه التجارة كما يوحيها مزاد يناير (كانون الثاني) في لينينغراد.

يباع في هذا المزاد ثلاثة ملايين ومئة ألف فرو من السمّور والليينكس والارمين (القاقوم) والفيزون والثعلب والذئب والنيوتريا (الكيب) والراكون والسنجاب، وحتى غنم القرقول من آسيا الوسطى. وهذه تدر على خزينة الاتحاد السوفييتي ٨٤،٥ مليون دولار. ويثبت هذا المبلغ الضخم المركز المتفوق الذي يحتله الاتحاد السوفييتي بين الدول المنتجة للفرو.

قصر الفرو – صباح المزاد كان روبرت مونتانيا، المدير الدولي لشركة "ريفيون" للفرو وهي أقدم مؤسسات الفرو ومن أسماها اعتباراً، يركز اهتمامه على جلود حيوان صغير كثيف الذيل صغير الرأس يعيش في غابات سيبيريا ويسمى السمّور(*). منذ قرون قديمة يعتبر فروه الحريري الاسود ذروة الترف والثراء، يزين أكتاف الملكات والمحظيات والزوجات والخليلات والوارثات ونجمات السينما. ويصرّح ديفيد وولف نائب رئيس متجر "نايمان ماركوس" الفخم في الولايات المتحدة: "إن فرو السمّور ليس مجرد سلعة، انه فكرة سامية."

ومنذ نظمت مؤسسة "سوجوزبوشنينا" التجارية أول مزاد للفرو عام ١٩٣١ في لينينغراد وتجار الفراء يعودون اليها للاشتراك في مزاداتها لسبب رئيسي هو طمعهم في فراء السمور. اذ ليس هناك من مكان آخر لشرائه. والحق يقال ان هذا الفرو الاغلى بين الفراء هو تجارة يحتكرها الاتحاد السوفييتي ويحرص عليها. لذلك حدد عدد الجلود التي تعرض للبيع حفاظاً على سعر الفرو وعلى ذرية الحيوان.

هذا الاسبوع يعرض للبيع ٥٩٤١٠ من جلود السمور، أي أقل من اثنين في المئة من الدخل الاجمالي. لذلك على مونتانيا أن يفوز بنصيب وافر من هذه الفراء كي يحافظ على مركز مؤسسة "ريفيون" المميز في صناعة الفرو.

يتألف قصر الفرو في لينينغراد من بناء رئيسي يضم القاعة التي يجرى فيها المزاد وشرفة للمشاهدين، وتحوطه أجنحة صالات العرض السبع والمطعم. ويحافظ القصر على مسحة من الاناقة التي تميز بها عصر مضى والتي تفتقر اليها المزادات الاخرى التي تطغى عليها التكنولوجيا. وفي القاعة ينسلّ الندل بياقاتهم السوداء يقدمون الشاي والمرطبات الى الزبائن المنشغلين بأمور المزاد.

يصل مونتانيا الى قصر الفراء المشع بالانوار. فيدخل قاعة الطعام حيث تقدم مؤسسة "سوجوزبوشنينا" منظّمة المزاد وجبتين يومياً الى الضيوف. فيجلس مع تشارلز كيهو نائب رئيس "ريفيون"

(*) Sable


قاعة المزاد وشرفة المتفرجين.

ورودي غروس من شركة "نوبل سيليكو" الوسيطة في تجارة الفرو بلندن. ونظير كثيرين من تجار الفرو يطلب مونتانيا وكيهو من الوسطاء تأمين مشترياتهما من الفرو في مقابل عمولة محددة بثلاثة في المئة.

ولا تقتصر وظيفة الوسطاء على الاختيار السابق لاجود أنواع الفراء، وهذا عمل مضن ومستهلك للوقت، بل انهم أيضاً يوفرون تغطية للمشترين تمكنهم من اخفاء مشترياتهم عن المنافسين.

السمور الساحر - في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية كان مئة في المئة من مبيعات فرو السمور في الاتحاد السوفييتي يذهب الى الولايات المتحدة. وتدنت هذه النسبة بدخول المشترين الاوروبيين سوق الفرو وبعدهم، حديثاً، اليابانيين. فحالياً تشتري الولايات المتحدة ستين في المئة من فرو السمور، تفوز منها بحصة الاسد مؤسستان في نيويورك هما شركة "ميتشوتان" التي تتعاطى الوساطة والبيع بالجملة ودار "ليونارد سبرينفر" أكبر معامل معاطف الفراء في العالم.

وتحتم المنافسة الشديدة على التجار الصغار والمتوسطين أن يدخلوا المزاد ولديهم فكرة واضحة عن الجلود التي يريدونها وخطة مدروسة للشراء. يدرس كيهو ومونتانيا خطة لشراء ١٥٠٠ جلد تكفي ٣٥ أو ٣٠ معطفاً وسترة. وبما أن زبائنهما هم من الطبقة الموسرة فعليهما أن يحصلا على كمية وافرة من أجود الاصناف..

يصل رودي غروس، الوسيط الذي يعمل لحساب "ريفيون"، الى لينينغراد قبل مونتانيا وكيهو بخمسة أيام يقضيها في تقويم البضاعة وتخمين أسعارها. ولدى وصول الرجلين يتجه معهما الى صالات العرض وكلهم يرتدون معاطف بيضاء واقية، ويتفحصون الجلود المعروضة تحت الأضواء. وهناك طالبة جامعية مسؤولة تحضر لهم كل ما يطلبونه من جلود.

ثمة مجموعات مختلفة من السمور يراوح لونها بين الذهبي الكهرماني والاسود الضارب الى الزرقة. وترجع فخامة الجلد الى مناخ الشتاء القاسي حيث يعيش السمور في المنطقة الممتدة بين جبال أورال وبحر بيرنغ. ويشتد الطلب على البارغوزين، السمور البري الذي يعيش في الغابات حول بحيرة بيكال ولون فروه أسود ضارب الى الزرقة وهو مرقش بشعرات طويلة فضية. فندرته وألوانه وخفته تؤمن للمرأة أكبر مقدار من

الدفء وتزيد في سحر فرو السمور. ويتوقف قرار مونتانيا وكيهو في شأن ما ينبغي عليهما أن يشتريا، على مصدر الجلود وألوانها وحجمها وجودتها.

استدراج العروض – يطلب غروس من الطالبة الجامعية المسؤولة ان تحضر مجموعتين من أجود فراء السمور. فيأخذ في تفحصها على طاولة مع مونتانيا وكيهو للتأكد من خلوها من الشوائب، كما يتحققون من غياب أي منافس يراقبهم.

ويربّى السمور في مزارع في زاريا التي تبعد مئة كيلومتر شمال غرب لينينغراد. وفراء السمور المربى تشكل عشرين في المئة من الكميات التي تعرض في المزاد. وفراء المزارع هي غالباً اكثر كثافة ولونها أدكن من الفراء البرية. ولحظ غروس ذلك في دفتره. إنها أجود فراء السمور المربى في المزارع.

يتفحص مونتانيا الفراء واحداً واحداً، فيمر عليها بيده وينفخ فيها للتأكد من نقاوتها ومتانتها، فيجدها شبيهة بفراء البارغوزين. لونها أسود قاتم ضارب الى الزرقة ومرقش بشعرات فضية تحتية لا توجد دائماً في فراء المزارع. ان ٥٥ فرواً من هذه كفيلة بخياطة سترة فاخرة. مونتانيا يطمئن غروس الى أنها أجود الفراء في المزاد وأنها تفوق في جودتها فراء البارغوزين. وهو على ثقة بانها ستحظى بأعلى الاسعار. لقد خمّن غروس المجموعة ٦٦٣١ بما يراوح بين ٤٦٠ و٥٠٠ دولار للقطعة. فيوافق مونتانيا. وسيدفع الى حد ٦٠٠ دولار في المزاد اذا اقتضى الامر ذلك.

بدأ المزاد في قصر الفرو. الآن يسود القاعة جو من التوتر. ففي بضع ساعات ستطرح ملايين الدولارات. يجلس مونتانيا وكيهو وغروس الى الطاولة المخصصة لهم وحشود المشاهدين تزدحم في الشرفة.

مدير العلاقات العامة في "سوجوزبوشنينا"، فيترات سافيفتش كوتجوشيف، يحتل منبر الدلال ويعلن: "المجموعة ٦٦٢٩. خمسون جلداً من السمّور تربية المزارع." الكلام بالانكليزية والدفع بالدولار. السوفييت دائماً يبيعون فراء سمور المزارع أولا. يحدد الدلال السعر الذي يقدر أنه الاقرب الى أعلى سعر يمكن الحصول عليه، ويبدأ المزاد باستدراج عروض أفضل. فاذا لم يستجب له عمد الى خفض السعر ليسمح للمشتركين بتقديم أسعارهم، ثم يعود فيرفعه تدريجاً.

بيع السمّور – يضرب كوتجوشيف الطاولة بالمطرقة ويعلن السعر الاولي: ٣٥٠ دولاراً. يسود القاعة صمت فيخفض السعر الى ٤٥٠ ثم ٤٢٥ و٤٠٠ فيما يتفحص مساعدوه الثلاثة أنحاء القاعة لمراقبة المزايدين. فينبري ارنست كريمنتزر من "ميتشوتان" ويرفع السعر الى ٤٥٠ دولاراً. وتأخذ المزايدة مجراها فيرتفع السعر الى ٣٠٠ ثم ٣١٠. ويزيد كريمنتزر الى ٣٢٠ دولاراً للجلد الواحد ويفوز بالمجموعة. وتلي ذلك المجموعة ٦٦٣٠ التي تضم ٤٠ جلداً من السمور تربية المزارع فيفوز بها تاجر بريطاني بـ٣١٠ دولارات الجلد الواحد.

يعلن كوتجوشيف: "المجموعة ٦٦٣١: ٧٠٠ دولار." حان الآن دور مونتانيا وكيهو اللذين يجلسان صامتين لا ينظران الا الى الامام خوفاً من افشاء رغبتهما الشديدة للمنافسين. لا أحد يستجيب لـ ٧٠٠ دولار فينخفض السعر الى ٦٥٠ ثم ٦٠٠ فـ ٥٠٠ فـ ٤٥٠. عندئذ ينبري رودي فيعرض ٥٠٠ دولار ثم يتبعها بـ ٥٢٠ متخطياً أحد المنافسين الذي عرض ٥١٠ دولارات. وكاد مونتانيا لا يتمالك نفسه من الهتاف فرحاً حين أعلنه كوتجوشيف الفائز. لقد حصل على ٥٥ جلداً بسعر أدنى من الـ ٦٠٠ دولار التي كان ينوي دفعها - أدنى بثمانين دولاراً للجلد الواحد. وفاز الامريكيون بمجموعتي جلود البارغوزين بـ ٨٠٠ دولار الجلد الواحد في الاولى و ٧٠٠ دولار في الثانية.

يحين وقت الغداء في اليوم الثاني من المزاد، فتكون جلود السمور كلها قد بيعت.

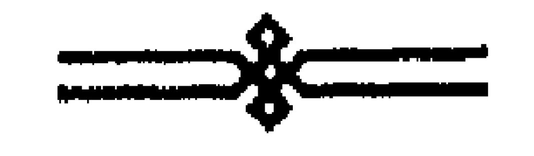
سترة الموسم - بعد انتهاء حمى المزايدات تنتقل الفراء الى المعامل حيث تجرى تهيئتها وعرضها للبيع. فتدبغ جلود السمور التي اشتراها مونتانيا في نيويورك وترسل الى المركز الرئيسي لشركة "ريفيون" في باريس حيث تصل في أوائل الربيع. وتحفظ في غرفة مبرّدة خفضت حرارتها الى درجتين مئويتين، بعيداً عن الاضواء القوية. السترة التي يعتزم مونتانيا صنعها ستصمم بموجب توصية الزبونة ويبلغ ثمنها نحو ١٥٠ ألف دولار. وهو على سبيل التشويق سيعرض عليها الفراء، واحداً واحداً، مفسحاً لها في المجال كي تدغدغ بأناملها نسيجها الحريري.

يضع أحد مصممي "ريفيون" الكبار رسوماً لعدد من السترات. فتختار منها الزبونة ما يعجبها ويعدل الرسم ليأتي مطابقاً لطلبها. ويُصنع للرسم نموذج من قماش.

قبل بدء التفصيل تدرس طريقة القص بدقة لتحديد توزيع الفراء، من أجودها الى أدناها جودة، بحيث تتوافر النعومة التامة وأجمل تموجات اللون. فتستخدم أجود الفراء في صنع الياقة وأطراف الاكمام والقطع العريضة في الظهر، ويخاط أدنى الاكمام بفراء أقل جودة. لا يبدأ التفصيل الا بعد موافقة مونتانيا ومعاونيه على توزيع الفراء. وعندما تصبح السترة جاهزة في أوائل الصيف تعاد الى الغرفة المبردة في انتظار الشتاء.

يرتدى فرو السمور في الأمسيات الباردة أوائل ديسمبر (كانون الاول). ويظهر في المناسبات العامة، ربما في أحد الاحتفالات الكبرى أو في دار الاوبرا بباريس أو حفلة خيرية في لندن أو مأدبة عشاء في نيويورك. وفي هذه المرحلة يتهيأ مونتانيا وتجار الفرو في العالم لجولة جديدة في يناير (كانون الثاني) في لينينغراد.

لاري كولينز ■



الكفاف وفرة للحكيم.

يوريبيديز، كاتب مسرحي اغريقي

قواعدُ النجَاة من الحَرائـق

لا يكفي جرس انذار لاخراجك وعائلتك أحياء من منزل شب فيه حريق

ماذا تفعلون إذا سمعتم صوتاً في البيت يصرخ "حريق"؟ هل تهرعون من غرفة إلى أخرى لجمع أطفالكم؟ إنه ولا شك تفكير نبيل، لكنه قد يؤدي إلى هلاككم وهلاك العائلة.

تدل الاحصاءات على أن ألوف الاشخاص يموتون سنوياً وأكثر منهم يصابون بجروح مختلفة لأنهم يجهلون طريقة التعامل مع الحرائق. ويؤكد الخبراء أن الطريقة الفضلى للنجاة لدى اندلاع حريق هي الاستعداد له.

في إحدى أمسيات مارس (آذار) ١٩٨٤ سمع توماس (١٠ أعوام) صوتاً منبعثاً من خارج غرفته في بيت ذويه شمال شرق الولايات المتحدة. فما كان منه إلا أن فتح باب الغرفة ليجد البيت يعبق دخاناً ويسمع والده ينادي مذعوراً: "حريق! أخرجوا جميعاً!"

بعد دقائق التقى أفراد العائلة في موضع كان حدد سابقاً في حديقة قريبة.

وقد أكّد المحقق لاحقاً أن رد فعلهم السريع هو الذي نجّاهم. وتساءل عن الأمر الذي حضّهم على التحرك بهذه السرعة. فأتاه الردّ من الصغير توماس أنهم تدرّبوا مراراً على مواجهة حريق كهذا.

ويعود هذا التحرك السريع للعائلة الى العام ١٩٨٢ حينما زار رجل إطفاء الصف الابتدائي الثاني في مدرسة توماس. وراح يشرح برنامج تدريب يساعد العائلة على النجاة من أي حريق. وبعد قراءة البرنامج الذي يتضمّن قواعد الصمود عمدت العائلة الى وضع رسم بياني لمنزلها المؤلف من طبقتين، يظهر مخرجين على الأقل من كل غرفة. ثم راح الجميع يتدرّبون تكراراً على الخروج في السنتين اللاحقتين.

وعندما اندلعت النار في المطبخ تلك الليلة تبيّن أن ذلك التدريب لا يقدّر بثمن. توجه توماس فوراً إلى الباب الأمامي في محاولة للفرار. لكنه فوجىء

برائحة دخان خانقة دفعته الى التراجع. وما لبث أن توجه إلى مخرج ثان تدرّب عليه جيداً. فعاد إلى غرفته وأقفل الباب وراءه وسارع إلى تسلّق النافذة في الطبقة الاولى، والخروج.

أما بقية أفراد العائلة فيتذكّرون هم أيضاً الدور الذي أدوه. فلما رأت الأم أن الدخان يعبق في السلم تسلّقت نافذة الرواق فوجدت نفسها على سطح المدخل الأمامي حيث كان زوجها ينتظرها حاملا سلماً، وكان قد خرج من المدخل الرئيسي.

هل من خلل في أدائهم؟ نعم. لقد أخطأوا اذ نسوا ابدال بطارية جهاز الانذار فلم يرن لدى اندلاع الحريق. أما الآن فتراهم يتأكّدون بانتظام من سلامة عمله.

وتؤكد "الجمعية الوطنية للحماية من الحرائق" أن "أجهزة التنبيه إلى الحرائق تخفف أخطار الوفاة بنسبة ٥٠ في المئة." وتبقى الاجهزة الكاشفة للدخان، والتي تعمل ببطارية، خير مساعد على النجاة في حال اندلاع حريق. فما عليكم سوى أن تركّبوا جهازاً على الأقل في كل طبقة من المنزل وتتأكدوا بانتظام من سلامة عمل هذه الأجهزة.

غير أن الوقت الاضافي الذي يوفّره الجهاز الكاشف للحرائق لا يعتبر قيّماً إلّا اذا عرفتم كيف تفيدون منه. فكثيراً ما يعثر الاطفائيون على ضحايا (أطفال عادة) رابضين تحت الأسرّة أو في الخزائن أو أمام أبواب محكمة الاقفال. تراهم يرتبكون ويرتعبون فيحاولون الاختباء من الدخان والنار. وتؤكد الجمعية الوطنية للحماية من الحرائق أن "أسس خطة النجاة سهلة. فهي تقضي بالخروج. الدقائق قيّمة، والثواني أيضاً. فاذ أعددتم خطة للخروج فلن تحتاجوا إلى اهدار الوقت الثمين مفكرين في طريقة الهروب."

وإليكم الطريقة التي تتحضّرون بها لمواجهة حريق:

١. ضعوا لائحة بجميع مخارج المنزل. اذ ان النار تنتشر عشوائياً. من المهم ايجاد عدة سبل للهرب.

٢. جدوا مخرجين لكل غرفة. النافذة قد تستعمل مخرجاً للطوارىء، فاذا كانت محكمة الاغلاق فهذا يعني استحالة استعمالها كمخرج. تأكّدوا جيداً من أن جميع أفراد العائلة، ولاسيما الأطفال، قادرون على فتح النافذة والخروج عبرها. فاذا وجدتم أنهم لن يستطيعوا الخروج بسهولة من النافذة، علموهم أن يستعملوا كرسياً أو أي شيء آخر في متناولهم لتحطيم الزجاج. وأخيراً، إن بدا الهبوط الى الأرض خطراً، احتفظوا بسلم من الحبال قرب النافذة. وتدربوا على استعمالها.

٣. ارسموا خريطة للمنزل. استعينوا، إذا أمكن، بخطوط متصالبة تشير إلى الأبواب والنوافذ. تأكّدوا جيداً من أن الخريطة تتضمن المعالم الخارجية للبيت وجميع العوائق.

٤. أشيروا إلى المخارج الرئيسة والثانوية وإلى مكان اجتماع خارج المنزل بوضع إشارة "×" أو سهم. كما

أن احصاء عدد أفراد العائلة بسرعة حالما يتجمعون خارجاً قد يكون حاسماً بالنسبة الى شخص ما زال عالقاً في المنزل.

٥. ألصقوا الخريطة على لوحة في المدخل أو على باب خزانة بحيث يتمكن جميع أفراد العائلة والزوّار والحاضنات من رؤيتها.

٦. انتبهوا جيداً إلى قواعد النجاة:

□ ناموا وأبواب غرفكم موصدة. فالابواب تقيكم الحرارة والدخان وتعوق انتشار النار. فاذا كان الهرب يتطلب الانتقال من غرفة إلى أخرى، فعليكم في هذه الحال أن توصدوا الابواب.

□ لا تضيّعوا الوقت بأمور تافهة كارتداء الملابس أو البحث عن أغراض قيمة، إذ انها لا تستأهل المخاطرة بحياتكم.

□ جسّوا كل باب قبل أن تفتحوه. فاذا كان حامياً أو كان الدخان يتسرّب من خلال فتحاته فعليكم أن تبقوه مقفلا وتتجهوا نحو مخرج ثانوي. وإن كان الباب بارداً فافتحوه بحذر وكونوا متأهبين لاقفاله بسرعة إذا واجهتكم حرارة أو دخان. فالنار الخامدة قد تعود إلى الاشتعال إذا ما أذكاها الاوكسيجين.

□ إذا كان مخرج النجاة عابقاً بالدخان وليس هناك مخرج آخر فابقوا في محاذاة "منطقة الامان" القريبة من الأرض. ازحفوا على صدوركم متجنبين الممرات والغرف العابقة بالدخان.

□ إذا التقطت ثيابكم النار توقّفوا حالا وانبطحوا أرضاً ثم التفوا على أنفسكم. واذا التقط أحدهم النار وبدا في حال ذعر وأخذ يركض، فارغموه على الانبطاح أرضاً وادفعوه الى الالتفاف على نفسه حتى تنطفىء النار.

□ عندما تصلون إلى موضع اللقاء تأكّدوا من عدم رجوع أحد إلى المنزل، اذ يستحسن ترك مهمة البحث والمساعدة للاطفائيين المتخصصين.

٧. اجمعوا العائلة مرة على الأقل كل ستة أشهر. وراجعوا خطة النجاة من الحرائق وقواعد الصمود مع كل فرد. ثم مرّنوا كلّ واحد على الخروج من مخارج النجاة. فالتكرار أساس الخلاص. والأمر يستأهل العناء.

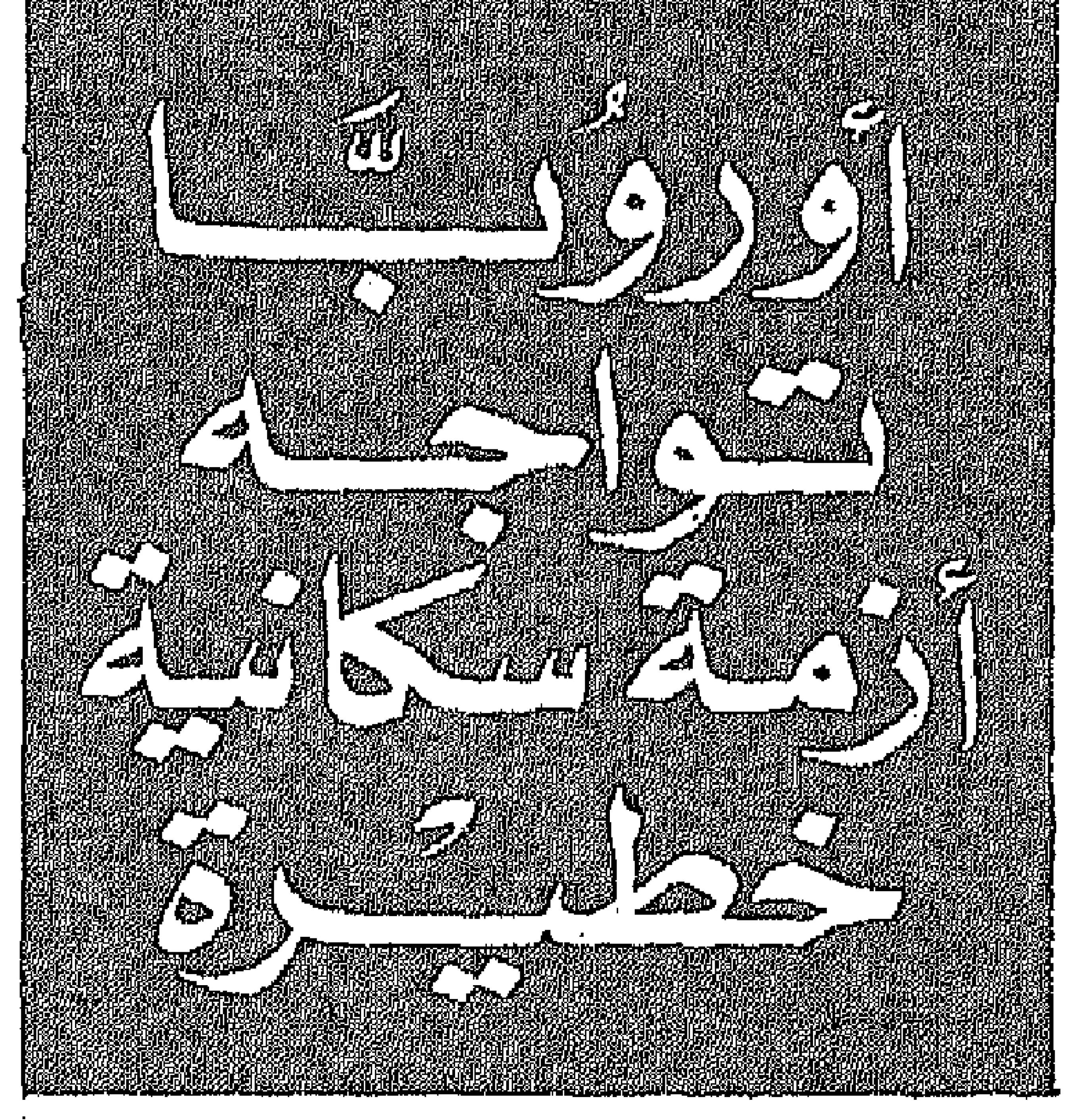
ستانلي انفلبارت

فوائد العناق

ليس العناق جميلا فحسب، بل هو ضروري أيضاً. انه يزيل الألم والانقباض، ويجعل المعافى أكثر عافية والمسرور أكثر سروراً، ويزيد الشعور بالأمان.

العناق يمنح الراحة ويغلب الخوف ويخفف التوتر. يمرنك على التمطي إن كنت قصيراً وعلى الانحناء إن كنت طويلا. العناق لا يعكر الأجواء. انه يحفظ الحرارة ولا يتطلب معدات خاصة. إنه يجعل الأيام السعيدة أكثر سعادة والايام المستحيلة ممكنة.

ك.ت.



ان نقص عدد المواليد في البلدان الاوروبية ينذر بأزمة سكانية خطيرة طويلة الامد

أعلنت فرنسا، بدعاية واسعة، في نهاية ١٩٨٦ برنامجاً مثيراً جديداً لتشجيع انشاء عائلات كبيرة، يُدفع بموجبه للامهات اللواتي ينجبن ولداً ثالثاً أو رابعاً "معاش أمومة موقت" على مدى ثلاث سنوات. وفي ألمانيا الغربية ابتداء من العام ١٩٨٩ ستمدد خدمة المجندين في القوات المسلّحة من ١٥ الى ١٨ شهراً.

هناك سبب واحد لهذين الحدثين المنفصلين ظاهراً: ثورة سكانية لم يشهد التاريخ الاوروبي مثيلا لها. ان عدد الشباب الاوروبيين الذين يحجمون عن الزواج آخذ في الازدياد. وأولئك الذين يتزوجون يفعلون وقد تقدم بهم العمر. وهم يؤخرون انجاب الولد الاول ويخططون لانجاب عدد أقل من الاولاد. وهناك أزواج عاملون يمتنعون عن الانجاب قطعاً. لذلك سيبدأ عدد السكان في القارة الاوروبية الانخفاض خلال التسعينات.

عام ١٩٨٥ سجلت ألمانيا الغربية، على رغم قوتها الاقتصادية وازدهارها، أدنى معدل للمواليد في تاريخها: ١،٣ لكل امرأة. وفي بريطانيا بين ١٩٧٣ و١٩٨٦ انخفضت نسبة المواليد عشرة في المئة وانخفض معدل الزواج عشرين في المئة تقريباً. حتى ايطاليا، على رغم الغالبية المحافظة لسكانها، ستواجه قريباً نقصاً في السكان. والدولتان الوحيدتان في أوروبا الغربية اللتان يتساوى فيهما معدلا الولادات والوفيات هما مالطا وايرلندا.

ان نقص المواليد في السبعينات سيسفر عن تدني عدد التلاميذ في الصف الواحد. ويزداد الامر حدة كلما تقدموا في الدراسة، مما سيحمل المدارس على الاقفال ويهدد عشرات ألوف المعلمين بالبطالة. وفي نهاية القرن سيواجه أصحاب الاعمال نقصاً في الايدي العاملة، خصوصاً في الوظائف التقنية. وأكثر ما يزيد في قلق الحكومات الاوروبية اضطرارها الى تسديد تعويضات التقاعد والطبابة لـ ٣٠٪ من رعاياها الذين يتجاوزون الخامسة والستين، فيما يستمر انخفاض عدد العاملين الذين يدفعون الضرائب.

همّ الاولاد – قبل خمس وعشرين سنة فقط كان من دواعي السخرية توقع انحسار سكاني خطير في أوروبا. فقد شهد الاقتصاد الاوروبي بعد الحرب أطول فترة ازدهار عرفها. كذلك ازدهرت

الاعمال وزاد عدد المواليد. فالاوروبيون أخذوا يتزوجون في سن أصغر بنحو سنة من سن الزواج في الخمسينات، وينجبون أولاداً في وقت أبكر. لذلك بدا مؤكداً أن نمو السكان سيستمر.

عام ١٩٦٤ بلغت نسبة المواليد ذروتها في كل البلدان الأوروبية الكبيرة. ثم بدأت الهبوط. وفي ١٩٧٥ بلغ معظمها حداً دون "المعدل التكميلي المطلوب" أي ٢،١ لكل امرأة، وهو العدد الضروري لسد النقص في العدد الحالي للسكان. واستمر الهبوط. وستشهد العقود القليلة الاولى من القرن الحادي والعشرين انخفاضاً أكيداً في عدد السكان في المانيا الغربية وبلجيكا والدانمرك واللوكسمبور، وتنطبق هذه الحال، بما يقارب التأكيد، على ايطاليا وفرنسا وهولندا.

وفيما تنخفض نسبة المواليد تدريجاً نجد أن أوروبا بدأت تسير في طريق "الشيخوخة." ان متوسط العمر المرتقب للرجال في اوروبا الغربية ارتفع من ٦٤ عاماً في ١٩٥١ الى ٧١ حالياً. وقبل ثلاثين سنة كانت النساء الاوروبيات يتطلّعن الى بلوغ الثامنة والستين كعمر متوسط. اما الرقم اليوم فهو ٧٧ عاماً ومرشح للارتفاع الى ما فوق ٨١ بحلول السنة ٢٠٠٠. إثر الحرب العالمية الثانية كان الاشخاص الذين تزيد أعمارهم على ٦٥ يشكلون أقل من عشرة في المئة من السكان في معظم البلدان الاوروبية. أما الآن فهذه النسبة هي ١٥ في المئة، وفي أوائل القرن الآتي سيكون واحد من كل خمسة أوروبيين في عداد "العجزة." لذلك يحذّر الخبير السكاني الفرنسي جيرار فرنسوا دومون من "أن أوروبا تقف على عتبة شتاء سكاني."

ليس هناك توافق في الآراء حول السبب الذي يحمل الاوروبيين على انجاب أولاد أقل. سوى أن بعض علماء الديموغرافيا(١) يرون أن الهبوط هو منحى في مسار تاريخي قديم بدأ في منتصف القرن التاسع عشر. ويرى آخرون أنه ظاهرة عصرية جديدة نتيجة ثورة في طرق المعيشة ومفاهيم القيم. ويقول الديموغرافي روبير ليستاج من جامعة بروكسل الحرة: "لقد رأينا تحولا الى نظام مادي للقيم، حيث أصبح تحقيق الذات هو الهدف الرئيسي."

وهناك عدد كبير من الشابات الفرنسيات اللواتي يفضلن متابعة العمل ليتمكنَّ من شراء بيت والسفر الى الخارج، على الارتباط بالزواج وتربية الاولاد. تقول كريستين فاتيلار من جامعة لوفان في بلجيكا: "لم يعد ينظر الى الاولاد كتوظيف مفيد للمستقبل، بل كنفقات اضافية."

تقلص الايدي العاملة – تركز معظم الاهتمام الى الآن على الانخفاض السكاني في ألمانيا الغربية لأنها، من ناحية، تعدّ من محاور اقتصاد أوروبا ودفاعها، ومن ناحية أخرى لأن مستوى المواليد فيها انخفض بسرعة قياسية. واحدى مشكلات البلاد جيشها الذي حدده حلف شمال الاطلسي بـ٤٥٥ ألف رجل بينهم ٢٢٥ ألف مجند. والى عهد قريب كان من

(١) الديموغرافيا هي الدراسة الاحصائية للسكان من حيث المواليد والوفيات والصحة والزواج وسوى ذلك.

السهل تنفيذ هذا التعهد. الا أنه في التسعينات سيتعين على الجيش أن يملأ صفوف المجندين باستدعاء الشباب الذين بلغوا الثامنة عشرة وعددهم آخذ في الانخفاض. ان قرار البرلمان الاتحادي تمديد الخدمة العسكرية الالزامية، بدءاً بالعام ١٩٨٩، من ١٥ الى ١٨ شهراً سيسد الفراغ لبضع سنوات، لكنه لن يكون حلا للمشكلة على المدى الطويل.

ويتجلى الخطر ذاته في معالجة الانخفاض المطرد في الايدي العاملة. عام ١٩٨٦ كان تسعة في المئة من سكان ألمانيا الغربية عاطلين عن العمل. وكانت صفوف العمال متخمة في بلدان أوروبية أخرى. لذلك سعت هذه البلدان الى تقصير أسبوع العمل ووضع خطط للتقاعد المبكر. ولكن على المدى الطويل ستواجه غالبية الدول الاوروبية نقصاً في الايدي العاملة قرابة السنة ٢٠٠٥. لذلك يعمل المخططون على جعل قوانين العمل اكثر مرونة. وتتضمن آراؤهم السماح للمستخدمين بالعمل جزئياً حتى بلوغهم السبعين، كما تتضمن برامج للامهات العاملات تلائم ظروفهن.

ان أسهل علاج للنقص السكاني هو تشجيع الانجاب. ويعتقد بعض الديموغرافيين أنه يكاد يكون من المستحيل اتخاذ موقف فاعل من الانجاب على المدى البعيد. غير أن عدداً من السياسيين يصرون على أن ذلك ممكن ويجب أن يتم. فرنسا، مثلا، لا تزال تطبق سياسة تشجيع الانجاب بقوة منذ العشرينات. وبموجبها ينال الوالدان اعانات شهرية. وهناك تخفيضات كبيرة في الضرائب لتسهيل الاعتناء بالاولاد في البيت. وفي السن الثالثة يرسل معظم الاولاد الفرنسيين الى مدارس الحضانة. ولكن على رغم كل هذه الجهود هبط معدل المواليد في فرنسا من ٢،٧ لكل امرأة عام ١٩٦٠ الى ١،٨ عام ١٩٨٦.

شيء سينهار – اذا لم تكن للبلاد قدرة على انجاب كفايتها من الاولاد، ففي استطاعتها "استيراد" مواطنين من الخارج. هكذا فعلت الدول الاوروبية الكبرى في أواخر الخمسينات وفي الستينات التي شهدت ازدهاراً كبيراً، حين استوردت أيدي عاملة من تركيا ويوغوسلافيا وشمال افريقيا وجزر الهند الغربية. في المقابل نبذ الاوروبيون فكرة الهجرة كحل للبطالة في بلدانهم. فمنذ ١٩٧٠ اتخذت فرنسا وبريطانيا وسويسرا وألمانيا الغربية ودول الـ"بينيلوكس" (٢) والبلدان الاسكندينافية اجراءات لوقف تدفق الاجانب. وحاولت فرنسا وألمانيا الغربية دفع مبالغ مغرية للعمال المهاجرين للرجوع الى تركيا وشمال افريقيا. والحكومات الاوروبية غير متحمسة للأخذ ثانية بسياسة الهجرة التي خلفت توترات ومشاكل عرقية.

وتكمن العقدة الكبرى في معالجة مشكلة الازدياد المطرد لعدد المسنين وتأمين الاموال اللازمة لاعالتهم وتطبيبهم. ان في امكان الاجيال العاملة المساهمة أكثر في الاعتمادات المالية

---

(٢) دول الـ"بينيلوكس" (Benelux) هي بلجيكا وهولندا ولوكسمبور. والكلمة مركبة من الحروف الاولى لأسمائها الاجنبية.

لصندوق التقاعد، ولكن هناك حدود لما يستطيع الاوروبيون العاملون أن يقدموه الى المسنين. وما دام المجتمع يحمل العاملين على دفع نفقات المتقاعدين فان التفاوت السكاني المرتقب في أوروبا سيقود أنظمة التأمين الاجتماعي الى الافلاس. من الواضح اذاً ان هناك شيئاً سينهار حتماً.

يعتقد كثيرون من المنظّرين أن الحل يكون في ابدال برامج الدفع لصندوق الشيخوخة خلال مدة العمل بجمع الضرائب في صندوق تقاعد افرادي أو برامج توفير تنظمها الشركات. وتطبق هذه الاجراءات حالياً في بلجيكا وبريطانيا حيث يساهم قرابة نصف العمال في برامج تقاعدية تكملة للبرامج التي وضعتها الدولة. لكن الديموغرافيين يجادلون أن هذا الاجراء يرجىء حل المشكلة لكنه لا يتصدى لها. ويقول ميشال لوريو من جامعة لوفان في بلجيكا: "ان السبيل الوحيد الاكيد لمواجهة النفقات هو زيادة الانتاج والانتاجية على مدى العقود المقبلة." ويقره في ذلك معظم الخبراء، لكن الصعوبة تكمن في اقناع الناخبين والسياسيين بأن مصلحتهم ومصلحة أوروبا تقضي باجراء تغيير جذري في الخريطة الديموغرافية لبلدانهم.

ان لدى أوروبا الوقت الكافي لمواجهة المشاكل السكانية بنجاح اذا هي باشرت الاجراءات المقترحة حالا. وتنفيذ خطة التقاعد الافرادي، وان جزئياً، كفيل بكسر حدة أشد الصعوبات. والانتقال الجذري الى ساعات عمل مرنة يتيح للبلدان والحكومات أن تتكيف ومعطيات سوق العمل. ومن الضروري اتخاذ هذه الاجراءات عاجلا والا واجهت أوروبا أزمة سكانية حادة وطويلة الامد.

سكوت سوليفان



صياد متفائل

جارنا، كمعظم صيادي الاسماك، كثير التفاؤل. ذات صباح سألته عن حال الصيد فأجاب: "أفضل من قبل. في الاسبوع الماضي عدت بعد أربع ساعات فارغ اليدين، وأمس حصلت على النتيجة نفسها في ثلاث ساعات فقط."

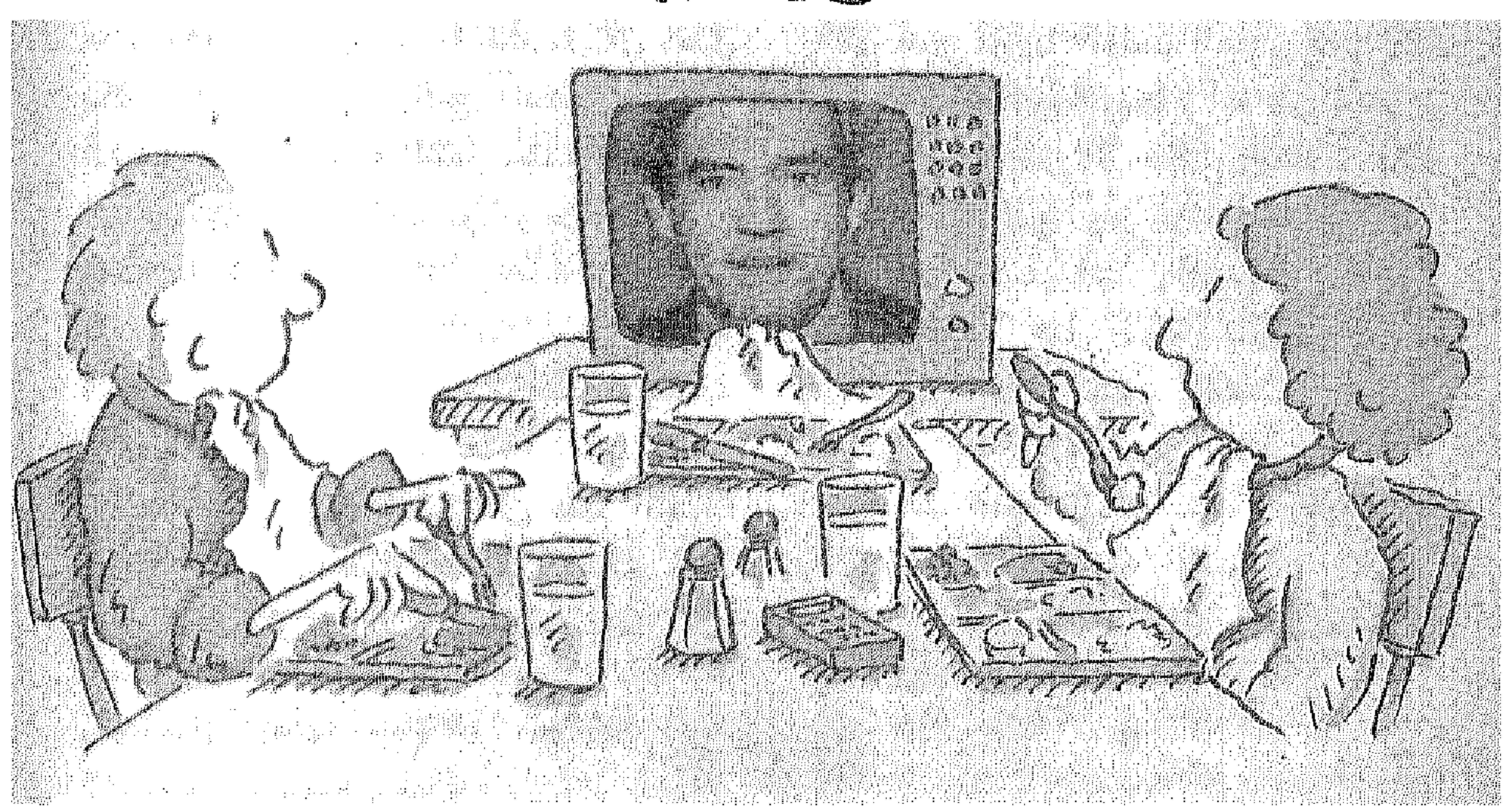
م.ك.

نصف شقيق!

حاولت أن أفسر لابني، وهو في السادسة، العلاقة بينه وبين زوجي الثاني ومولودنا الجديد. لم أشأ استعمال عبارة "نصف شقيق" لخوفي من عدم تقبله الفكرة، ولكن لم يكن لي من خيار. جمد الولد في مكانه مفكراً ثم نظر الي وقال: "وعندما يكبر يصبح شقيقي الكامل!"

ش.ب.

التلفزيُون يهَدِّد حَياتكم الزوجيَّة



الزر السحري الذي يعيد البهجة إلى زواجكما هو زر اطفاء التلفاز..

ذات زمان كان التلفزيون (التلفاز) مثل حلوى ما بعد الطعام، يتقاسمه الزوجان بعد العشاء أو بعد الاعمال اليومية الرتيبة والاحاديث. ولكن في هذه الأيام، كما تذكر الباحثة جون أندرسن ويلكنز في مؤلفها "إبطال العادة التلفزيونية"(١)، أصبح التلفزيون هو "الوجبة" الكاملة وساد الصمت الخدِر بدلا من أحاديث الود.

هل تركتما التلفزيون يلتهم أوقات فراغكما الزوجية؟ أين الخط الاحمر في ملازمة التلفزيون؟ هنا أسئلة يطرحها كل منكما على نفسه:

١. هل تتناولون العشاء على نحو حميم أنتم الثلاثة... أنت وزوجك ومذيع الاخبار؟

٢. أيهمس التلفزيون ألفاظ التحبب في أذنك أكثر مما يفعل زوجك؟

٣. هل ألفيت نفسك قائلا: "ياه، عزيزتي، هل يمكنك أن تطلبي من أحد

(١) Breaking the TV Habit

غيري تضميد جرح ساقك؟ لقد بدأت مباراة كرة القدم"؟

٤. اذا كنت تدون يومياتك، فهل تبدو كدليل برامج التلفزيون؟

٥. اذا سمعت ساعة تتكّ، فهل تفكر عفواً في نشرة الاخبار؟

٦. إذا ما سألك صديقك: "كيف الأحوال؟" أتجيبه: "على أسوأ ما يكون، فأخو بلايك الشقي عاد إلى المدينة. وأليكس ستُطلّق"؟(٤)

٧. اذا تعطل جهاز التلفزيون لديك، فهل تعتلّ؟

اذا أجبتما بـ"نعم" عن سؤال أو اكثر من هذه الاسئلة فقد يكون جهاز التلفزيون مهدداً لحبكما.

في رأي عدد من الخبراء أن مشاهدة برامج التلفزيون لوقت طويل هي ذات أثر مدمر في الزواج. يقول الدكتور بيار مورنيل أحد الاطباء النفسانيين في كاليفورنيا: "إن مشاهدة التلفزيون عادة بليدة قد تصلح بديلا من العلاقات الحميمة، ولربما حالت دونها. واذا كنتما تشاهدان العروض التلفزيونية لاكثر من ساعة أو ساعتين كل ليلة، فقد ينشأ تناغم بين كل منكما وجهاز التلفزيون اكثر مما يسود بينكما."

كتبت ويلكنز: "ينبغي أن تكون مشاهدة التلفزيون استثناء لا قاعدة." وتوافقها في الرأي فرنسين كلاغسبرن مؤلفة كتاب "المتزوجون: كيف يبقون معاً في عصر الطلاق": "الازواج لا يتفاعلون بعضهم مع بعض أثناء البرامج. ان مشاهدة التلفزيون تشبه النوم باكراً للابتعاد عن الزوج."

وقد أجريت في الولايات المتحدة أحصاءات لتحديد مرتبتي ممارسة الجنس ومشاهدة التلفزيون في قائمة النشاطات المفضلة، وهي تدل على مدى انتشار هذه المشكلة. فاذا كنت تماثل الأمريكيين الذين شملهم احصاء "المؤسسات المتحدة للاعلام" فانك لن تختار مشاهدة التلفزيون فقط، بل ستؤثر اصلاح صنبور راشح وجز العشب في الحديقة على ممارسة الجنس مع زوجك. وقد كشف الاستطلاع الذي أجري عام ١٩٨٣ الآتي:

نوع النشاط	نسبة ممارسته يومياً
مشاهدة التلفزيون	٧٢ ٪
قراءة الصحيفة	٧٠ ٪
الاستماع إلى الموسيقى	٤٦ ٪
ممارسة الرياضة	٣٥ ٪
الحديث	٣٠ ٪
قراءة كتاب	٢٤ ٪
العمل في الحديقة	٢٢ ٪
اصلاح أشياء في المنزل	١٧ ٪
ممارسة الجنس	١١ ٪

والاتجاه نحو مشاهدة التلفزيون مستمر باطراد، من خمس ساعات ونصف ساعة يومياً في ١٩٦٥ - ١٩٦٦ إلى ست ساعات و١١ دقيقة في ١٩٧٥ - ١٩٧٦ فالى سبع ساعات و١٠ دقائق في ١٩٨٥ - ١٩٨٦، وفقاً لما ورد في أحد تقارير "نيلسن." والنسوة اللاتي يتذمرن من أن ازواجهن يتسمرون أمام شاشات

(٤) الشخصيات من مسلسل «Dynasty».

لا راحة مع التلفزيون!

يعتبر كثيرون أن التلفزيون يمنح استرخاء بعد يوم من العمل الشاق. لكن بعض الدراسات يشير الى أن التلفزيون ليس جهازاً مخففاً للتوتر. فوفقاً لبحوث أجريت في معهد أنبيرغ للاتصالات في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، قد يساهم التلفزيون في زيادة مشاعر القلق وسوء الظن لدى الناس.

قال لورنس فريدمان أحد الأطباء النفسانيين في لوس انجلس: "اني على اقتناع بأن عدداً كبيراً من حالات الطلاق في أمريكا لا داعي لها. وسببها، إلى حد ما، أن التلفزيون يلقننا حلولاً بسيطة لمعضلات معقدة. يقول لي أحدهم: ليتني أضع حداً لهذا الزواج، وسيغدو كل شيء على أتم ما يرام. هذا هراء!"

اذاً، بدلاً من أن تهجر أسرتك، طلق جهاز التلفزيون. وحينما تنقص ساعات مشاهدتك له ستشعر بنشاطية وسرور أكثر مع أولادك وأصدقائك وزوجك. يقول العالم النفساني يوري برونفنبرنر: "إن الخطر الأساسي لشاشة التلفزيون لا يكمن في السلوك الذي تحض عليه، بل في السلوك الذي تحول دونه."

جون أندرسن ويلكنز، في كتاب "إبطال العادة التلفزيونية"

التلفزيون كالبقّ على حاجب الريح في السيارة، عليهن أن يتذكرن أمراً: انهن يشاهدن برامج التلفزيون اكثر من الرجال. ويبدو أن الفتيات يرغبن كثيراً في مشاهدة عروض التلفزيون، لفترة طويلة تبلغ ٢٩ ساعة و٣٤ دقيقة أسبوعياً في الفئة التي تراوح أعمارها بين ١٨ و٣٤ عاماً. فمتى يا ترى يتوافر وقت لأداء أمور أخرى؟

وقد ينتج من التلفزيون أثر سلبي اذا كان الزوجان يعانيان مشاكل عاطفية أو جنسية أو مالية ولا يعالجانها. والى الوقت المهدور في التسمر أمام الجهاز، فإن محتوى كثير من البرامج الرائجة لا يساعد الزوجين المتباعدين على مواجهة صعوبات الحياة الزوجية. يقول الدكتور مورنيل: "إن الصور الزائفة التي يشاهدها الناس على شاشة التلفزيون تجعل الزواج الحقيقي يبدو هزيلاً ومخيباً."

لكن الدكتور مورنيل، مع ذلك، لا يوصي بقذف الجهاز البغيض من النافذة: "اذا اعتاد الزوجان تشغيل التلفزيون سبع ساعات يومياً، فإن التخلص منه فجأة قد يتسبب في صدمة مأسوية." وهو يقترح بدل ذلك خفض ساعات المشاهدة تدريجاً.

وهنا بعض التدابير لخفض الاستهلاك التلفزيوني:

□ حاولا الاكتفاء بجهاز واحد في البيت. أبعدا التلفزيون عن حجرتي الطعام والنوم، وهما المكانان المباركان في الحياة الزوجية.

□ لا تستعملا التلفزيون كحاضنة أو كمصدر للضجيج. واذا كنتما لا تشاهدان برامجه فاطفئاه.

□ نمّيا عادة ادارة الجهاز متى علمتما أن ثمة برنامجاً معيناً يثير اهتمامكما، لا لمجرد أن الجهاز موجود هناك.

نينا كومز

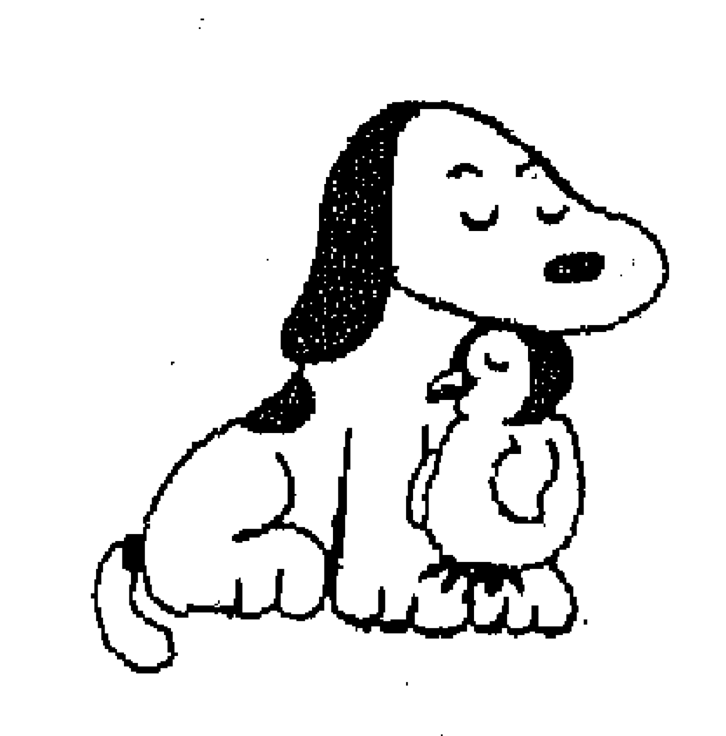
حكايات من العالم

كلاب شمسية

يعرض في متنزه صوفيا - أنتيبوليس بالقرب من مدينة نيس في فرنسا أول بيت للكلاب مدفأ بأشعة الشمس وحرارته ثابتة على ١٥ درجة مئوية. وهو مجهز بسطح ماصّ يذوب لدى بلوغ الحرارة ١٥ درجة، وعندما تتدنى عن ذلك يعود فيتجمد ويوزع الحرارة المخزونة. وتنعكس هذه الحرارة، مع الحرارة المنبعثة من جسم الكلب، داخل البيت بواسطة صفائح ألمنيوم تبطّن الجدران.

وفي الامكان تطبيق هذه التقنية واستخدامها في أكشاك الهاتف والملاجىء الجبلية.

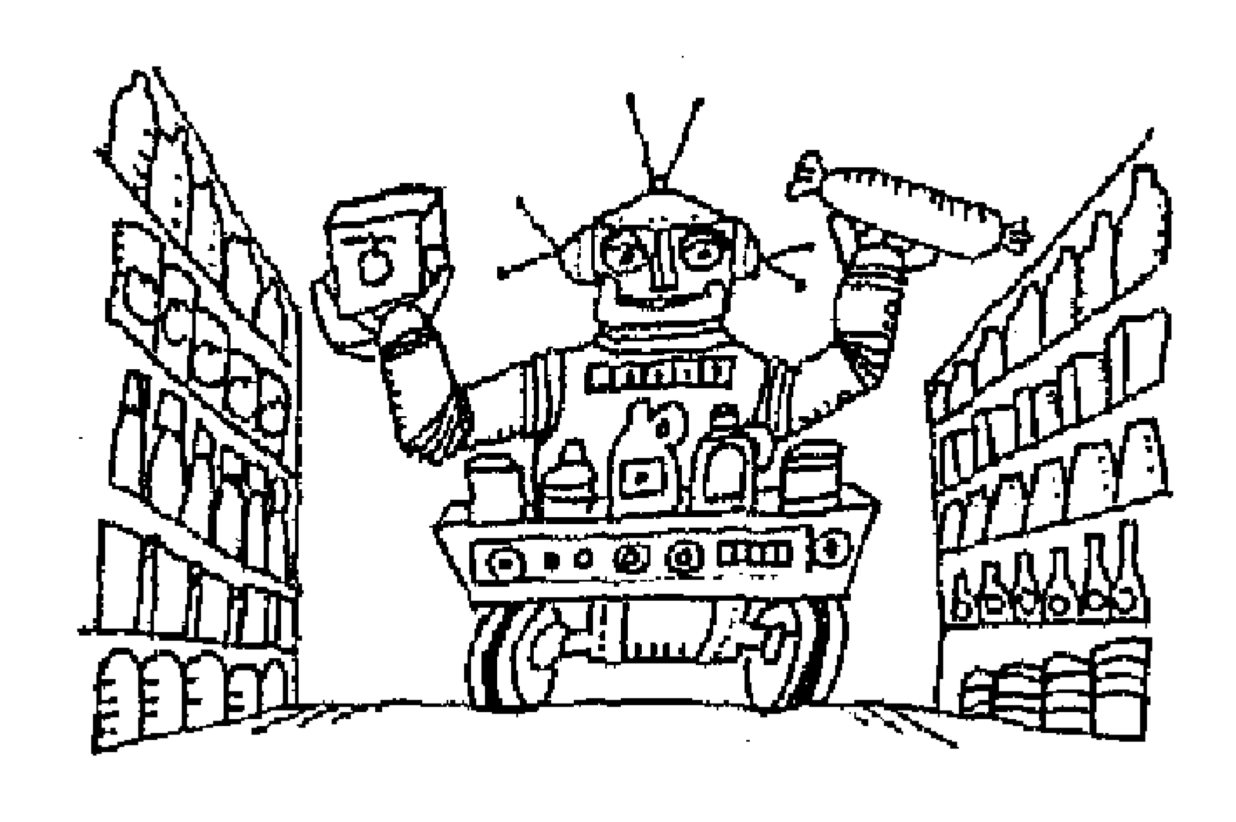
ر.ف.



أعمال يابانية

يبدو أن اليابانيين جاهزون للقيام بالاعمال التجارية في أي مكان. فبينما كان رجل الأعمال البريطاني ك.م. فوغ يرتاح الى حافة حوض سباحة في كوالالمبور بماليزيا سبح اليه أحد اليابانيين وشرعا في الحديث. وقد جاء في رسالة وجهها فوغ الى صحيفة "التايمس" في لندن: "حالما توصلنا الى الاتفاق على بعض النقاط ذات المصلحة المشتركة سحب الياباني من سرواله بطاقة مغلفة ضد الماء تتضمن اسمه وعنوانه التجاري، وناولني اياها. فما حظنا من النجاح يا ترى أمام مثل هذه المنافسة؟"

صحيفة "بانكوك بوست"



يوم الاحصاء التركي

"التزموا بيوتكم لكي نحصيكم!" هذه هي الرسالة التي توجه الى الاتراك في "يوم الاحصاء" الذي يجرى مرة كل خمس سنوات. في الاحصاء الاخير عام ١٩٨٥ لزم خمسون مليون تركي منازلهم وأجبر السياح على تغيير مواعيد رحلاتهم والانتظار في محطات الحافلات والقطارات بين السابعة صباحاً والسابعة مساء موعد انتهاء حظر التجول. ولما كانت مخصصات البلديات تمنح بحسب عدد السكان، فقد طلب بعض رؤساء البلديات من أبناء مدنهم وقراهم الساكنين في مناطق أخرى العودة الى مساقط رؤوسهم، وأمنوا نقلهم مجاناً.

صحيفة "الموند"، باريس

أجوبة موضوع "إمتحان حسابي" المنشور في الصفحة ٦٥

أحجية المونوبولي

ان عدد الاوراق في كل فئة هو بالعشرات. وبما أن مجموع الاوراق من فئة ٥٠ نقطة هو الاكبر (١٥٠٠ نقطة) فليس هناك سوى ١٠ أوراق من فئة ١٠٠ نقطة. وهذا يعني أن هناك ٢٠٠ ورقة من فئة النقطة الواحدة و١٠٠ من فئة ١٠ نقاط. وبما أن هناك ٣٠ ورقة من فئة ٥٠ نقطة (١٥٠٠ نقطة مقسومة على ٥٠) فتكون البقية ٥٠٠ نقطة أي ١٠٠ ورقة من فئة ٥ نقاط.

باريس – ريفييرا

يذكر من الحديث قبل الغداء أن قطع مسافة ١٥٠ كيلومتراً استغرق ساعة وثلاثين دقيقة، وأن الوقت الذي استغرقته المسافة من باريس الى المطعم هو خمس ساعات. وهكذا تكون العائلة قطعت ٥٠٠ كيلومتر من السابعة صباحاً الى الظهر. فاذا اعتبرنا أن الغداء استغرق ساعة وبقيت مسافة ٤٠٠ كيلومتر، فستصل العائلة الى الريفييرا في الخامسة بعد الظهر، قاطعة ما مجموعه ٩٠٠ كيلومتر.

٩٠ دقيقة في أحضان الموت

توقف القلب.. وعندما وصلت سيارة الاسعاف كانت المصابة في حالة لا تنفع معها المعالجة

ايميلدا كوين لا تتذكر شيئاً عن ذلك النهار الصيفي. وهي تقول عندما يخبرها الآخرون بما حدث: "ان ذلك لغريب جداً. تخيلوا أنكم تسمعون خبرَ انتشالكم من الموت!"

غابت ذاكرتها كلياً، لكن سجلات هيئة الاسعاف صحيحة لا يرقى اليها الشك. ففي الساعة ٣،٤٤ عصر ١١ يوليو (تموز) ١٩٨٥ تلقى العامل في مركز وايتفيلد الطبي في مانشستر (بريطانيا) نداء طارئاً من ايميلدا وقد انتابها الهلع وراحت تتوسل اسعافها فوراً.

دوّن العامل عنوانها في ضاحية لانغلي سجل انها تعاني ألماً حاداً في الصدر، م أخطر أقرب هيئة للاسعاف في يديلتون. وما هي الا ست دقائق حتى ان فريق الاسعاف المكوّن من مارغريت كارتر ومايكل هالوران قد وصل الى الطبقة الارضية حيث تسكن ايميلدا مع والدتها.



فوجيء المسعفان لرؤية الباب الامامي مشرعاً. وعندما قرعا لم يجبهما أحد. ساد الشقة سكون. ولدى دخولهما وجدا ايميلدا ممددة على الفراش فاقدة الوعي وهي تنتفض.

وما ان انحنى هالوران ليفحصها حتى توقفت عن التنفس. جس نبضها فلم يحسّ به. فدوّن آلياً في ذاكرته: "توقف النبض الساعة ٣،٥٣". اذا انحسر الاوكسيجين الذي يحمله الدم عن الدماغ أكثر من ثلاث دقائق ونصف دقيقة فان دماغ ايميلدا سيتلف.

فيما هرعت مارغريت كارتر الى سيارة الاسعاف لاحضار عدة الانعاش، مدد هالوران ايميلدا على الارض وضرب صدرها بقبضته ضربة قوية محاولا أن يبعث النبض في قلبها. وخفق القلب قليلا وما لبث النبض أن تلاشى. فركع هالوران الى جانبها وأخذ يدلك صدرها بحركة ايقاعية من أجل ضغط القلب وحمله على دفع الدم الى الدماغ. وجُهزت مروحة أوتوماتيكية كي تساعد ايميلدا على التنفس وتدفع الاوكسيجين النقي الى الرئتين. بعد ذلك عمل المسعفان كفريق.

نجاح واخفاق - مايكل هالوران (٣٨ عاماً) ومارغريت كارتر (٤٣ عاماً) مسعفان طبيان. وقد بلغ "مجموع" سنوات خدمتهما في الاسعاف ٢٤. وها هما الآن في حاجة الى كل الخبرة التي اكتسباها طوال هذه المدة. وفيما تابع هالوران تدليك القلب وضعت رفيقته كمامة الاوكسيجين على وجه ايميلدا وراقبت بؤبؤي عينيها. رأتهما يتقلصان، مما يدل على أن الاوكسيجين كان يصل الى الدماغ.

لاحظت كارتر أن ايميلدا تحاول التنفس من تلقائها فنزعت الكمامة. لكن ايميلدا تنفست قليلا وما لبثت ان احتاجت ثانية الى الكمامة لمزيد من الاوكسيجين. وأحس هالوران بنبض ولكن لعشر ثوان فقط. وتكررت المحاولة: دفع الاوكسيجين فمحاولة التنفس فاعادة الاوكسيجين فنبض قليل استجابة للتدليك ثم لا شيء.

بعد ١٨ دقيقة من الجهد رأى المسعفان أن أتعابهما تراوح بين النجاح والاخفاق. فقد نجحا في ابقاء ايميلدا حية، لكن حياتها بقيت في خطر شديد. وهما لا يجرؤان على وقف التدليك لنقلها الى المستشفى. وانخفضت كمية الاوكسيجين في المروحة فاقتضى الحصول على مساعدة. في الساعة ٤،٠٩ طلب هالوران عبر اللاسلكي فريقاً مسانداً وكمية اضافية من الاوكسيجين وطبيباً.

اتصلت ادارة الاسعاف بالمستشفى العمومي شمال مانشستر الذي أخطر الدكتور ديفيد موريسون (٥٢ عاماً) المستشار المسؤول عن وحدة "العناية الفائقة" ووحدتي القلب والكلي. فهرع هذا الى سيارة الاسعاف التي يملكها والتي جهزها بحيث باتت بمثابة وحدة عناية فائقة متنقلة. واصطحب الممرضة جيني بوند ومساعدته الشابة الدكتورة أليسون غوردي. انطلق الفريق وسط التماع اشارة التنبيه وولولة صفارة الانذار قاطعاً مسافة ستة كيلومترات ونصف كيلومتر الى لانغلي في ثماني دقائق.

ولدى وصولهم وجدوا غرفة ايميلدا الصغيرة مزدحمة بالناس، وبينهم عدد من رجال الشرطة الذين أبلغوا الحادث. وكان فريق الاسعاف الاول يعنى بها. لاحظ الدكتور موريسون أن ايميلدا ما زالت تحاول التنفس. وبفضل مهارة مارغريت كارتر ومايكل هالوران بدا دماغها سالماً.

برودة وازرقاق – وضع الدكتور موريسون جهاز تخطيط القلب على صدر ايميلدا فشاهد نبضها على شاشته الصغيرة، خطوطاً ناتئة غير مستقيمة. فعرف حالا أنها مصابة بالاختلاج العضلي. لم تكن ألياف عضل القلب تتقلص بحركة متوازنة كما في نبض سليم، بل كان كل منها يتقلص مستقلا عن الاخرى. لذلك فقد القلب قدرته على ضخ الدم.

كان فريق المستشفى أحضر جهازاً لتصحيح الاختلاج، يعمل بتمرير صدمة كهربائية قوية غير ضارة تخترق القلب بهدف حمل كل الالياف على التقلص معاً للتزامن مع نبضة القلب التالية. وضع الدكتور موريسون أقطاباً كهربائية بعناية على صدر ايميلدا وأدار الجهاز فارتجف جسدها عندما ضربه تيار بقوة عشرة آلاف فولت.

رأى موريسون أن الامداد غير المنتظم للدم طوال أربعين دقيقة ربما جعل ألياف العضل شديدة التهيج فلم تعد تستجيب للصدمة. وفي سبيل تهدئتها طلب من الدكتورة غوردي أن تحقن مخدراً موضعياً في العرق قبل أن يلجأ ثانية الى جهاز تصحيح الاختلاج. واستعمل لذلك عقار "ليغنوكين" الذي استخدم بنجاح في حالات توقف القلب. ولكن هذه المرة كان تأثيره عنيفاً، فعندما أعطيت ايميلدا صدمة أخرى اضطرب جهاز التخطيط ثم توقف. لقد توقف قلبها كلياً عن النبض.

شعر فريقا الاسعاف بالرهبة عندما طلب الدكتور موريسون من الممرضة جيني بوند حقنة ملأى بالادرينالين(١) وغرز الابرة في عمق صدر ايميلدا. لكنه كان يدرك ما يفعله: عندما تخترق الابرة عضل القلب سينشّط الادرينالين الالياف. وهذا ما حصل، وأظهر جهاز التخطيط أن القلب عاد الى النبض وان لم ينقطع الاختلاج.

ثم أجرى الطبيب صدمة كهربائية ثالثة ولكن من دون جدوى.

وشعر أن ايميلدا تبرد، وتحوّل لون جلدها أزرق مرقطاً وهذا دليل سوء جريان الدم. عندما يتوقف جريان الدم الى الانسجة حاجباً عنها الاوكسيجين تصبح حمضة. وفكر الدكتور موريسون في أن الحمض (أسيد) المتدفق من القلب يزيد تهيج ألياف العضل وربما كان سبباً آخر لعجزها على التزامن الصحيح.

لذلك توجب تعديل الحموضة. وللحال أخذت أليسون غوردي تغذي وريداً كبيراً تحت ترقوة ايميلدا (في العنق) بثاني الكربونات(٢) بواسطة التقطير. والتدليك المستمر سيدفع ثاني الكربونات الى القلب.

يد على القلب – مضت ساعة لم ينبض القلب خلالها من دون مساعدة. استخدمت

(١) الادرينالين هرمون منبّه تفرزه الغدة الكظرية خصوصاً في وقت الخوف أو الغضب.

(٢) Bicarbonate

في احيائه كل طريقة معروفة، ولكن لم تجدِ أي منها. فتوقف الدكتور موريسون وسأل: "هل لدى أي منكم فكرة بارعة؟" كان عارفاً أنه لم يبق أمامه سوى خيار واحد: شق صدر ايميلدا وتدليك قلبها. لقد أجرى تلك الجراحة سابقاً في ظروف ميؤوس منها، وهي تكللت بالنجاح أحياناً. وفكر: اذا حالفك الحظ وأدركت المصاب في الوقت المناسب كان النجاح حليفك. وتعتبر هذه العملية تقنية نادرة حتى في المستشفى حيث تتوافر سبل التعقيم. ولم يحدث أن حاول أحد اجراءها خارج مستشفى لما يرافق ذلك من خطر تلوث. لكن ايميلدا كانت أقرب الى الموت منها الى الحياة وهذه فرصتها الاخيرة.

تهيأ الدكتور موريسون لبدء الجراحة. فغسل يديه وطلب تمديد ايميلدا على لوح رقيق من المطاط كان في عربة الاسعاف. وبحركة رشيقة شق صدرها من اليسار الى اليمين محدثاً جرحاً لا يزيد طوله على عشرة سنتيمترات تفادياً لضرر كبير.

وبرزت مشكلة ادخال يده عبر الفتحة الضيقة بين الاضلاع. ففي غرفة العمليات يستخدم آلة خاصة لفصل الاضلاع، أما في هذه الحال فقد استخدم أداة تستعمل لابقاء الفم مفتوحاً، فاستطاع فصل الاضلاع مقداراً كافياً ليتمكن من ادخال يده.

وفيما كانت جيني بوند تؤمن جريان ثاني الكربونات الى العرق، وأليسون غوردي تراقب المروحة الاوتوماتيكية، كان الدكتور موريسون يدخل يده بلطف في صدر ايميلدا ويحس بقلبها يتشنج وينتفض. فأخذ يضغطه على باطن عظم الصدر. وكانت عدة اضلاع كسرت من جراء التدليك الشديد فنتأت منها كسرة أخذت تؤلمه بوخزها مما أجبره على التحول باستمرار من يد الى اخرى.

بعد خمس عشرة دقيقة أثمرت جهوده المضنية فبدأ قلب ايميلدا ينبض بقوته الذاتية وان متعثراً قليلا. وكان على الدكتور موريسون أن يثابر على ضغط القلب لعشر دقائق أخرى كي يستعيد نبضه المتزن. وهو يتذكر: "أخذ يضرب يدي حقاً. كان ذلك احساساً رائعاً. عرفت أنني نجحت."

امرأة أخرى! – رأى الدكتور موريسون جلد ايميلدا يستعيد لونه وبؤبؤيها يتقلصان دلالة على تحسن جريان الدم. وأخذ جرح صدرها ينزف تأكيداً واضحاً للتحسن. كان النبض لا يزال بطيئاً بمعدل أربعين نبضة في الدقيقة. فحقن الدكتور موريسون بعض الادرينالين في القلب من دون نتيجة. ثم جرب عقاراً منشطاً آخر هو "ايزوبرينالين." فكانت النتيجة ان قفز نبض ايميلدا فوراً الى ثمانين في الدقيقة وهو معدل طبيعي.

تنفس الدكتور موريسون الصعداء وتطلع فرأى الجميع حوله يبتسمون. لقد مضت ساعة ونصف ساعة منذ توقف قلب ايميلدا، ونادراً ما يبقى القلب المصاب بالاختلاج في حالة سليمة طوال هذه المدة. فالحمض المتجمع يحدث تلفاً بالغاً. ويقول الدكتور موريسون: "بحَسب كل القوانين لم يُتوقع أن تستعيد

ايميلدا وعيها. كان محتماً لدماغها أن يتلف."

لكنها عادت حية ناشطة وبدأت تفيق وتناضل كما يفعل جميع المصابين عندما تعاد اليهم الحياة. وحقنت عقار الـ"فاليوم" ليساعدها على النوم، ثم أقفلت الدكتورة غوردي الصدر فيما توجه الدكتور موريسون المنهك ليطمئن والدتها. وكانت هذه رجعت الى البيت فمنعها رجال الشرطة بلطف من دخول غرفة ابنتها. صُدمت وخافت حصول الاسوأ، وكما قال الدكتور موريسون: "دهشت وبان عليها السرور الشديد حين أخبرتها أننا أعدنا ايميلدا الى الحياة."

في الساعة ٦،١٨ هرعت سيارة اسعاف ناقلة ايميلدا الى المستشفى حيث أدخلت غرفة العناية الفائقة وأرصدت لها مروحة تساعدها على التنفس ريثما تشفى اضلاعها المكسورة.

وأفاقت بعد ساعة حين زال تأثير الفاليوم ودهشت اذ وجدت نفسها في المستشفى. لم تقوَ على الكلام بسبب أنبوب الاوكسيجين داخل قصبتها الهوائية، لكنها تمكنت من الرد على الاسئلة باحناء رأسها والابتسام "وضغط أيدينا" كما قال الدكتور موريسون. كان دماغها صحيحاً.

بعد ثلاثة أسابيع أزيلت المروحة وأنبوب الاوكسيجين وأصبحت ايميلدا قادرة على الكلام. فشرح لها الدكتور موريسون بالتفصيل كيف أن الانجاز الذي أعادها الى الحياة دخل تاريخ الطب. لكن ايميلدا، وقد عادت الى حياتها الطبيعية، لا تتذكر شيئاً عن الفترة التي شارفت فيها الموت، وتقول: "يبدو لي كل ذلك كأنه قصة امرأة غريبة. وأردد في نفسي دائماً: يا لها من امرأة محظوظة!"

بيتر براون

وحام زوج

اشتريت قالباً من الحلوى مزيناً بالشوكولاته لمناسبة عيد ميلاد زوجتي، وكانت حاملا في شهرها الثاني. فرحنا نتحدث عن الرغبات الملحة التي تنتاب المرأة الحامل. وكنت قرأت أن تلك الرغبات تعود إلى نقص في الغذاء، فتساءلت وأنا أضع في صحني قطعة كبيرة ثانية: "ترى ما الذي ينقصني أنا فيجعلني أطلب المزيد من هذه الحلوى؟"

فردت زوجتي: "قوة الارادة!"

ر. م.

ليت الشباب يعود

ذهبتُ الى السوق لشراء بذلة رياضية، وعدت فارغة اليدين. ولما سألني ابني عن السبب قلت له: "آه، كل ما جرّبته بدا شنيعاً. بدوت كامرأة في الاربعين!"

فسألني ابني من جديد: "وكم عمرك يا أمي؟"

أجبته: "أنا في الاربعين."

ف. ك.

في المطارات والطائرات والسفن
يسيل لعاب المسافرين أمام اغراءات
السلع المعفاة من الرسوم

قارنوا لتوفّروا

انشىء أول متجر غير خاضع للرسوم في العالم عام ١٩٤٧ في زاوية بمطار شانون في ايرلندا. وكانت تباع على رفوفه المتزعزعة خلف منضدة موقتة زجاجات شراب رخيص وعلب سجائر، إلى المسافرين عبر المحيط الاطلسي فيما طائراتهم القديمة تتزود وقوداً.

أما اليوم، في دنيا الطائرات النفاثة الضخمة ومجمعات المطارات العملاقة والأسفار التي تتم على نطاق واسع، فقد أصبحت فكرة التسوق المعفى من الرسوم تجارة مزدهرة تصل ارقامها السنوية الى ستة مليارات دولار. وهي في نمو وتحوّل:

□ مركز التسوق في مطار شيبول بأمستردام (هولندا) يتخطى بيع السلع التقليدية المعفاة والمطلوبة، كالمشروبات والسجائر، ليعرض ٥٠ ألف سلعة بما فيها معدات بحرية وطبية وأدوات صيد وأجهزة ستيريو والافران التي تعمل على الموجة المتناهية القصر (١) وحتى حجار الماس يراوح سعرها بين ٨٠ غيلدر و٤٤ ألف غيلدر هولندي (بين ٤٠ دولاراً و٢٢ الف دولار).

وتقول هيلين ديكناتل مديرة مركز التسوق: "من الضروري ان يكون لديك شيء ما لكل انسان."

□ قبل خمس عشرة سنة كانت طائرات شركة "سترلينغ" الدانمركية تحمل ٥٠ كيلوغراماً فقط من البضائع المعفاة لبيعها في رحلاتها الخاصة. أما اليوم فهي تحمل أكثر من ١٦٠٠ كيلوغرام في كل رحلة. واذ بلغ حجم المبيعات ٣٠٠ مليون كورون (٤٦ مليون دولار) عام ١٩٨٦، فان "سترلينغ" تسجل أكبر رقم عالمي في مبيعات السلع المعفاة في الرحلات الجوية.

يقول كريستيان فانش مدير المبيعات الجوية: "هذه أمنية كل بائع. فالزبون مطوّق. ونحن نقول: سافروا معنا، استريحوا، وتبضعوا."

حوانيت طائرة – في نحو ٣٠ مطاراً وميناء دولياً يتسنى للمسافرين النازلين من الطائرات ابتياع كل شيء، من موسى الحلاقة الى الثلاجة، في حوانيت قاعات

(١) Microwave ovens

الوصول المعفاة من الرسوم قبل أن يجتازوا مراكز الامن العام. أما سهام رؤوف، نائبة رئيس قسم خدمات المسافرين في شركة "مصر للطيران" وصاحبة فكرة السوق الحرة هناك فتقول: "الحوانيت في قاعة الوصول وسيلة جديدة لتجنيب الركاب حمل مشتريات ثقيلة الوزن إلى الطائرة ولمنحهم فرصة أخيرة للتسوق المعفى من الرسوم."

ان الهدايا المترفة والتشكيلات المتنوعة في المتاجر وفرص التسوق في كل مرحلة من الرحلة معدة لاغواء ملايين الركاب لانفاق أموالهم. وليس بالأمر المهم أن يكون المسافرون في الدرجة الأولى أو التجارية أو الاقتصادية، فإن الاعفاء من الرسوم يحيلهم جميعاً ركاب "درجة تسوّق."

وعلى رغم أن أوروبا لا تزال تستأثر بـ٦٤ في المئة من المبيعات المسجلة فإن كل بلد يريد الحصول على حصة من هذه التجارة. وتعد سنغافورة وهونغ كونغ بين المنافذ الخمسة الاولى في العالم لبيع السلع المعفاة من الرسوم وقد أغلّت المتاجر في مطار أوستراليا مبلغاً قياسياً هو ٤٣ مليون دولار أوسترالي (٣٩ مليون دولار أمريكي) عام ١٩٨٦. وشرعت الولايات المتحدة التي كانت "تصدّر" متسوّقين في الماضي، في فتح حوانيتها المعفاة من الرسوم في مدن مثل نيويورك وسان فرنسيسكو ولوس انجلس وميامي.

أما المبيعات التي تتم ضمن الرحلات الجوية التي طالما أهملتها شركات الطيران ذوات البرامج المحددة المواعيد، فأرقامها تحلق عالية الآن. وغدت المساحات التي كانت تشغلها زجاجات الشراب تستعمل للهدايا الأغلى التي تدر أرباحاً أكثر.

إن مسافراً على متن "اليطاليا" من روما الى هونغ كونغ، مثلا، يمكنه أن يشتري ساعة ثمينة أو حقيبة يد جلدية.

وتبيع الخطوط الملكية الهولندية «KLM» ألماساً ولآلىء وأجهزة أسطوانات مدمجة(٢). حتى شركة الخطوط الجوية السري لانكية اضافت الازياء والحلي إلى حوانيت طائراتها الملأى بالبضائع المعفاة.

أما الاسكندينافيون، وهم من الشعوب التي تدفع أعلى الضرائب، فتشكل مشترياتهم نحو ١٥ في المئة من مبيعات السلع المعفاة من الرسوم في العالم. وقد أصبحت سفنهم حوانيت مبحرة.

وعمدت شركة "سي لينك" البريطانية، وهي المسرب السادس في العالم لبيع السلع المعفاة، إلى اعادة تجهيز سفنها بحوانيت استهلاكية متممة بالزينة والانوار الساطعة والاصناف المتنوعة. ويقول غيل ديفيس مدير التسويق في الشركة: "أردنا أن تتسم حوانيتنا بجو السوق."

غلاء واحتكار – ليس المسافرون وحدهم المفيدين من التسوق المعفى من الرسوم. فكثير من المصانع والمطارات وشركات الطيران والشحن تعتمد عليه. وعلى سبيل المثال فان ٧٥ في المئة من مبيعات عطور "ايف سان لوران" المعدة للتصدير تمر عبر المتاجر المعفاة من

(٢) Compact — disc players

الرسوم. ولولا عروض الحوانيت المعفاة من الرسوم في العالم لكانت قلة من الناس خارج جنيف تعرفت إلى شوكولاتة "غولد بار."

وفي تقدير شركات الطيران الخاصة وشركات النقل البحري أنها كانت لتضطر الى زيادة تعريفة السفر المخفوضة بنسبة ٢٠ في المئة لولا الارباح التي تدرها مبيعات السلع المعفاة. كما أن المطارات الدولية التي تستأثر بثلث المبيعات قد غدا بناؤها وتشغيلها صعبين اليوم، مما يجعل الحكومات وادارات المطارات عاجزة لولا الدخل الذي تدره النشاطات التجارية.

عندما افتتح مطار "شانون" ذلك الحانوت الأول المعفى من الرسوم قبل ٤٠ عاماً، كانت الحكومة الايرلندية هي التي تجني الارباح لانها تملك الحانوت والمطار. أما اليوم فإن عدداً قليلا من المطارات يدير عمليات بيع السلع المعفاة. فسلطات المطار تتعاقد غالباً مع أصحاب امتياز لادارة المحلات بالنيابة عنها في مقابل رسوم تأجيرية أو نسبة مئوية من المبيعات. وبعد فترة محددة يعاود التفاوض في شأن عقد الامتياز أو يصبح في يد المزايد الاكبر.

أدى هذا النظام الى ارتفاع الاسعار. ثم انه فسح لاثنين من كبار أصحاب الامتياز انتزاع حصة كبيرة من سوق السلع المعفاة. فشركة "المتسوقين" المحدودة(٣) ومقرها سان فرنسيسكو يربو مجمل حركة مبيعاتها على مليار دولار سنوياً عبر مراكزها الـ(١١٥)، من لوس انجلس الى أنكوراج وهونغ كونغ وسنغافورة وأوستراليا. وشركة "آلدرز" المحدودة صاحبة الامتياز لامد طويل في مطاري هيثرو وغاتويك بلندن، توسعت إلى كندا واوستراليا، وتعادل مبيعاتها السنوية نحو ٢٠٠ مليون جنيه استرليني (٣٥٠ مليون دولار).

ومن الشركات الاصغر حجما، لكنها تنمو باطراد، "هاينمان" الألمانية الغربية و"غراي هاوند" الامريكية و"فيتناور" السويسرية.

مبادىء مختلفة – في أي حال ليس صاحب الامتياز هو الملوم بالضرورة في موضوع الأسعار الباهظة. ويقول نورمان كوكنز مدير شركة "كادبوري شويبس للتصدير": "تبدأ المسألة بسلطات المطار، فبعضها يطلب مالا كثيراً."

ان سلطات المطار البريطانية هي من الاكثر تطلباً، فهي تفرض ربما أعلى رسوم الامتياز في العالم، وتستوفي على بعض المنتجات قرابة ٦٠ في المئة من الارباح. ووفقاً لتقريرها السنوي فإن عائدات النقل، كرسوم هبوط الطائرات وايوائها وصيانتها، خاسرة. ويقول فرانك غراي مدير تسويق السلع المعفاة من الرسوم: "اننا نغل ربحاً من النشاطات التجارية. ولا مناص من استغلال السلع المعفاة من الرسوم، وهذا من النشاطات المهمة."

أما السلطات الباريسية فتستوفي نسبة كبيرة تبلغ ٣٠ في المئة في مطاري شارل ديغول وأورلي. ويصرح بيار شامروي مدير الامتيازات التجارية هناك:

(٣) Duty Free Shoppers Limited Partnership

"أسعارنا أرخص من أسعار باريس. باريس مدينة غالية، وعلينا أن نكسب مالا هنا."

وفي أمستردام مبادئ مغايرة. فالهولنديون يريدون اجتذاب مسافرين عابرين الى مطار شيبول كمحطة انتقال، وركاب أكثر ليسافروا في طائرات «KLM»، وعدد أكبر من الوافدين إلى هولندا. وأفضل السبل لتحقيق ذلك، في اعتقادهم، عرض أسعار مخفوضة لبعض السلع المعفاة ومجموعة مختارة أكبر من تلك المتوافرة في أي مطار أوروبي آخر. لذا رسوم الامتياز لدى سلطات مطار أمستردام أقل بنحو ٣٠ في المئة منها في مطارات أوروبا الغربية. وتجد سلطات مطار شيبول أن سياستها هذه مجزية، اذ يزيد المبيع السنوي على ٣٠٠ مليون غيلدر (١٦٠ مليون دولار).

ولكن ما هي مزية الاعفاء من الرسوم؟

الواقع أن هذه العبارة باتت مغلوطة. فهي كانت تشير إلى الضرائب والرسوم المفروضة على المستوردات، خصوصاً المشروبات والسجائر، وكانت تزيد على ١٠٠ في المئة في بعض البلدان. وكل ما سوى ذلك من سلع محلية يخضع فقط لرسوم على المبيعات تراوح بين لا شيء و٣٣ في المئة.

وبما أن الحانوت يعمل متحرراً من الرسوم التي تفرضها القوانين، فإنه هو، وليس المتسوق، من يبتاع البضاعة معفاة من المكوس والضرائب. وما يحوزه المتسوق ليس سوى حسم يتحدد وفقاً لما يقتصده الحانوت من مكسب أو ضريبة. وهذا الحسم لا يتعدى عموماً ٤٠ إلى ٥٠ في المئة على المشروبات والسجائر، ويراوح بين ١٥ و٢٥ في المئة على السلع الأخرى.

مصير مشؤوم – إن المشرفين على بيع السلع المعفاة من الرسوم في اوروبا الغربية خصوصاً يزعمون أن أسعارهم هي دوماً أقل من الأسعار المحلية في بلدانهم. لكن هذا الزعم خادع. فبسبب الرسوم المختلفة، بصرف النظر عن أسعار صرف العملات، ثمة تباين واسع في الأسعار بين بلد وآخر وبين مطار وآخر. وكثيراً ما ينتهز أصحاب الامتياز الارباك الذي ينتاب الزبون الباحث عن صفقة رابحة.

في صيف ١٩٨٦ أنجز "المكتب الاوروبي لاتحاد المستهلكين" في بروكسيل دراسة عن المشروبات والسجائر والعطور مقارنة أسعارها المحلية بالأسعار المعفاة من الرسوم. وأكدت الدراسة الأمر الذي سرعان ما يتبينه المتسوقون في حوانيت الاسواق الحرة: ان في وسعهم شراء السلعة عينها بالسعر ذاته تقريباً في موطنهم. يقول سيبيل توربر أحد الاقتصاديين في المكتب الاوروبي: "إن ما يوفره المرء فعلا ليس بالكثير. ففي بعض الاحيان لا يقتصد المتسوق حتى في الضريبة على المبيعات."

وتشير الاحصاءات إلى أن العثور على صفقات رابحة فعلا ذو علاقة بالمكان الذي يأتي منه المسافر وذاك الذي يقصده. فعطر "شانيل"، مثلاً، أرخص ٤٠ في المئة في مطار شيبول منه في مدينة

أمستردام. لكن سعره في أحد حوانيت مطار لشبونة (البرتغال) أغلى ٧ في المئة منه في قلب لشبونة.

وينصح المكتب الاوروبي المسافرين بمقارنة الأسعار قبل الشراء. إعرفوا الاسعار في بلدكم وفي المطار وتحققوا منها في البلد الذي تقصدونه كي تشتروا بأفضل الاسعار في رحلتكم المقبلة. وان كنتم تقصدون ميلانو أو مدريد أو أمستردام، فالأرخص أن تشتروا السلع المعفاة قبل عودتكم الى الوطن.

في الوقت الحاضر يشتري نحو ٣٥ في المئة فقط من المسافرين الدوليين من حوانيت تبيع سلعاً معفاة من الرسوم. فما هو اذاً مستقبل هذه التجارة؟ تقول هيلين ديكناتل من مطار شيبول: "حسبما نعاين، فإن مبيعات تلك الحوانيت إلى ازدياد." لكن كثيرين ممن يرتزقون من تجارة السلع المعفاة من الرسوم يراودهم شك في ذلك القول.

لقد عينت المجموعة الأوروبية عام ١٩٩٢ آخر موعد لتنسيق الضرائب في دولها الاعضاء الاثنتي عشرة. اذ لا مسوّغ قانونياً لشراء سلع معفاة لدى التنقل في سوق اوروبية داخلية واحدة. وكل من سيرتحل ضمن بلدان المجموعة الأوروبية سيغدو مسافراً محلياً.

لو أتيح للمسافرين إلى خارج المجموعة الاوروبية أن يتبضعوا في مسارب معفاة من الرسوم، فإن اوروبا الغربية ستخسر ما يربو على ٥٠ في المئة من تجارتها الحالية. وسلطات المطارات وأصحاب الامتياز والموردون يضغطون على سلطات المجموعة الاوروبية في بروكسيل لتفادي هذا المصير الممكن، محذرين من الآثار المشؤومة التي يجرها زوال النظام الحالي على الوظائف والايرادات.

واذا ما أقر ذلك المشروع فإن الاوروبيين العاملين في تجارة السلع المعفاة من الرسوم سيفكرون على الارجح في اتجاه جديد. وقد يبدلون لافتاتهم ويستمرون في عملهم. ففي نهاية المطاف، العمل في التجارة هو تجارة في ذاته. ويصح هذا القول أكثر ما يصح على دنيا العجائب في التسوق المعفى من الضرائب.

جايمس هورفيتز

أبسط الحلول

نحن مفتشي الجمارك الكنديين على المنافذ الحدودية نعاني على الدوام قروحاً في حناجرنا وبحة في أصواتنا لاضطرارنا الى الصراخ أمام نوافذ السيارات المغلقة. في غالب الأحيان علينا منافسة هدير المحركات والمراوح المزيلة للصقيع وأجهزة الراديو المدوية. وأخيراً وجدت الحل لهذه المعضلة.

بكل بساطة، أتممت السؤال الأول. وتلقائياً يطفىء السائق جهاز الراديو والمحرك ثم يفتح نافذته طالباً تكرار السؤال.

ا.ف.



دائرة المعارف

للاساطير وقع ورهبة في النفوس. وتستخدم في نسجها كلمات تترك في السامع أبلغ الأثر. هنا بعض من هذه الكلمات، وقد وضع أمام كل منها أربعة معان، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. جلباب: ضجيج – ثوب واسع – ظلام – شجر كثيف.
٢. عنقاء: أنثى الجمل – حية – طائر خرافي – فرس.
٣. جلنار: زهر الرمان – لؤلؤ – فضة – شابة فاتنة.
٤. كابوس: قمقم – حمل ثقيل – بعوض – حلم مزعج.
٥. جبروت: كَرَم – مؤاساة – قدرة وسلطة – إرغام.
٦. طاس: إناء للشرب – جمجمة – كنز – كرة زجاجية.
٧. نبراس: كلمة – قائد مقدام – حذق – مصباح.
٨. غربيب: مغرّد – أسود حالك – عجيب – غدّار.
٩. أردان: أصابع – أطراف الاكمام – زوايا – بثور.
١٠. جريد: خنجر – حشرات ماحقة – غربال – قضبان نخل.
١١. سُرى: سير الليل – سلوى – أسياد – مناجاة.
١٢. نَخاسة: رخص – بيع الرقيق – دناءة – تجارة النحاس.
١٣. فسطاط: ثوب – بيت من شعر – مائدة – طريق.
١٤. قهرمان: وكيل – مارد – مهرّج – والٍ.
١٥. مِداد: حبر – دم – خبز يابس – مال كثير.
١٦. طلسم: خاتم – كلام مبهم – أخرس – كتابة شعوذة.
١٧. ساطور: جلاد – درع – سكين كبيرة – حجاب.
١٨. عزيف: أنين – أصوات خفية – عذاب – اجتناب.
١٩. قارورة: إناء للطيب – مغارة – بئر – أعماق النفس.
٢٠. يراع: مركب – فراش كبير – لسان – قلم.
٢١. رجيم: بشع – مطمور تحت الارض – مفو – ملعون.
٢٢. ذؤابة: ذَيل – عرف الديك – شعر مضفور – أنثى الذئب.
٢٣. ورى: أسلاف – خَلق – علم الغيب – دهليز.
٢٤. قشعريرة: ارتعاد – شعر الجراء – صقيع – أرق.
٢٥. وسواس: همس – عثّ – شر يخطر بالقلب – نميمة.



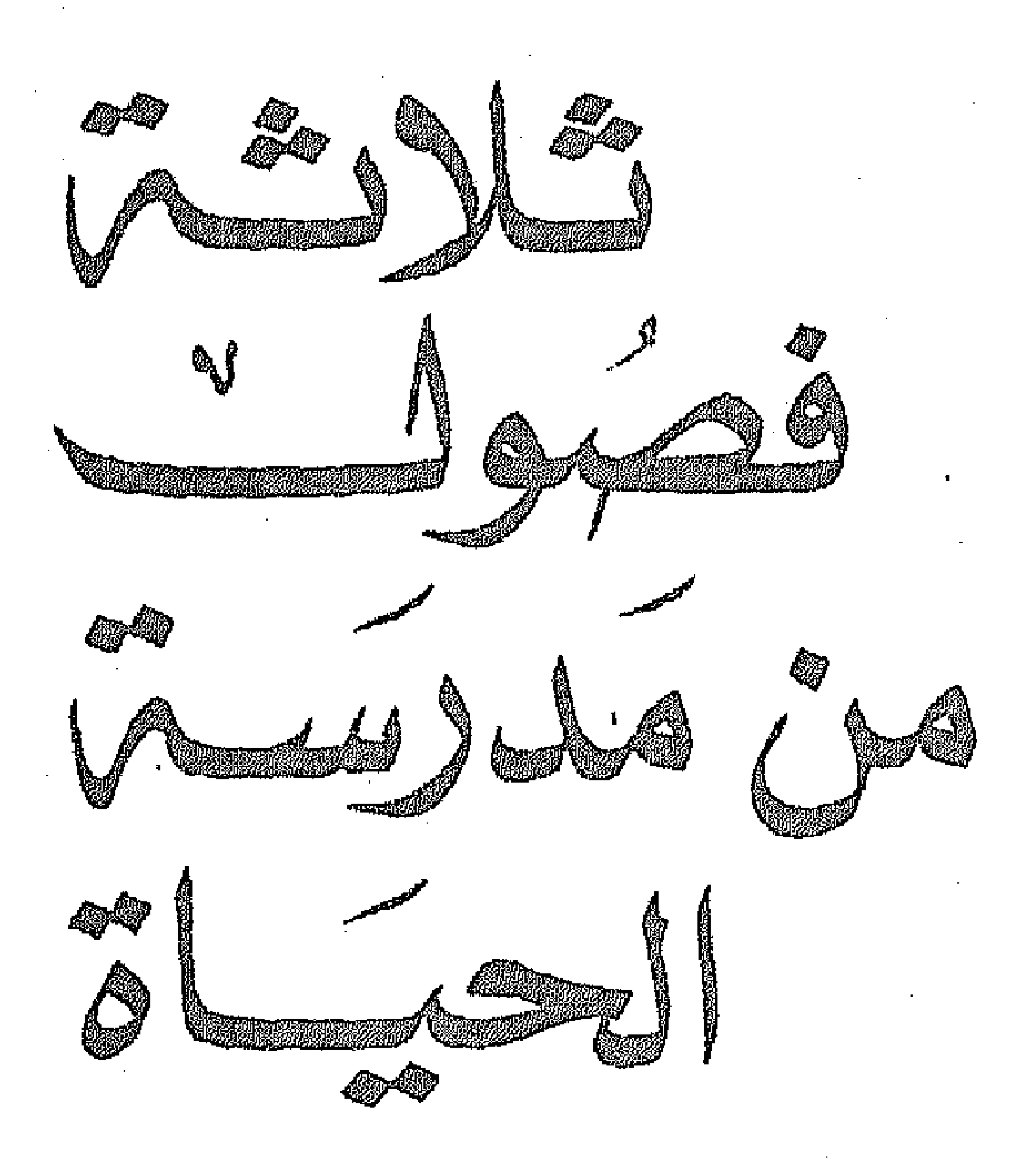
الأجوبة الصحيحة

١. الجلباب: القميص أو الثوب الواسع.
٢. العنقاء: الداهية. أيضاً: طائر خرافي.
٣. الجلّنار: زهر الرمان.
٤. الكابوس: الحلم الذي يزعج المرء وكأنه يخنقه.
٥. الجبروت: صيغة مبالغة بمعنى القدرة والسلطة والعظمة.
٦. الطاس: إناء يُشرب فيه. الطَوْس: القمر.
٧. النِبْراس: المصباح. أيضاً: الجريء والأسد وسنان الرمح.
٨. الغِرْبيب: الأسود الحالك، وأكثر ما يجيء تأكيداً، فيقال: أسود غربيب.
٩. الرُدْن: طرف الكم الواسع وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير. جمعها أردان.
١٠. الجريد: قضبان النخل المجردة من خوصها. واحدتها جريدة. لَعْب الجريد: رمي الفرسان بعضهم بعضاً بالعصي في الميدان.
١١. السُرى: سير الليل.
١٢. النَخاسة: بيع الرقيق. النخّاس: بائع الرقيق.
١٣. الفِسطاط: بيت من شَعَر.
١٤. القهرمان: الوكيل أو أمين الدخل والخرج.
١٥. المِداد: الحبر.
١٦. الطِلَسْم: خطوط أو كتابة يستعملها المشعوذون.
١٧. الساطور: سكين كبيرة يقطع بها اللحم.
١٨. عزف الجنّ وعزيفها: أصوات خفيفة كانت تسمع في المفاوز نتيجة انهيال كثبان الرمل، فيخيل الى العرب أنها أصوات الجن.
١٩. القارورة: إناء يجعل فيه الشراب والطيب ونحوهما.
٢٠. اليراع: القلم. أيضاً: القصب والجبان وذباب ليلي.
٢١. الرجيم: الملعون. المراجم: القبيح من الكلام.
٢٢. الذؤابة: الشعر المضفور. أيضاً: الناصية وهي شعر في مقدم الرأس.
٢٣. الورى: الخَلْق. أبو الورى: كنية الدهر.
٢٤. اقشعرّ جلده قشعريرة: ارتعد وتقبّض وتغيّر لونه.
٢٥. الوسواس: ما يخطر بالقلب من شر أو مما لا خير فيه.

المستوى

٢١ — ٢٥ : ممتاز
١٤ — ٢٠ : جيد جداً
٩ — ١٣ : مقبول

الخبرات الاشد ايلاماً تلد أعمق المشاعر



لست أعرف بالضبط ما تذكرونه عن أمسية الثالث عشر من مايو (أيار) ١٩٧٦ وتخرجكم في جامعة لويزيانا الرسمية، لكن ذكرياتي ماثلة أمامي، ولعلها الاشد إيلاماً في حياتي.

بعد ظهر ذلك اليوم اتصلت بعيادة الطبيب للسؤال عن نتيجة فحوص أجرتها زوجتي التي كانت تبدو في صحة جيدة وتنعم بحياة زاخرة بالنشاط والحيوية، ففوجئت بالطبيب يعلمني أن الفحوص تؤكد اصابتها بمرض قاتل.

ولم تكن حياتي شهدت حدثاً يعدّني لتلك اللحظة الصعبة، فألقيت خطاب التخرج وأنا تحت تأثير الصدمة. وحين دعيت الى المشاركة في هذا الاجتماع العاشر جاء ردي المباشر "لا" قاطعة، اذ لم أرغب في احياء تلك الذكريات. ثم أدركت أن بعض ما تعلمته في السنين العشر التي تلت ذلك الاحتفال الاول قد تساعد على جبه أكثر الصدمات ايلاماً والتي هي من المراحل الحتمية في حياة كل فرد. وأنا أريد اشراككم في ثلاثة من الامور التي تعلمتها.

أولا، عظمة الاهتمام.

ما ان انتهت تمارين حفلة التخرج قبل عقد حتى التفتّ الى المرشد ديفيد لفكوفيتش الذي ألقى كلمة الافتتاح وأجهشت بالبكاء. كذلك فعل ديفيد إذ تذكر ما حصل بعد ظهر ذلك اليوم وربت كتفي وحاول التخفيف عني. لست أدري ما قال آنذاك، فذلك لم يكن مهماً. المهم أنه جعلني أدرك أنه يهتم لي. وخلال الاشهر التي تلت أدركت عظمة الاهتمام وتحولت شخصاً أكثر اهتماماً من ذي قبل.

قبل عشر سنين لم أكن من ذلك النوع

هذا المقال مقتطفات من خطبة ألقيت ربيع ١٩٨٦ في اللقاء العاشر للصف المتخرج عام ١٩٧٦ في جامعة لويزيانا الرسمية.



الذي يهوى ملامسة الآخرين. لكنني بتّ اليوم قادراً على العناق ووضع اليد على الكتف والمصافحة المديدة بعدما تعلمت أهمية الملامسة في التعبير عن الاهتمام. قبل عشر سنين لم أكن أستعمل كلمة "حب" خارج اطار عائلتي، أما اليوم فيمكنني أن ألفظ كلمة "أحبك" وأعني ما أقول.

تعلمت أيضاً أن لا مجال لتزوير الاهتمام. فقد تصدر عن أحدهم بعض عبارات العطف ويرددها آخر حرفياً وبالنبرة ذاتها، لكن حدسنا يدفعنا الى التمييز بين عبارة نابعة من اهتمام صادق وأخرى فرضها الظرف الراهن. ورب شخص ثالث يحجم عن الكلام ويكتفي بلمس اليد وتدرك مع ذلك أنه أكثر الثلاثة اهتماماً.

العبرة الثانية هي أهمية التلفظ بعبارة "شكراً."

أذكر أني عملت بجد في اعداد الخطاب الذي ألقيته في العام ١٩٧٦، فكتبته وأعدت صوغه وصقله والتمرن على القائه. لكن ظروف الالقاء جاءت صعبة. ولو استطعت اختتامه بكلمة "شكراً" لتحسن وقعه الى حد بعيد. ولم أتلقَّ الا رسالة واحدة لم تتعدَّ سطراً. وكم كنت شعرت بارتياح لو أن الرسالة تضمنت حاشية فيها شكر على كلمتي.

منذ ذلك الحين، استناداً الى تلك التجربة، اتخذت قراراً بتحسين قدرتي على التلفظ بعبارات الشكر. فأنا بحكم وظيفتي أتنقل بين مكاتب الشركة لكشف الامور التي تستدعي تقويماً. لكنني في غالب الاحيان أجد عملا جيداً يستدعي الثناء، فأعبر عن تقديري الشخصي بأي طريقة ممكنة، وخصوصاً بارسال مذكرة مكتوبة باليد بقلم حبر سائل.

وقد تستغربون اذ أقول لكم انني ألتقي أشخاصاً يعبرون عن شكرهم لرسائل تقدير أرسلتها اليهم قبل سنتين أو ثلاث سنوات وحتى خمس سنوات وقد أكون أنا نسيتها.

العبرة الثالثة هي أن الفرص متوافرة دائماً.

أنا ترملت في السن الثانية والخمسين، وخضعت في السنة التالية لجراحة قلب مفتوح. فكرت، فوجدت أني دفنت والديّ وزوجتي، وكبر أبنائي فصارت لكل منهم عائلة وأعمال مستقلة، ولم يعودوا في حاجة الى والد نشيط، وبلغت الذروة في حياتي العملية واندفاعاتي المدنية.

لكنني منذ ذلك الحين حظيت بكثير من الجوائز المدنية والانسانية أذكرها كأدلة على فرص الخدمة التي أتيحت لي. وتوافرت لي كذلك فرصة ثانية للحب، حب سيدة رائعة فتحت أمامي آفاقاً واسعة. واكتشفت قدرة على الاستمتاع بالحياة كما لم أعرفها قبل نحو عقد، اذ ان الالم العميق قد يوقظ رهافة حسك وشدة تأثرك بالحياة.

وخلال شتاء ١٩٨٥ - ١٩٨٦ كنت في ولاية أركنساس في رحلة عمل، وأردت قضاء الليل في فندق ينعقد فيه مؤتمر لطلاب ثانويين. ولما كان الطقس في الخارج شديد البرودة فقد أجريت تمارين المشي داخل بهو الفندق. ولم تكد الساعة تقارب الاولى والنصف ليلا حتى تأكدت لي استحالة النوم، فتركت الفندق عائداً الى منزلي. وقرابة الرابعة صباحاً توقفت الى جانب الطريق وخرجت لنزهة قصيرة.

كانت ليلة رائعة استدار بدرها، وتلألأت أنوار مدينة في الوادي القريب، وخيمت غيمة باردة كللت قمة الجبل المقابل، وتهادت الامواج الناعمة في البحيرة المحاذية للطريق. لم أشعر يوماً بذلك المقدار من الحيوية، وتنبهت حواسي جميعها الى جمال الليل وأحسست برعشة وانسجام مع الطبيعة.

وصلت الى البيت بعيد الثامنة صباحاً ومعنوياتي عالية من تجربة الليل، فعملت النهار كله ثم خرجت مساء وتأخرت الى منتصف الليل من دون أن أشعر بتعب. صدقوني، ان ذلك ليس مستوى حيويتي العادي.

اليوم أشعر بامتنان شديد لاني تعلمت، وإن متأخراً، الاستمتاع بأمر لم أكن أعرفه قبل عشر سنين.

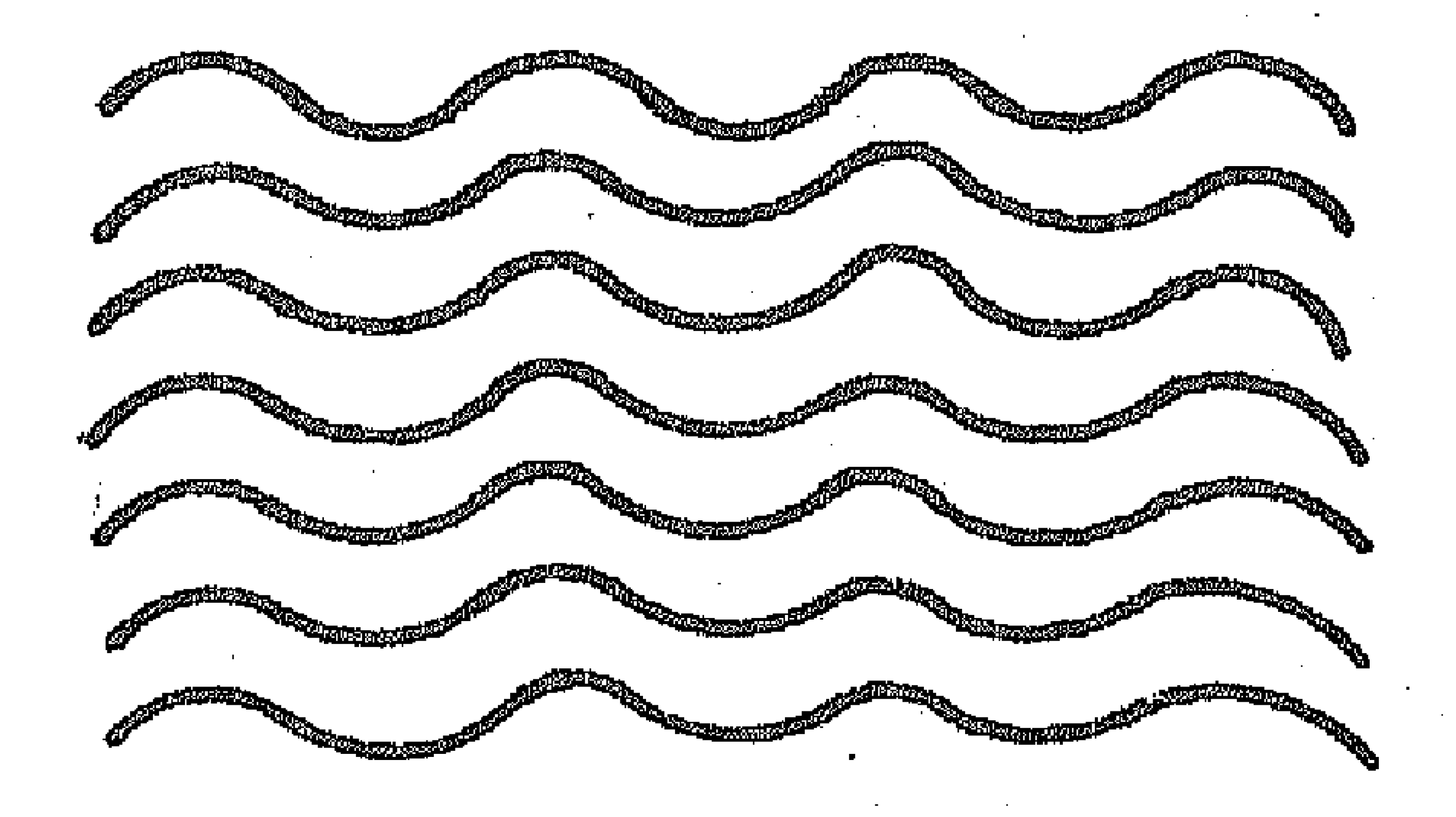
العبارة الاخيرة في خطابي يوم التخرج قبل عشر سنين كرست ضرورة الايمان. وهذه حرفيتها:

قلت للرجل الواقف عند بوابة السنة: "أعطني نوراً لأنطلق بأمان الى المجهول." فأجاب: "أخرج الى الظلمة واتكل على الله، فهذا أفضل لك من النور وآمن من السير في درب تعرفها."

انها كلمات الكاتبة البريطانية م. لويز هاسكينز التي أوردها ملك بريطانيا جورج السادس في خطابه الى الشعب لمناسبة عيد الميلاد عام ١٩٣٩ قبيل الحرب العالمية الثانية، واصفاً ذلك النوع من الايمان الذي نحتاج اليه في أوقات المحن. وهو ذلك الايمان الذي ساعدني كي أدرك أن الفرص حاضرة دائماً.

جايمس غاردنر

يوم فاض نهر فلورنسا



فاض النهر وأغرق مدينة فلورنسا وألحق أضراراً بالغة بروائعها. واليوم يعمل المهندسون على "إصلاح" النهر لتفادي كوارث مماثلة

صباح الرابع من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٦ أصيب الكاتب بيارو بيغونجياري بخوف ودهشة عندما نظر الى الخارج عبر نافذة شقته في الطبقة الثالثة من بناية بيازا كافاليغيري. فقد رأى مياه نهر أرنو تعلو ضفتيه، واندفع ٧٥ مليون متر مكعب من المياه والوحول في سوق فلورنسا التاريخية بسرعة ٦٥ كيلومتراً في الساعة.

كانت المياه غطّت الطبقة الاولى، وأخذت امواج منها تضرب البناية بعنف حتى ظنّ بيغونجياري ان البناء قد ينهار. وهو يتذكر: "كنت على يقين ان تلك هي نهاية فلورنسا." وبعدما مرّت لحظات الارتباك بدأ يقلق على مصير الوف الأعمال الفنية في انحاء المدينة. ماذا سيحدث للكتب القيّمة في المكتبة الوطنية؟ ما مصير اللوحات في معرض اوفيزي؟

هرع على السلم الى سطح البناية، فرأى أشخاصاً على سطح المكتبة الوطنية المجاورة. فأخذ يناديهم

مستفسراً عن الوضع، فأجابوه ان المياه غمرت الوف الكتب والمجلدات. وهكذا أخذ الناس يتنادون من سطح الى آخر ناقلين أنباء الكنوز الفنية المتلفة في مدينة فلورنسا الرازحة تحت سبعة أمتار من المياه والنفط والوحول.

صباح يوم الجمعة ذاك شرّد نهر أرنو ٤٠٠٠ عائلة من بيوتها وجرّد ١١ ألفاً أخرى من جميع ممتلكاتها. ودمّر الفيضان ٦٠٠٠ محل وخرّب ٧٠٠ مقهى ومطعم وجرف نحو ٦٠٠٠ سيارة. وصادف ذلك "يوم النصر"، وهو عيد وطني يحتفل فيه بالنصر في الحرب العالمية الاولى، فلم يخرج الى الشوارع سوى قليل من الناس. لذلك اقتصر عدد الذين قضوا على ثمانية عشر.

لكن عدد "الضحايا" الفنية كان مرتفعاً. فتضررت ١٥٠٠ رائعة كانت اصابة ٨٣٥ منها بالغة. معظم تلك الاعمال كانت لوحات، بينها واحدة من اعمال سيمابو تعود الى العام ١٢٧٢ وكانت معروضة في متحف سانتا كروس. واصيبت تسع وخمسون كنيسة باضرار بالغة. وفي الكاتدرائية أدى اندفاع المياه الى تمزيق خمس لوحات برونزية مطلية بالذهب من أعمال غيبرتي واثنتين من أعمال أندريا بيسانو. وأتلفت عشرات الآلاف من الكتب القيمة وضاعت ألوف أخرى، خصوصاً تلك التي كانت في مركز فيوسو والمكتبة الوطنية. وتضررت أيضاً مجموعة الصحف المحفوظة في المكتبة ويعود تاريخها الى القرن التاسع عشر، اضافة الى خرائط ووثائق أخرى.

يقول بيغونجياري: "من الصعب، بل من المستحيل، وضع قائمة كاملة بالخسائر التي لحقت بالفن. وما من أحد يعرف ما حل بالمجموعات الخاصة التي كانت تملكها عائلات نبيلة في فلورنسا."

إصلاح النهر – بعد انحسار الفيضان بدأ العمل على اعادة المكتبات الى سابق عهدها بالاموال التي جمعتها "لجنة الصندوق الدولي" في فلورنسا. فهذه اللجنة التي أسسها بيغونجياري ولفيف من الاصدقاء جمعت مليارات الليرات (١) من أفراد في أنحاء العالم بهدف إنقاذ إرث فلورنسا الفني.

واليوم تم ترميم أكثر الاعمال أهمية مقدار المستطاع، لكن ثمة حدوداً يقف عندها الترميم. فما من احد يستطيع إصلاح أجزاء لوحة شوهتها المياه والوحول والنفط.

وتوضح آنا لنزوني مديرة المكتبة الوطنية في فلورنسا أن "النفط هو المشكلة الكبرى. فما من وسيلة ناجعة حتى الآن في ازالة ترسبات زيت الوقود هذا، خصوصاً من صفحات الكتب التي تحوي رسوماً ملونة باليد." كل كتاب أو وثيقة أو منشورة له نوع خاص من الورق والحبر والالوان. والباحثون في معهد باثولوجيا (٢) الكتب، بالتعاون مع المختبرات المعنية باصلاح الاضرار والتي اسستها المكتبة الوطنية، تشق الطريق في مجال غير مطروق بعد. ويتطلب العمل سنوات كثيرة وأموالا طائلة قبل اتمامه.

(١) الدولار الامريكي يساوي نحو ١٣٠٠ لير ايطالي.
(٢) الباثولوجيا علم الامراض.

في غضون ذلك صرفت محافظة توسكانا قرابة ٥٠٠ مليار لير في محاولة "إصلاح" نهر أرنو. فالمهندس بيار لويجي جيوفانيني، منسق دائرة حماية المنطقة، هو المسؤول عن أعمال الاصلاح الهادفة الى السيطرة على النهر. وقد عمل على توسيع النهر في فلورنسا وصعوداً عكس التيار كي يستوعب جريان ٣١٠٠ متر مكعب من الماء في الثانية، أو ٣٤٠٠ متر مكعب كحد أقصى. وعلى رغم أن ذلك يعتبر تحسناً بالنسبة الى الـ٢٥٠٠ متر مكعب التي دأب النهر على استيعابها قبل ٢٠ سنة، فالكمية ما زالت غير كافية. وفي العام ١٩٦٦ بلغ تدفق الفيضان ٤٠٠٠ متر مكعّب في الثانية.

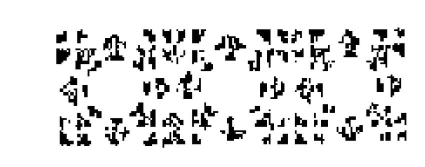
خزّانات ضابطة - أمّا اليوم فقد بدأ العمل على توسيع النهر من فلورنسا نزولا كي تصبح طاقته القصوى ٣٤٠٠ متر مكعب في الثانية. "وبنهاية العام ١٩٨٦ ينبغي أن يكتمل العمل في توسيع مجراه." هذا ما قاله جيوفانيني الذي اضاف: "انه قناة معدّة لتصريف المياه إبان الفيضان. فقبل عشرين سنة كان المجرى ضيّقاً، واليوم أصبح ضعفي ما كان."

كذلك يجري العمل على بناء خزّان في بيلانسينو شمال فلورنسا. وهو الأول بين خزانات عدة تم تصميمها لضبط كمية المياه المتدفقة في النهر. وعندما ينتهي العمل في السنة ١٩٩٠ سيكون في مقدور هذا الخزان استيعاب عشرين مليون متر مكعب من المياه، اي حوالى ثلث كمية الـ٧٥ مليون متر مكعب التي اغرقت فلورنسا في العام ١٩٦٦.

واذا استطاعت الحكومة توفير مزيد من الاموال اللازمة لاكمال المشروع فستكون فلورنسا المكان الآمن للعيش بنهاية هذا القرن. وحينئذ ستكون المدينة مزودة جهاز تنبيه يحذر سكانها من احتمال حدوث فيضان قبل ١٢ ساعة من ذلك.

في غضون ذلك تُملأ أقبية مكتبات فلورنسا ومتاحفها مرة أخرى بكتب وأعمال فنية. فما من أحد يتخذ احتياطات كافية، ويبدو الوضع كما كان قبل عشرين سنة. وتشير الاحتمالات الى أن نهر أرنو يفيض مرة كل ١٠٠ أو ٢٥٠ سنة. وبعبارة أخرى، يجوز ألّا نقلق قبل العام ٢٠٦٦. فلنأمل أن تكون الاحتمالات صحيحة.

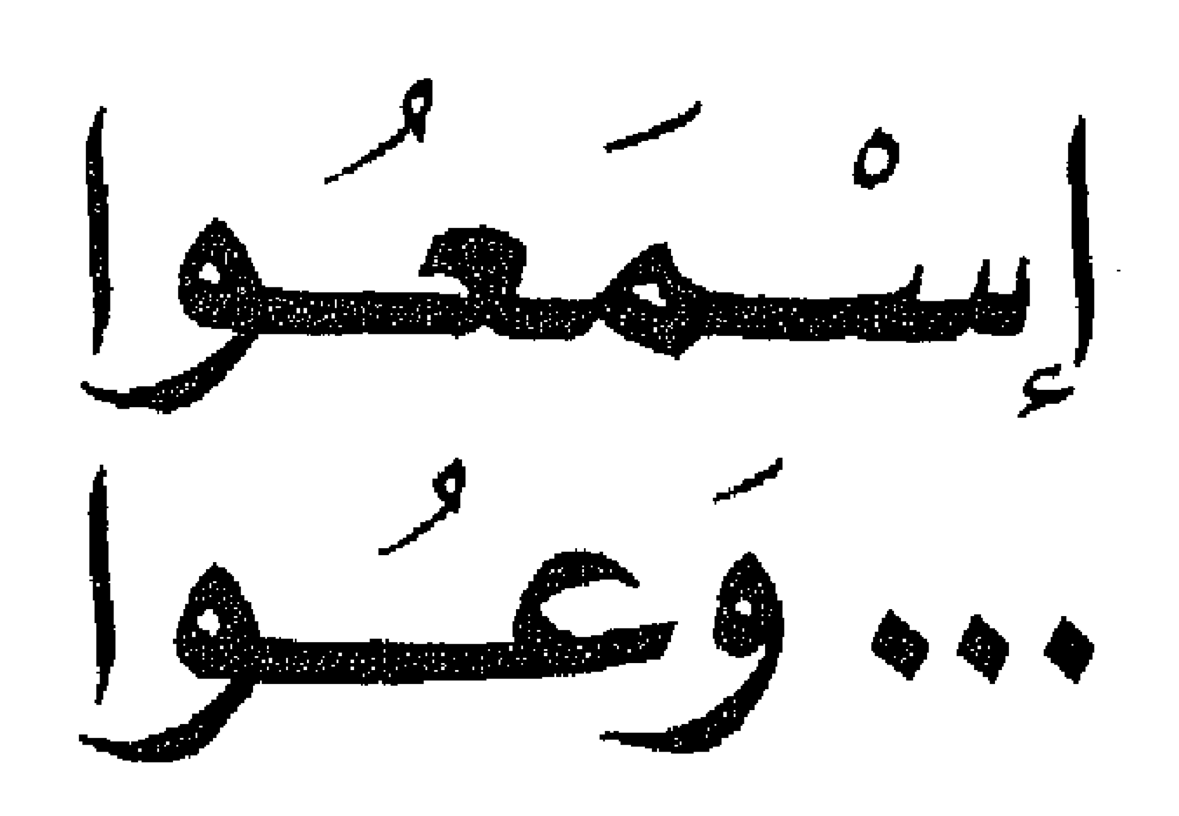
لوتشيانو سيمونيلي



ترتيب كشفي

عرضنا منزلنا للبيع. ولكي يبقى مظهره لائقاً للمعاينة اليومية طلبت من أولادي أن يرتبوا أسرّتهم كل صباح قبل الذهاب الى المدرسة. ودهشت اذ وجدت سرير ابني ذي الخمسة عشر عاماً في منتهى الترتيب. فدخلت غرفته ذات ليلة واكتشفت السر: كان نائماً على الارض داخل كيس النوم الذي يأخذه الى المخيم الكشفي.

ر.ج.ب.



مودة عتيقة

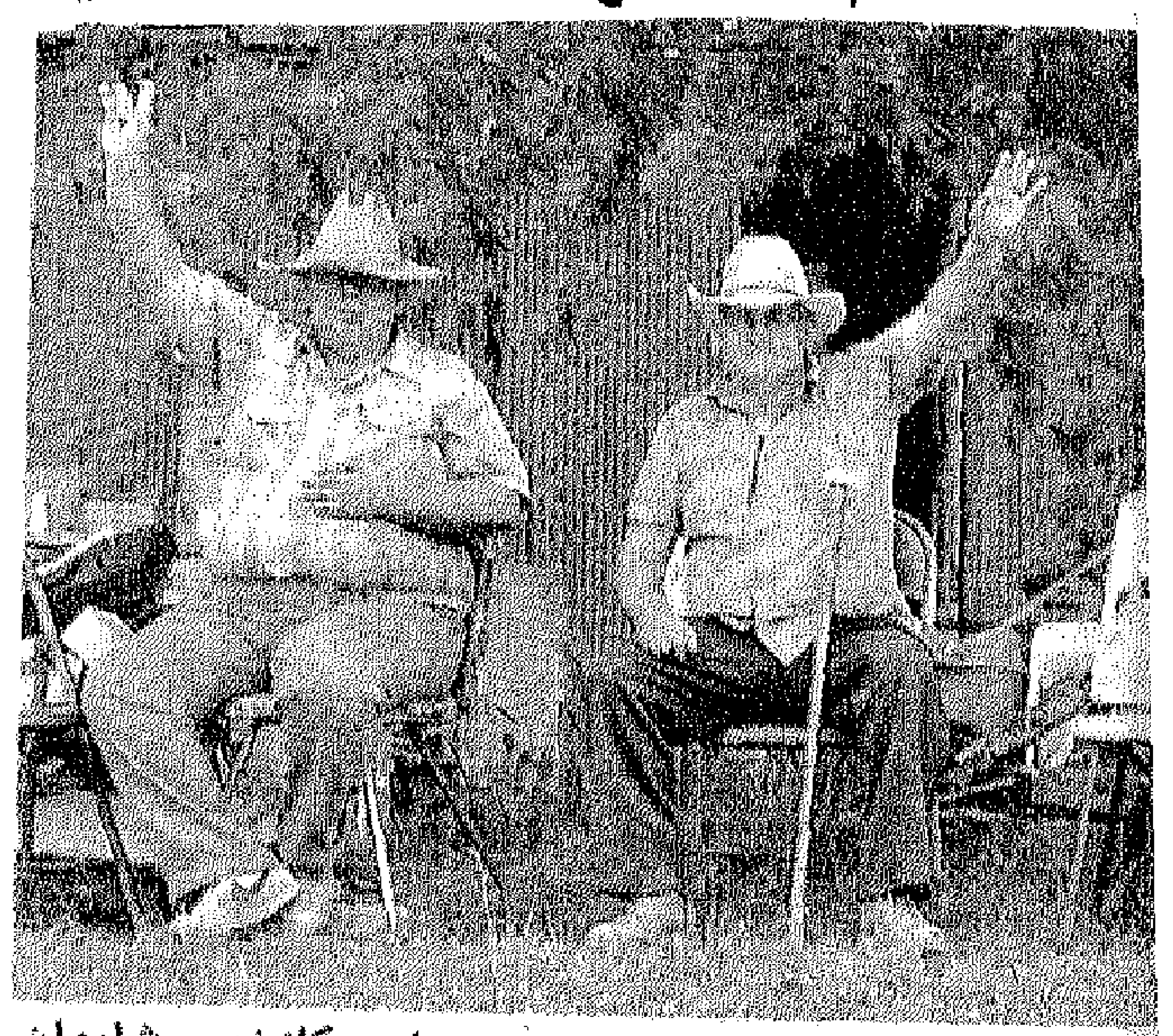
بالنسبة الى سكان العالم، ما عدا ٩٠٠، ضاحية تاماروا الهادئة في جنوب ولاية ايلينوي هي معبر يؤدي الى عدة مناطق ولا تتجاوز السرعة فيه ٦٥ كيلومتراً في الساعة. إنما في العام ١٩٧٠ بدأت أشياء غير عادية تظهر هناك، أشياء في غاية الغرابة استوقفت السائقين.

ما كان يجري في شارع والنت هو أن أحدهم كان يلوح بيديه تماماً كما في الأيام الغابرة. خلال ١٢ ساعة يومياً، تحت المطر أو الثلج أو أشعة الشمس، جلس الرجل أمام دكان للسلع المستعملة ملوحاً لجميع المارة، في السيارات والشاحنات والجرارات والدراجات وحتى للمشاة، كأنه محب ومهتم بهم جميعاً.

كلارنس شابمان، الملوّح الأول غير الرسمي، ولد في تاماروا عام ١٩٢٢. وسرح عنوة من العمل في الزراعة لأسباب اقتصادية، ومن وظيفة في سبك المعادن لاصابته بالربو الذي ما زال يسبب له نوبات سعال حادة حين يفرط في الضحك. يقول كلارنس: "تأكد لي أن العالم نسي كيف يكون ودوداً، فاعتمدت التلويح. إني أقول فقط: مرحباً، كيف حالكم؟ نهاراً سعيداً."

في العام ١٩٧٦ انضم الى كلارنس ابنه سام المتخرج حديثاً في الجامعة حائزاً شهادة في الفلسفة. يقول سام: "كان طلب الفلاسفة ضئيلا نسبياً آنذاك كما هو اليوم." وهكذا شارك والده في تجارة البضائع المستعملة. إنها وظيفة قليلة الضغط توفر، لأحدهما على الأقل، متسعاً من الوقت للتلويح لكل المارة. في أوقات الطعام كانا يتناوبان الدخول لئلا تفوتهما سيارة.

اليوم يرد معظم المارة التحية. يزعق بعضهم بأبواقهم ويصرخ قليلون: "مرحباً" لذينك الرجلين المجهولين. ويتوقف كثيرون لتبادل الحديث. وشاعت أخبار عن ملوحين آخرين في البلدة الكئيبة.


سام وكلارنس شابمان

Steve Buhman

لا بد من ان هذا النوع من المودة التي يتعذر كبتها يزعج بعض السائقين فيصيحون بعبارات نابية. ويقول سام: "نرد بابتسامة عريضة ونأسف لمعاناة بعض الناس."

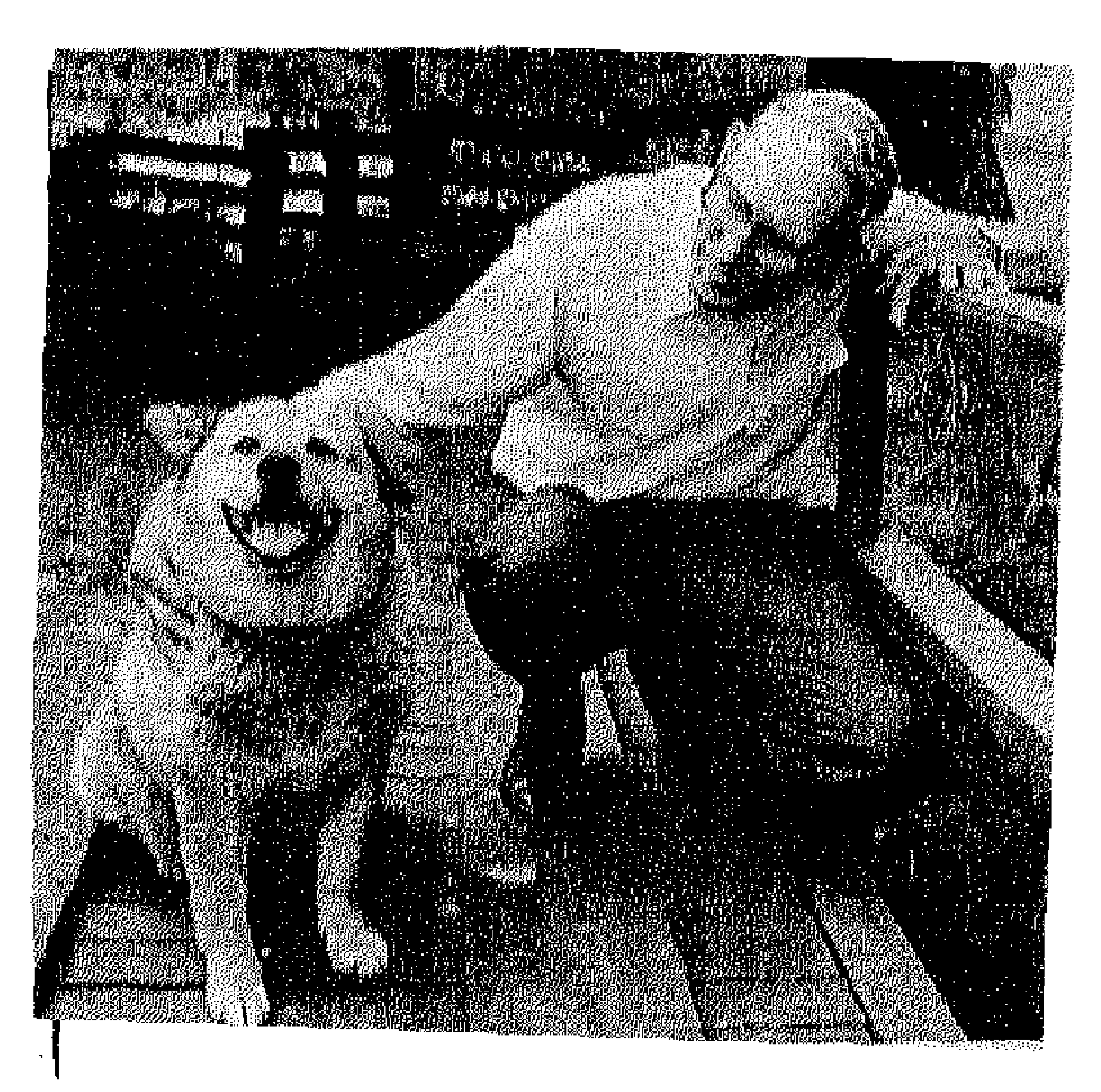
بين تلويح وآخر يصغي الأب وابنه الى الطيور على الاشجار. ويشرعان في الغناء احياناً فيبشران الناس بأن الحياة ما زالت مستمرة. وتقول فيليس فيرغسن: "أسمعهما بوضوح في بيتي، إنهما ودودان من الطراز القديم."

أندرو مالكوم

في "نيويورك تايمس"

كلبة وفية

شارفت الكلبة "لاكي" الموت. لقد لحق بها ثور في أحد المراعي فحاولت القفز فوق سياج حديد، لكن طوقها علق في الشريط. وهناك تدلت من دون أن تلامس قوائمها الأرض وطوقها يخنقها ببطء. في هذه الأثناء استمر الثور ينطحها وهي تركله لتتحرر.



Robert Smell لاكي مع روي ميلتون.

لدى سماعه الضجيج أسرع الجار روي ميلتون (٦٧ عاماً) وأطلق لاكي. ثم اعتنى بها حتى عودة صاحبتها جويس هاريس.

طالما نبحت لاكي في وجه روي الذي وصل حديثاً الى هندرسونفيل بكارولينا الشمالية. لكنها بعد هذا الحادث لم تعد تنبح في وجهه أبداً.

ذات ليلة بعد ثلاث سنوات، في مايو (أيار) ١٩٨٦، سمعت جويس نباح لاكي المسعور. أسرع زوجها ووالدها الى الخارج ليتحققا من الأمر فوجدا روي ميلتون ممدداً على الارض فاقدا وعيه إثر اصابته بنوبة قلبية حادة. وفي المستشفى أفاد الطبيب أنه لولا لاكي لفارق روي ميلتون الحياة.

يقول روي الذي وضعت له ضابطة نبض: "أنقذت لاكي فأنقذت حياتي. إنها مشيئة الله."

وكالة "أسوشييتد برس"

ناصرا أفقر الفقراء

بمبلغ ١٠٠ دولار جمع تبرعات فتحت مجموعة من النساء الفقيرات مخبزاً في نيروبي بكينيا. وساعد مبلغ مماثل خمس نساء في نيبال في صنع لعب من القماش وبيعها للسياح. لقد أفادت أولئك النسوة من برنامج "التقطير"(★) للمساعدات الخارجية الذي أسس في العام ١٩٧٩

(★) Trickle Up

ويقضي، كما يقول واضعه غلين ليت، بمساعدة "أفقر الفقراء." ولا تتجاوز منحه المئة دولار.

يقتصد ليت وزوجته ميلدرد في النفقات بتأديتهما معظم الاعمال الادارية الخاصة بالبرنامج في بيتهما بمدينة نيويورك، وتمضية بعض الوقت في جمع مساعدات مالية. وتنصبّ التبرعات بغزارة لتوسع انتشار ضمانات المشروع. وقد حصل الزوجان على منح صغيرة من بعض المؤسسات ومن الامم المتحدة وحكومات عدة.

مكّنت هذه المساعدات الزوجين من توفير منح لأكثر من ثلاثة آلاف مجموعة صغيرة في ٩٠ بلداً. وفي حساباتهما ان هذه المساعدة التي بلغت ٣٠٠ الف دولار خلفت تأثيراً مباشراً في ١٢ الف عائلة.

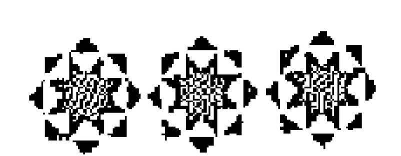
موّل برنامج "التقطير" ٥٠٠ مشروع في كينيا وحدها، تراوح بين تربية الدجاج وحياكة السلال وصناعة المفروشات. وفي أوغندا يصنع العمال القرميد والحقائب المدرسية والملاعق الخشبية. وفي غواتيمالا يخيطون المآزر وأكياس الوسادات.

يعمل البرنامج عبر شبكة خارجية تضم ٣٦٠ متطوعاً يتمتع كثيرون منهم بخبرة في العمل الاجتماعي، وآخرون رجال دين أو مطلعون على المساعدات الاجنبية. ويوجه أولئك "المنسقون" طلبات المساعدة الى آل ليت بعد تقويمها.

تقول ميلدرد ليت: "نحن لا نقترح المشاريع بل نريدها ان تصدر عن المجموعات المنفردة." ويشترط البرنامج على متلقي المساعدات الف ساعة عملا في الاشهر الثلاثة الاولى من المشروع، وتعهداً لأعادة توظيف ٢٠ في المئة من الارباح. ومن أجل حض العمال على التقدم يقسط مبلغ المئة دولار دفعتين.

كاثلين تلتش

في "نيويورك تايمس"



خطبة أرمل

عاد والدي الأرمل من إحدى رحلاته وأعلن مبتهجاً خطبته لامرأة علمنا بتودده اليها منذ فترة فسألناه: "كيف طلبت يدها للزواج؟"

أجاب: "لم يكن من داع الى ذلك. هي طلبتني. في السنة الماضية عرضت عليها الزواج لكنها ردت بأنها لن تتزوج رجلا لا يدّخر ألف دولار في السنة. وفي زيارتي الأخيرة لم أذكر موضوع الزواج، لكنها سألتني عن المبلغ الذي ادخرته. وعندما أخبرتها أنه ١٣ دولاراً قالت: انه رقم قريب كفاية."

ج.غ.


إن عجزت عن الملاطفة، فكن غامضاً على الاقل. ي.م.

كتاب الشهر

دون كيشوت بين الذئاب

ملخّص من كتاب

بقلم ديتون ا. هايد



دون كيشوت بين الذئاب

معظم مشكلة أصحاب المزارع
في الغرب الامريكي، ومعظم حلها،
كانا أمـرين بسيطين.
كـان الـذئب القيّوط(١)
من الحيوانات المفترسة
التي تعيش على غيرها،
اذاً هنالك كائن ما يجب أن يقتل.
أما ديتون هايد
فكان له في ذلك
الذئب رأي مختلف.
الذئب الذي شاركه
في أرضه. بدا كأنه
يعتمر خوذة فضية ويطاعن
العاصفة، فكان رمزاً للارض
ومفتاحاً ثميناً لتفهمها.
في هذه القصة الحقيقية
يكتشف هايد، من خلال
معاشرته الحيوانات البرية،
أهمية الطبيعة وينتهي الى
وعي جديد لدور
أبناء جنسه

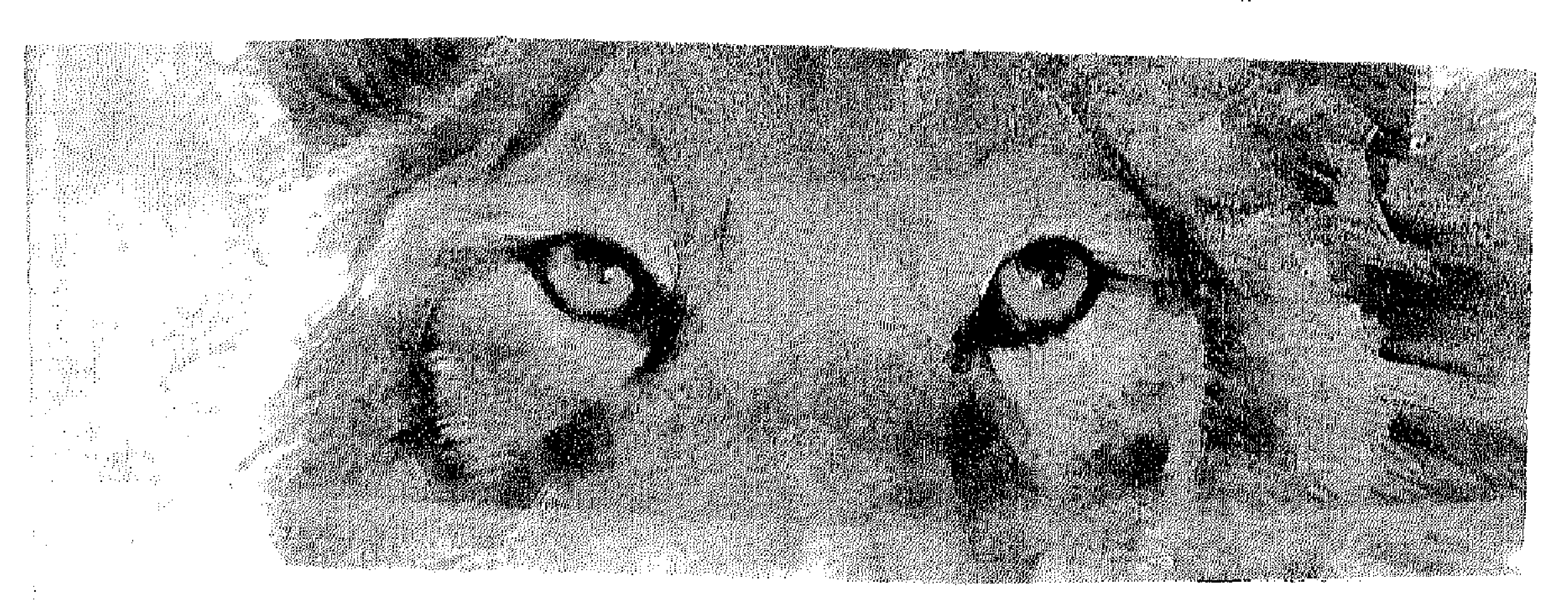
---

(١) Coyote. القيوط ذئب صغير يكثر في أمريكا الشمالية.

لا أدري لماذا أزعجني ذلك الذئب. ربما لانه لم يكن يدعني وشأني. كنت أؤدي الاعمال الربيعية في مزرعتنا بولاية أوريغون، أحفر قنوات وأزيل أكداس الاغصان المقطوعة وأقود جرارتي العتيقة الصدئة التي ادعوها "أليس الكبرى." كل صباح كان الذئب يغادر وجاره في غابة الصنوبر الواقعة على ضفة النهر ويتبعني عبر المروج إما فضولا غبياً وإما توقا الى مرافقة جرارتي الجبارة الهادرة.

يراقبون الذئاب جيداً. أما أصحاب مزارع المواشي فكان معظمهم يوافقونني على موقفي المتفهم من الوحوش، لكنهم كانوا خائفين من المجاهرة به. فالنفوس مشحونة، وقد يخسر المرء اصدقاء اذا ما انحاز الى جانب الذئب.

لكن هذا الذئب بقي يتصرف كأنه المالك السابق للمزرعة التي اشتريتها حديثاً. حاولت تجاهله لكنني بدأت امتعض من حفره الظاهر في مرجي



سبب بقاء الذئب في مزرعتنا هو أننا وضعنا لافتات تنذر الناس بعدم تخطي حدودنا بغية القنص. فنجا. ان هذا الجزء من أوريغون الذي يرتع فيه بضعة عشر رأس ماشية في مقابل كل ساكن بشري، هو مجهز بكل ضروب ضبط الحيوانات المفترسة. فهناك فخاخ وسموم وبنادق وطائرات مروحية. معظم جيراني ينقلون في شاحناتهم الصغيرة المكشوفة بنادق لقنص الحيوانات الضارية، وخصوصاً الذئاب. خارج مزرعتي كانت هذه الوحوش معرضة جداً للقنص. وطالما شاهدتها تفر نحو الغابة صفوفاً بنية. وكان الرعاة

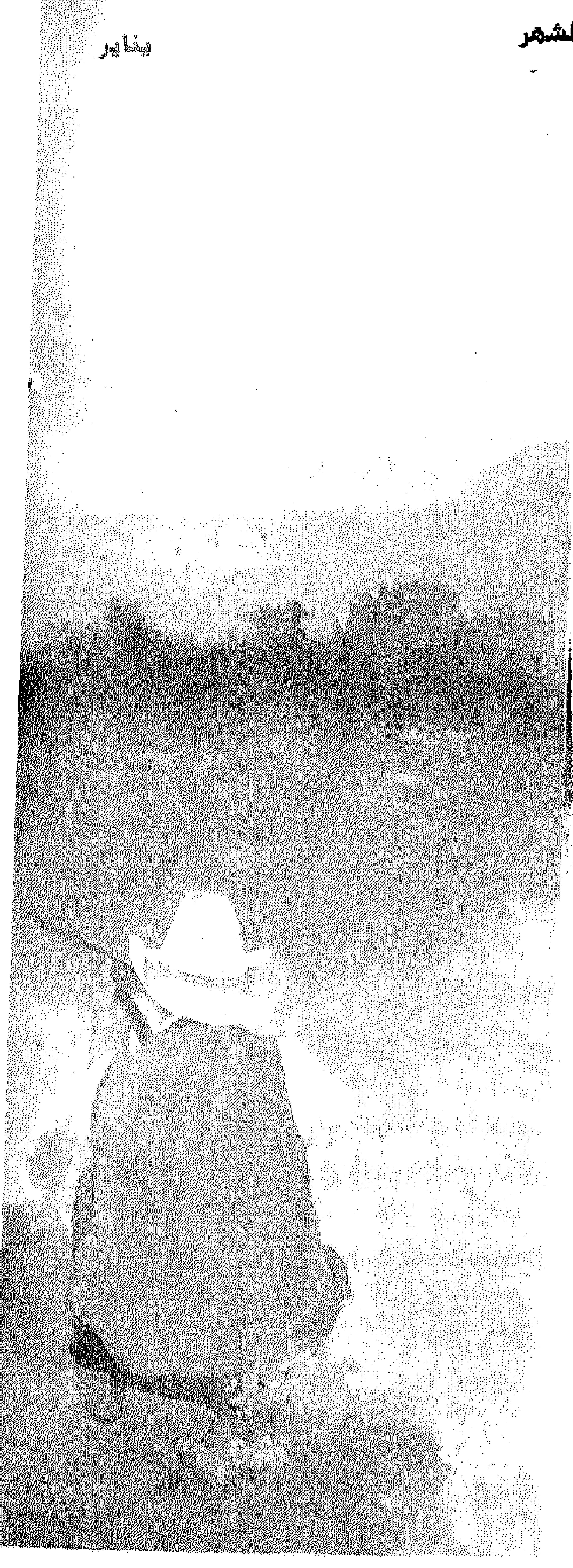
الاخضر الجميل. خيل الي أنه يسخر مني كلما عجزت "أليس الكبرى" عن التحرك أو كلما انطلقت محمومة وسط بركان من بخار عابق برائحة المواد المانعة للتجمد(٢). كان يحفر الارض ليلتقط فأراً عند سد جديد، مسبباً جريان ماء الري في المرج الذي جففته لجمع التبن، وعند ذلك أهدده بقبضتي.

صباح ذات يوم أثناء تناول طعام الفطور أعلنت للعائلة أنني سأقضي على الذئب الذي يضايقني كثيراً.

حدق الي أولادي الخمسة بارتياب. قال

(٢) Antifreeze

Condensed from «Don Coyote: The Good Times and the Bad Times of a Maligned American Original,» copyright © 1986 by Dayton O. Hyde, published by Arbor House Publishing Co., New York.



ديتون: "حين تحاول اطلاق الرصاص على الذئب سأقف أنا الى جانبه، وهكذا يكون في أكثر الاماكن أماناً."

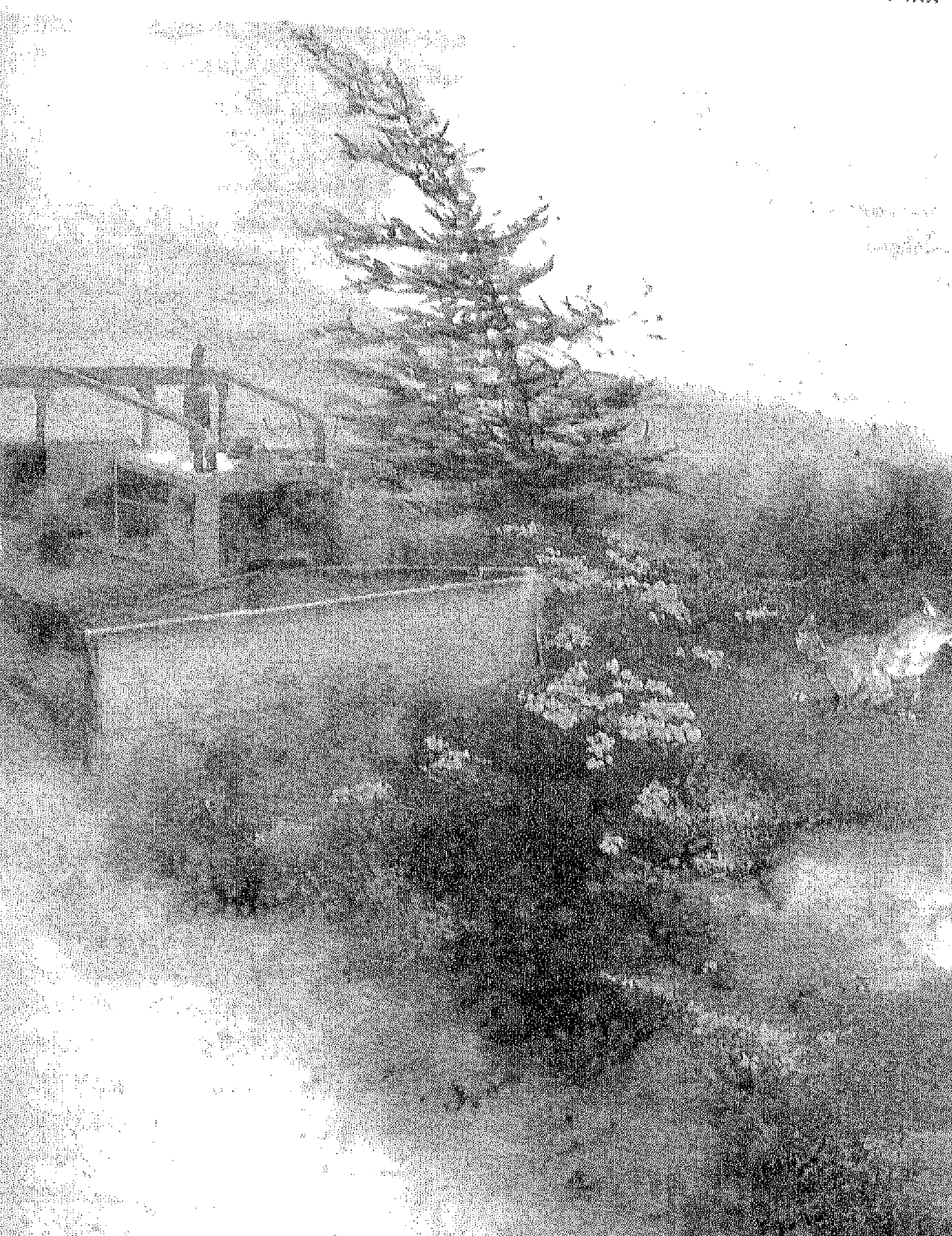
وقالت مارشا: "أتتصرف بمثل هذه الخسة؟ أنت رجل ذو قلب رقيق جداً." أما سائر الصغار فتكلف بعضهم الابتسام وتابعوا مضغ فطائرهم الساخنة شأنهم شأن ذوي القلوب الرقيقة.

نهضت فجأة عن المائدة وتناولت بندقية محشوة. وبدلا من أن أتابع الاكل مع محبي الذئب تسللت الى مستودع الغلال أرفس في طريقي أكواز الصنوبر. وكالعادة بدوت رجلا أحمق، وكانت حماقتي نصراً جديداً للوحش الملعون.

بلغت الجرارة ووضعت البندقية على سلسلتها المعدنية. ثم تفحصت جهاز تبريد المحرك ومسحت بسروالي القضيب الذي أقيس به عمق الزيت. واذا بالذئب الكبير يخرج من بين الشجر فاغراً فاه كأنه يريد ان يظهر لي أني جئت متأخراً. عيناه تقدحان شرراً والريح تداعب فروه. كان يبتسم.

تناولت البندقية بتأن وصوبتها نحوه وأطلقت النار. فسقط على العشب وانقلب على ظهره بحيث ارتفعت قوائمه الاربع في الهواء وأخذ يتلوى. ولحسن حظه كان ظهره فقط مخدوشاً. حدّق الي مستغرباً وعيناه مقلوبتان. عوى وعدل وضعه واضطجع لاهثاً ولسانه الوردي متدل من فيه نتيجة انهيار قواه.

زال غضبي. أقفلت الزناد واعدت البندقية الى مكانها على سلسلة العجلات. هناك عمل يجب إنجازه. تجاهلت أمر الذئب وصعدت الى مقعد



الجرارة. وأدرت المحرك وانتظرت قليلا الى أن صفا الدخان ثم أرخيت الكابح اليدوي فتحرك خمسة وثلاثون طناً من الفولاذ.

الى هدير الآلة سمعت فجأة فرقعة غير عادية. لم آبه لها لكنني تذكرت متأخراً أنني تركت البندقية على سلسلة العجلات. وعندما تحركت الجرارة سقطت البندقية على الارض وأخذت تجرها. وحين نزلت أتفقد ما يجري أمال الذئب رأسه الى الوراء وجلس يهزأ بي عويلا وتهليلا.

فجأة غمرني شعور بالفرج. جلست قرب بقايا البندقية وطفقت أضحك مع الحيوان المفترس.

عواء ودي

مر أسبوع قبل أن أشاهد الذئب ثانية، امتطيت فرسي المفضلة "ستريت ادج" وقصدت "أليس الكبرى." وما كدت أبلغها حتى رأيت الذئب يخرج من تحتها كأنه أصبح مالكاً لها. ولدى اقترابي منه مشى حول الجرارة وهو يرفع على كل زاوية قائمة خلفية ويبول. ولما لمحته "ستريت ادج" خجلت وتعثرت فسقطنا معاً على الارض كتلة واحدة. فجفل الذئب وفر هارباً.

للاعتذار من الذئب تركت له نصف غدائي: رغيفاً بلحم مقدد. وبعد ساعة من ذهابي اختفى الرغيف. ودلت حفرة حديثة في المرج على أن الذئب قبل الهدية وطمرها ليحسّن طعمها.

أما وقد كسب الحيوان المفترس صداقتي فقد أصبح اعطاؤه نصف غدائي تقليداً يومياً. لكن هذا التصرف كان خيانة فاضحة لاصحاب المزارع المحليين، فبتُّ أتلفت حولي لارى ما اذا كان أحدهم ماراً من هناك. وعندما صادفت ذات يوم راعياً في أحد شوارع شلالات كلامات تجنبت النظر اليه مفكراً: إنه يعرف. يعرف أني كنت لطيفاً مع الذئب.

عندما جئت "أليس الكبرى" ذات صباح على فرسي كان الذئب في انتظاري. تحت هيكل الجرارة وجد حصناً منيعا. هناك يتقي الرياح ومن هناك يهاجم. أريد أن أستعمل الجرارة، لكنني اذا ما حركتها نقضت الصداقة التي حاولت بصعوبة أن أنمّيها.

لم يمض وقت طويل حتى أدركت عائلتي ما يجري. فبينما نحن نتناول طعام العشاء ذات ليلة سألتني ابنتي جيني: "ماذا حدث للجرارة هذه المرة؟"

فأجبتها: "بعض قطعها يحتاج الى تغيير، والرجل المسؤول في قسم الصيانة سيطلب هذه القطع من شرق البلاد."

وقال ديتون: "من الافضل أن ننقلها في أسرع وقت ممكن. لقد رأيت الذئب يبول عليها. وهي الآن صدئة بما فيه الكفاية."

بدوت متكدراً. أما مارشا فسألت: "أي شيء صالح يستطيع الذئب ان يفعله؟"

قلت: "الذئب طبيب نبات القصعين، يلتهم المريضَ منه حافظاً ذلك الجنس السليم البنية. يأكل أيضاً الفئران والسناجب والارانب والجيف." اني لأفكر في نفسي كيف تحوّلت عاطفياً نحو الذئب.

أصرّت مارشا: "هل ضرر الذئاب أكثر

من نفعها؟ يقولون انها تأكل العجول، فلماذا لا تأكل عجولنا؟"

انها لنقطة جديرة بالاهتمام. قد تكون هناك أسباب تتعلق بالبيئة. لا شك في أن الطبيعة أسندت الى الذئاب دوراً، لكنني الى الآن لم أفكر في موقعها من سلم الحياة.

ذات يوم بينما كنت أعبر المرج على متن "ستريت ادج" رأيت صديقي أمامي. رأسه يلمع في نور الشمس كأنه مزيّن باللجين. انه يشبه دون كيشوت، بطل قصة الروائي الاسباني سرفنتس، بخوذته الفضية، الدون نفسه كان يهزأ بالعراك. فكّرت ملياً في ذلك وسميت الذئب "دون كيوت" (٣).

اقترب مني فارسي الوهمي فرأيت بين فكيه علبة مرطبات يرميها عاليا في الهواء ثم يلتقطها، يتركها تتدحرج ثم ينقض عليها ليحول دون هربها. "قتلها" بضربة من رأسه ورماها على العشب ووقف يراقبها ليرى ما اذا كانت تجرؤ على الصراع. وعندما استقرت امسك بها وأخذ يكرر لعبته الجنونية.

ها هو دون كيشوت يقاتل طواحين الهواء.

مع أني مزارع تابع للدون - فهو يستعمل جرارتي نزلاً ومركز مراسلات ويأكل نصف غدائي - فانه لم يظهر جزءاً يسيراً من الميل اليّ. أردت أن أكون محبوباً ومقبولا كصديق بحيث أستطيع أن أراقبه على نحو أفضل بغية تفهم الذئاب وطرق تصرفها، لكني لم أحظ بشيء.

كسرت الحاجز الذي بيننا مصادفة. انه شهر سبتمبر (أيلول) حين تصبح المهمات المهملة طارئة، ولا وقت لدي لمراقبة الذئب. وعلى رغم ذلك صممت على زيارة وجاره، فبدت "أليس الكبرى" وحيدة مهجورة ولا آثار حديثة للذئب هناك.

حين يئست من رؤية دون كيوت جلست أفكر. أما "ستريت ادج" فكانت ترعى، وعندما رفعت رأسها لترى ما ورائي التفتّ أنا الى خلف فرأيت الدون جالساً منتصب الرأس كأنه يتساءل ماذا أفعل. تراجعت منفعلا وأملت رأسي الى الوراء وتفوهت بأفضل ما أستطيع من عواء.

حدق الي الذئب لحظة غير متأكد مما اذا أفضل له أن يبقى أم يهرب. فجأة بدأ يبصبص بذيله ويتلوى منفعلا ويميل اذنيه الى الوراء ويضحك مستهزئاً ثم يرفع رأسه وينتفض فرحاً.

لم يهمه أن صراخي كان متبدلا سمجاً كصراخ امرأة ساعة الولادة، بينما كان صراخه نشيداً رائعاً يمجد الحرية بعيداً عن موسم التزاوج وعن البرية. في لحظة واحدة حدث تغيير مدهش في علاقتنا. لاني عويت أخذني صديقاً له. وللمرة الاولى حصلت على بصبصة ذيل طالما طلبتها.

طلقة بندقية

أقبل فصل الخريف ومعه الواقع المخيف: موسم الغزلان. في الغابات أناس كثيرون صالحون ذوو أخلاق حميدة يحترمون أصحاب المزارع وأراضيهم. ولكن هنالك أقلية تجعل من الموسم كابوساً للجميع.

(٣) Don Coyote

قبل افتتاح الموسم بيوم قررت أن أزيد عدد اللافتات التي تحمل عبارة: "ممنوع المرور." وظهر دون كيوت وأخذ يعدو وراء فرسي.. المناجذ أوت الى أجحارها لتتقي برد الشتاء، فلم يبق للذئب ما يأكله سوى الفئران والافاعي والجنادب. كنت متأثراً جداً لمصير الدون، أتراه يشعر بأن الرصاص سيلعلع غداً؟ قضيت تلك الليلة أتقلب على فراشي، أسمع الطلقات النارية متصوراً صديقي نافقاً معلقاً بالسياج.

أدركني الفجر وأنا أشد السرج على فرسي وأتوجه نحو الجرارة. ارتاح بالي من جهة دون كيوت، اذ كان لا يزال في وجاره. قدمت اليه قطعة نقانق مدخنة أتيت بها من بيت المؤونة. قفز عالياً وخطفها من يدي. وقف لحظة الى جانب الجرارة. نور شمس الصباح يزيد حدة لون شعر عنقه البرتقالي المائل الى الاحمرار، اما فروه الكثيف المتماوج مع النسيم فيدل على أن الشتاء أصبح على الابواب. جلس لحظة يحك جلده مبتهجاً وعيناه نصف مغمضتين. ثم تثاءب ونهض وأوى الى وجاره. انسحبت آملا أن يبقى هناك لانه اذا ما ظل قريباً من "أليس الكبرى" فانه في أمان.

فجأة سمعت طلقات نارية تدوّي في التلال، وطفقت الايائل تخرج من الغابات هاربة نحو المزرعة في هلع أعمى. ورأيت شاحنة صغيرة مقبلة نحوي.

صرخ جون من العربة: "أبي، لقد ترك أحدهم بوابة المزرعة مفتوحة فهربت منها عشرون عجلة وتسلقت منحدر الوادي في اتجاه خط النار."

اندفعت خارج البوابة المفتوحة واقتفيت آثارها في التراب الخفاني. أخيراً شاهدتها واقفة داخل كوخ في حرج صنوبر. صرخت فيها لتتحرك وقدتها نحو المزرعة. وبينما كانت تتقاطر عبر البوابة سمعت ذئباً يطلق عواء فرح. في وسط المرج جلس دون كيوت، واذ تقدمت منه مد قائمته نحوي وبصبص بذيله وابتسم مكشراً عن أنيابه البيض. كان معرضاً للقنص عبر سياجي.

فجأة تراجع الدون الى الوراء كأن دبوراً لسعه، وقفز في الهواء وسقط على الارض. أدركت ماذا حدث متذكراً ما علمني اياه قناص ألماني في الحرب العالمية الثانية: "الصوت يأتي بعد أن تكون أصبت." في تلك الهنيهة سمعت صوت الطلق الناري أتياً من بين أشجار الصنوبر، ومن بين تلك الاشجار هجم المعتدي على الحيوان المنطرح ارضاً وانتضى سكينا من وسطه وقطع ذيله.

لم أنبس ببنت شفة من فرط حنقي. وأوقفت فرسي.

ضحك الرجل رافعاً يده علامة النصر.

حاولت أن أحفظ صوتي من الانكسار وقلت: "لقد أصبحت بطلا كبيراً، أليس كذلك؟ قتلت ذئبي. أخرج من أرضي الآن!"

نهض الصياد غاضباً وحدّق الي وانتشل بندقيته ومشى.

ألقيت نظرة أخيرة واحدة على الحيوان الذي كان يعني لي كثيراً. دمه الاسود غطى عشب الخريف والنسيم العليل داعب فروه الريان فكأنه يواسيه.

امتطيت الفرس وغادرت المكان من دون أن أنظر الى الوراء، متتبعاً القناص

لاتأكد من أنه ترك عقاري. لم أتمكن من الرجوع لدفن الدون. ليّعد الى التراب كما تعيد الطبيعة كل الكائنات الى عناصرها. اني أذللت دون كيوت ما فيه الكفاية.

رسالة غريبة

على منحدر جنوب المزرعة جذع صنوبرة كبيرة قصفتها العاصفة. هذا الجذع أصبح محط قلقي أجلس عليه أتأمل المشاكل.

يعلم الله أني لم أنزع أبداً الى أن أكون صاحب مزرعة مواش. انه أمر حدث. كان عالم طفولتي صغيراً لا يتعدى شمال مدينة ميشيغان على ضفاف احدى البحيرات الخمس الكبرى. ذات يوم من شهر أكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٢٩ حدث الانهيار الكبير في سوق البورصة الامريكية. وكان والدي مراقباً في شركة تحطيب وتعدين، وكان يعاني تصلباً في الانسجة والشرايين. وذات يوم عدنا نحن الصغار الى البيت فوجدناه طريحاً في الرواق الخلفي غير قادر على الحركة. فنقلناه الى سريره بمساعدة الجيران. لكنه نهض في اليوم التالي. قطع عصاة من غصن شجرة وانطلق يمشي في الغابة التي أحب.

لم يكن له شفاء. ولما عجز أخيراً وبات مقعداً بلا أمل أخذ حطابوه يقطعون مسافة كيلومترات لزيارتـه مظهرين محبتهم وحاملين هدايا، من فطر وتوت بري وسواهما، مقرونة بصلاة أو مقطع شعر.

في تلك الايام حلمت بأن أصبح عالماً في التاريخ الطبيعي. وفي غدوات أيام الصيف كنت أزحف الى فراش والدي في مخيمنا قرب البحيرة وأضطجع هناك مصغياً الى الاصوات المنبعثة من الغابة. كان يمتحنني سائلا: "ما ذاك؟" فأجيبه باعتزاز انه طائر الدخلة أو الطائر السماك، حتى لم يبق كائن حي لم أعرفه.

ذات يوم في أواخر فصل الصيف كنت أتبضع في المدينة، فرأيت مجموعة من زملاء المدرسة في زاوية شارع. واذا بسيارة "فورد" قديمة ذات سقف مطوي تمر بنا جيئة وذهاباً وفيها فتاة شقراء جميلة مستكنة الى جانب السائق. حدق اليها أصدقائي مأخوذين وكل واحد ضائع في تخيلاته الخاصة.

وكنت لم ألتق فتى من عمري منذ أسابيع، فأردت أن أشركهم في خبرتي فقلت: "مرحباً، احزروا ما وجدت هذا الصيف؟ عش طائر دخلة!"

ما زلت أذكر النظرات الغريبة التي رموني بها وهم يديرون الي ظهورهم ليراقبوا سيارة الفورد المتقهقرة. وذلك جعلني أخجل لاهتمامي بالطبيعة.

بعد بضعة أسابيع، تلقيت رسالة من خالي الراعي في اوريغون يتباهى فيها بأنه يخرج من باب منزله صباحاً ومعه اناء مسطح يجرف به سمكاً نهرياً للفطور. أي نوع من الرسائل هذه لتكتب الى فتى اذا لم يكن حضوره متوقعاً؟

قصاص مرعب

اضطجعت في الظلام الدامس على التبن في الاصطبل الكبير، وأصغيت الى أصوات جديدة علي. كنت في الرابعة

عشرة من عمري وأصغر بعشر سنين من أحدث العمال في مزرعة خالي التي كان يسميها "يامسي." أما أنا فكان اسمي بلغة الرعاة "البرعم."

سمعت، وأنا أتقلب يقظاً منفعلا، عصف رياح الجبال عبر المروج الخضر الفسيحة، وقرقعة أخشاب السقوف، وخنة الجياد اذ تتنشق رائحة التبن في معالفها، والغطيط المدوي الصادر عن "طاقم" المزرعة المؤلف من ثمانية عشر راعياً وخادماً كلهم غريب عني.

كان ذلك في أواخر يونيو (حزيران) ١٩٣٩. ولكن على بعد نصف متر من الاصطبل غطت الارض طبقة من الثلج بلغ ارتفاعها نصف متر بعد عاصفة ثلجية هوجاء هبت من جبال كاسكاد. ثنيت ركبتي الى صدري طلباً للدفء وتساءلت كيف قايضت بيتي بهذا الاصطبل. وما كدت أغفو حتى علا في الخارج صراخ جنوني.

صحت: "النجدة! استيقظوا! أحدهم أصيب بسوء." وثبت من فراشي ومشيت فوق اثني عشر جسماً واندفعت خارج الاصطبل، كان رئيس العمال هومر سميث يضيء مصباحاً بعود ثقاب خرق الظلمة بنوره البرتقالي. كان هومر قصير القامة ممتلىء الجسم يرتدي قميص نوم بدا فيها مثل ثور في خيمة.

جأر في وجهي: "اللعنة! ماذا يجري هناك؟"

قلت لاهثاً: "إسمع ما يجري في الخارج."

صمتنا كلانا، واذا بالصراخ يعود تتبعه قهقهة مجانين.

حك رئيس العمال ذقنه غير مصدق وقال: "اللعنة! هذا ليس شيئاً. انه قطيع ذئاب. لو جلست أنت على الثلج لكان صراخك ارتفع عالياً مثلها."

ذئاب؟ أخذ وجهي يحمر. وتمتم راعي بقر: "أحمق من يشغل صبياً في مزرعة." توارى المصباح وأخفى الظلام خجلي.

صباح اليوم التالي وجدت آثار قوائم الذئاب قرب الاصطبل، ثم لمحت حركة على الثلج بين الاشجار. ذئبان مختبئان بين الخمائل. وقفا يراقبانني. أي خيبة هذه! توقعت أن أرى وحشين، لكنهما كانا حيوانين صغيرين شبيهين بكلبين، آذانهما دقيقة وفماهما حادان كفم ثعلب وقوائمهما مستطيلة وذيلاهما طويلان كثيفان. لقد طرحا شعرهما فبدا جلداهما كثوبين باليين منخورين بالعث. قرع جرس المطبخ فانطلقا فارين كرصاصتين.

كان خالي يملك أكثر من ثمانية آلاف هكتار وستة آلاف رأس بقر. نمضي أسابيع ونحن نجمع نتاجها ونسِمه. أما مهمتي فكانت أن أدفع العجول الشكسة الى منحدر حيث طاولة الوسم. هناك آلة قابضة من حديد تكبل العجول بكفين من فولاذ ثم تديرها على جوانبها للوسم والتلقيح ونزع القرون. وكنت أعمل مثل عفريت تكفيراً عن خزيي السابق.

يظهر ان الرجال كانوا مصممين على الانتقام مني لاني أيقظتهم من أجل ذئبين. أعطاني هومر سميث جواداً نشيطاً رمادياً مرقطاً يدعى "سليبي"، له صهيل كصوت مدفع. وعندما احتججت على أن الجواد قد يكون كبيراً جداً علي هز هومر كتفيه قائلا: "يا ولد، هذا الجواد

لطيف تماماً. وكم اعتنى بأمه عندما كانت مريضة!"

أمضى الرعاة أوقاتاً مرعبة وهم يطاردونني على جيادهم وفي أيديهم حبال في أطرافها أنشوطات راحوا ينخسون بها جنبي جوادي ليجمح بي. وظلوا هكذا الى أن انقلبت عنه. بقيت برهة على الارض، لكنني واصلت زحفي رجوعاً الى أن أشفق علي راع عجوز يدعى آش مورو.

قال: "يا بني، أنت واقع في مشكلة محدودة. جوادك يعدو أسرع مما أنت تتعلم. مد قدميك إلى الأمام ومل الى الخلف. فكر ايجابياً وقل لنفسك انك في المرة المقبلة ستعلم هذا الجواد درساً."

فكرت كثيراً ايجابياً لكن ذلك لم يجدِ. وصباح اليوم التالي طرحني "سليبي" في حوض ماء راضّاً ضلوعي.

قال آش: "أنت الآن أفضل من السابق."

ذئاب منقذة

أصبحت وآش صديقين. كان ذات يوم يرافقني عندما أجفل جوادي من سنور واندفع كالريح. لكنني تدبرت أمري وأنا على ظهره.

قال آش ضاحكاً: "يا ابني، لا أريد أن أفسدك بالاطراء، لكنني أرى فيك أملا. قد تصبح يوماً راعي بقر ناجحاً."

في ذلك الشهر، سبتمبر (أيلول)، هبت عاصفة ثلجية هوجاء من جبال كاسكاد فادركتني وتملكتني وأنا أرتدي سترتي الصيفية بعيداً عن المنزل. فانحنيت على السرج وخفضت رأسي أمام العاصفة تحت قبعتي الواسعة، قبعة راعي البقر. أخفى بياض الثلج العاصف معالم الارض والجو فحال دون ادراك الاعماق والجهات والمسافات. وأيقنت أني سألاقي المصير الذي لقيه غيري من رعاة البقر القليلي الحظ.

بعد حين ذاب الثلج عن ثيابي. ثم ساد الجو برد قارس فبدأ الثلج يتجمد وغدوت مغطى بقشرة من الجليد الالماسي. ذلك الصباح حاول جوادي الحرون أن يعدو وعيناه مغمضتان أمام الثلج اللاسع كالسياط وذيله يميل كيفما مالت الريح.

كنت مذعوراً. لقد انصرف جميع الرعاة الى المدينة وتركوني أفتش عن الماشية الضالة في الحقول البعيدة. واذا لم أجد ملجأ أميناً فسأتجمد قبل أن يعود الرعاة ويفتقدوني. اشتدت العاصفة الثلجية الى درجة انني كدت أعجز عن التنفس ولم أعد أعرف كيف أسير.

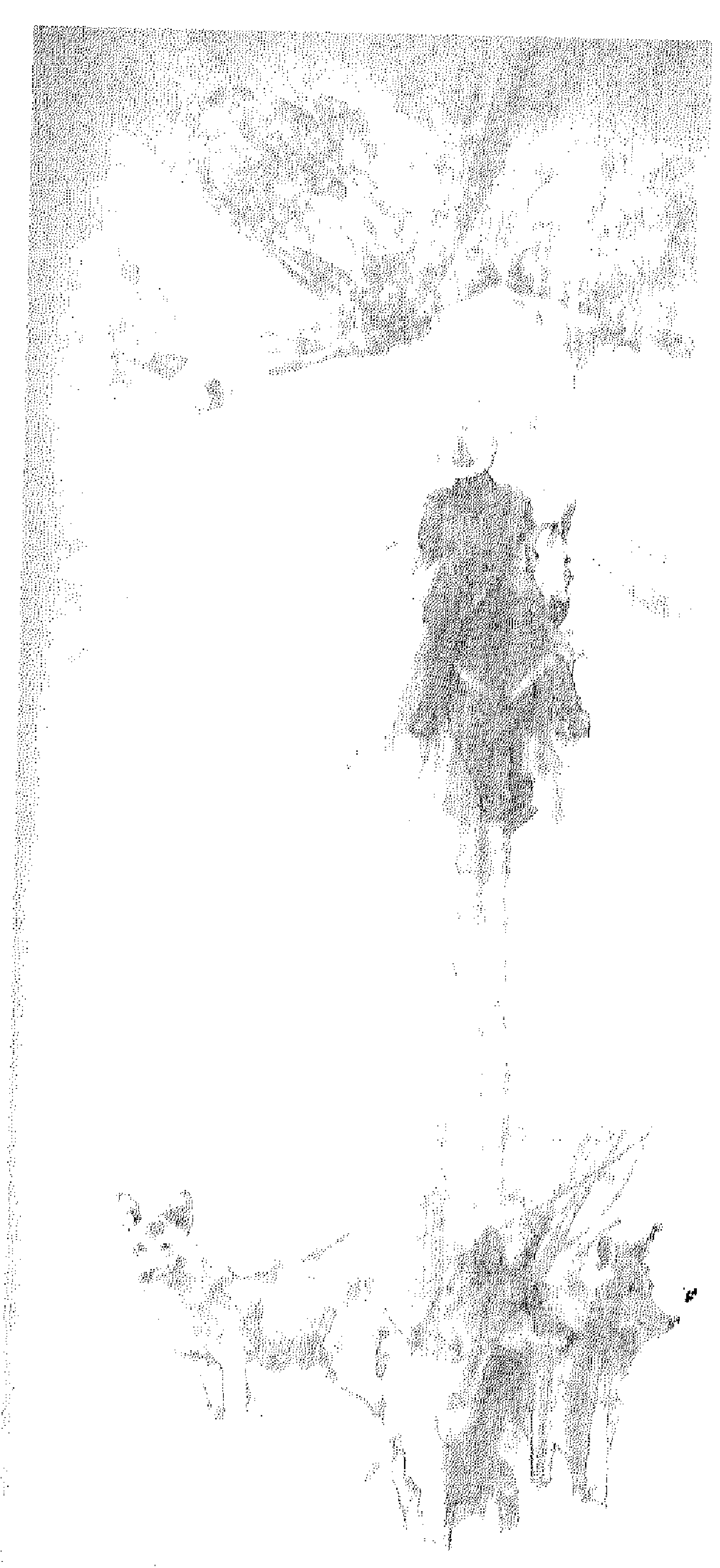
خيّل الي أنني سمعت عواء من خلال العاصفة. ففتحت جفوني بأصابعي الخدرة. رمح امامي ثلاثة أطياف – ذئاب مغشاة العيون بقشور من الثلج. ربما كانت تعرف شيئاً، فلي خيار ضئيل باتباعها. اذا كانت أحست بوجودي فيبدو انها لم تكن تبالي للامر. يظهر أن الحيوانات المفترسة التي يطاردها حريق أو طوفان تنسى مخاوفها المزمنة في هدنة من اليأس.

بين لحظة وأخرى لم أكن أرى الذئاب وسط العاصفة، اضافة الى أن آثار قوائمها خفيفة بحيث لا تلبث أن تختفي. كنت في حال هلع وخشيت أن تكون

الذئاب مضطربة مثلي. لكنني تبعتها بايمان أعمى متقياً بقبضتي صدمات العاصفة، أنظر خلسة من تحت حافتها كل خمس خطوات أو ست الى أن شاهدت الذئاب تسير على غير هدى. وحاولت أن أزيل الثلج عن أهدابي.

فجأة خيل الي أن الريح بدأت تنحسر. ورأيت اشجاراً متشابكة كخيام هندية ومغطاة بملاءة بيضاء. وما تحركت وجوادي نحو ملجأ من شجر الصنوبر حتى سكنت الريح واتقدت الحرارة في خديّ المبتلين. فتشت حولي عن الذئاب التي أنقذتني فلم أعثر عليها.

في الليلة الاولى التي قضيتها في المنزل الحجري الخاص بخالي في مزرعته "يامسي"، فكرت في اختباراتي تلك. وفكرت في أولئك الصبية الذين التقيتهم في زاوية ذاك الشارع في ميشيغان، فتولد لدي احساس بأني كنت محظوظاً وانتصرت عليهم.



انتهاك محزن

حياتي المنشغلة في المزرعة جعلتني لا أشعر بالوحدة، كنت أزور والدي من حين الى آخر، وهما كانا يكتبان الي غالباً، لكن رسائلهما أخذت، رويداً رويداً، تصف الحياة غريبة كئيبة. أما رسائلي فكانت تنفجر اثارة: الجياد التي روضتها، الذئاب التي شاهدتها تصطاد في المروج، الرجال الذين عملت معهم وتعلمت أن أحترمهم. كنت على شفير التطوع لاصبح راعي بقر.

لم أذكر لاحد حقيقة ذهابي الى المدرسة، كما تجنب خالي اعلان هذا الامر. لكنه ذات يوم أعطاني ملابس تملأ متجر ثياب وأعادني الى البيت.

أثناء سني الدراسة ضربت كل مظاهر النمو، أصبحت ذا صوت خفيض، أمشي كمهر حديث العهد مستعد لحمل الاثقال، معتقداً اني لا أعرف شيئاً، وأسوأ من ذلك

اعتقادي أن لا أحد غيري يعرف أي شيء. وأخيراً، عندما أصبح طولي ١٩٦ سنتيمتراً، علوت كل من كان يعلوني.

حين ألتفت الى الوراء أتذكر فرح العودة الى "يامسي." لكنني أتذكر أيضاً ما يحزنني. فلدى كل عودة كنت أرى كم تقدم خالي في السن. وأثناء الحرب العالمية الثانية خدمت في سلاح الاشارة وراقبت تغير تقاليد الغرب الامريكي. العالم الذي أحببته كراعي بقر اختفى بسرعة. الخيول أصبحت لطيفة، وجياد السبق خربت القطعان. أما الرعاة القدامى الذين عاشوا أيامهم في المزارع يقصون حكايات ويحفظون جوهر حياة المزرعة، فقد غادروا الى المدينة.

مع كل ذلك، عندما نظرت الى الارض بقيت أرى طاقات الطبيعة حقيقة قوية متحركة. وحينما طار نسر ذهبي عن القمة ماراً فوق "يامسي" فكرت في أنه ما علي الا أن أرفع ذراعي فأسافر معه. وعندما سمعت الذئاب تعوي شعرت بانه ليس لي الا أن أميل برأسي الى الوراء فتغمرني سعادة عفوية. ويوم تجولت في الغابة أحسست بوجود بشر هناك منذ عصور بعيدة، بشر اعتنوا بالارض. من المحزن أننا انتهكنا ميزات الطبيعة.

بعد الحرب تزوجت فتاة تحسن ركوب الخيل كما يحسنه الهنود الحمر. أحبت المزرعة كما أحببتها أنا. لكن خالي كان يخاف الانفجارات السكانية. وكل مرة تكون زوجتي غردي حاملا ينسى أني رئيس عمال "يامسي" ويعنفني كطفل مزمجراً: "أنت كوالدتك تماماً، أنجبت كل هؤلاء الاولاد الذين لا تستطيع تدبير أمورهم ولها زوج لا يستطيع أن يعمل."

صممت على امتلاك المزرعة، أما خالي فكان يلوّح بها أمامي كما يلوّح بجزرة ليحول دون تحركي. تبخرت وعوده ببيعي يامسي. وكلما ذاب الثلج في الربيع عرضها للبيع. أقبل الناس أفواجا وظننت أنني خسرت المزرعة، لولا غزوة الفئران.

غزوة الفئران

في أحد أيام صيف ١٩٥٨ وقف خالي الذي قارب منتصف السبعينات من عمره بقامته الفارعة الناحلة الانيقة، عابساً مغموماً خوف انهزامه أمام طوفان جنوني من فئران الحقول التي تحفر أنفاقاً تخترق المروج. كنا نراقب خراب "يامسي."

أمام أعيننا جاشت الارض وانقلبت سوداء كأن هناك ألف محراث خفي يحركها. واذ تزاحمت الفئران للحصول على غذاء امتلأ الجو بزعيق غاضب حاد فكأن الطبيعة أصيبت بمس من الجنون.

مقاطعة كلاماث الزراعية الغنية شرق متنزه بحيرة كريتر وجبال كاسكاد أصابها وبأ الفئران الذي كان من أعظم الاوبئة التي عرفها التاريخ.

هذا الوافد تسببه عوامل عدة. الحروب الحيوانية الضارية التي حصلت في العقد السابق تركت للفئران أعداء طبيعيين قلائل. أما محاربة الحيوانات القارضة بالمواد الكيميائية فمنعت الامراض التي تحصر العدد. وبعد سنة غذائية جيدة للفئران اضطر الناس الى النزوح، وسجلت الفئران في توالدها رقماً قياسياً خلال

شتاء معتدل. الفأرة الوليدة لا يمضي عليها ستة اسابيع حتى تكون هي ذاتها جاهزة للولادة.

في ذلك الشتاء حاولنا في "يامسي" أن نؤمن العلف لستة آلاف رأس من الماشية. كنا نفتح ثغرة في كوم التبن فنجد داخلها تجمعاً من الفئران يلجأ اليها نهاراً. أما عالفو الماشية فكانوا يشدون أكمامهم وحواشي سراويلهم بخيوط من قنب بغية ابقاء الفئران خارج ثيابهم. اجتاحت الحيوانات القارضة المنازل فقضمت ستائر النوافذ وأغطية الاسرة. أما النساء فلجأن الى النوم في مغاطس الحمامات.

تفقد أصحاب المزارع أكداس التبن فوجدوا خيوط القنب ومقابض المناجل مأكولة والسروج ملتهمة بحيث لم يبق منها الا حلقات الاحزمة. وذات صباح أدرت محرك الشاحنة فاذا بوكر فئران في المحرك ينفجر ملتهباً ويدمر العربة. لم يكن لدينا ما نفعله الا الأمل بوقوع كارثة طبيعية تبيد هذه الآفات القارضة.

انتهى الوبأ بلا ضوضاء ولكن ليس قبل أن تمنى المنطقة بخسائر تقدر بملايين الدولارات. نفقت الفئران محترقة في التراب. قال بعضهم: "انها عجيبة من العجائب." ولكن كان هناك من شعر بأننا نحن سبب الكارثة التي كانت ثمن عجزنا عن تفهم كوابح الطبيعة وميازينها ورفضنا التحالف مع القوس التي تحافظ على نظام الطبيعة.

بعدما حولت الفئران الحقل حجاراً صغيرة أذعن خالي وباعني المزرعة. وما كدت أسرع لاخبر زوجتي وأولادي الخمسة أنني اشتريت العقار حتى صرخوا في وجهي: "سنجوع حتى الموت." وأشرقت عينا غردي فرحاً، أما الصغار فكانوا مندهشين.

بعد ذلك انكشفت لي الحقائق فملأتني شكوكاً. قصدت جذع الشجرة المقطوع الذي طالما جلست عليه ونظرت ملياً الى الوادي حيث تركت الشمس الغاربة ذكريات وردية حمراء. انتابني احساس غريب بأني كنت مراقباً، فالتفتّ الى الوراء فرأيت ذئباً كبيراً واقفاً بقوائمه الاربع على جذع الشجرة، وما لبث أن ركض نحو المرج وبدأ يعيث فيه فساداً كأنه له وليس لي. فأدركت أنني لست المالك الوحيد للمزرعة.

عودة الدون

كان عليّ أن أرى ذلك الذئب الكبير مجدداً لانه أصبح "الدون" خلال الصيف والخريف الاولين بعد امتلاكي المزرعة. لكن مشاعري لدى رؤيته مقتولا بطلق ناري تجاوزت الغضب والحزن. مع دون كيوت كنت أشعر أني أقتفي شيئاً وهمياً هو تفهم مصير أرض أُعطيتُها لاديرها، وعندما وضعت المأساة حداً لصداقتنا أصبح ذلك التفهم بعيد المنال.

طوال الايام التي تلت مقتل الدون دفنت نفسي في العمل أحضّر الماشية لفصل الشتاء. وذات صباح في شهر ديسمبر (كانون الاول) وقفت أتأمل السماء المتجهمة، وقلت لجون: "أظن من الافضل أن أنقل "أليس الكبرى،" فقد نحتاج اليها لجرف الثلج."

تلألأت عيناه وقال: "ماذا في شأن قطع الغيار؟"

أجبت: "سنسير من دونها. من الافضل أن تأتي معي فقد احتاج الى مساعدتك." وما كدنا نتوجه نحو الجرارة حتى بدأ ثلج خفيف يتساقط وهبت ريح عاصفة من الجبال. بدت "أليس الكبرى" باردة وغير مغرية. وضع جون يده على الكابح.

قال: "هاي، ماذا تحت الجرارة، أرى شيئاً يتحرك؟"

وقفت جامداً لأرى. لم يكن هناك شيء، بل ثلج يتساقط. ثم سكنت الريح فلمحت شكلا أسود فوق بياض الثلج. واذ توجهت متثاقلا نحو الجرارة وجدت هناك ذئباً لاح ذيله تحتها وهو واقف على ثلاث قوائم.

صرخت: "انه الدون، انا لا أصدق عينيّ. تركته نافقاً!" مددت يدي الى جيبي كالعادة أفتش عن قطعة خبز أو اصبع نقانق، لكنني فطنت الى أنني لم أحمل معي أي طعام. كان الذئب جائعاً. وكان الانقشاع سيئاً اذ ان جهاز التذويب لم يؤثر الا قليلا في الثلج المتساقط على الزجاج الامامي، وانحصرت رؤيتنا من خلال رقعتين صغيرتين. لم أستطع أن أفعل شيئا للدون فقلت: "لنذهب الى الاصطبل يا جون." كان في وسعي أن أستعمل الجرارة لجرف الثلج، لكن الدون يحتاج اليها ليبقى حياً.

كان للعثور على الدون تأثير في نفسي. لكنني ما زلت أتساءل عما اذا كانت صداقتنا نتيجة اطلاق النار عليه وانزعاجي لعذابه. عزمت على الاّ أجدد علاقتنا. قد أهديه جيفة، لكنني لن أقدم اليه بعد الآن خبزاً ولن أتدخل في أموره.

أعطيت اوامر صارمة بألا يقترب أحد من الجرارة، لكنني في اليوم التالي كسرت الاوامر بنفسي.

رأى ديتون أن جرح الدون قد يكون ملتهباً ووصفت أنا دواء هو اصبع نقانق مع قرصين من الـ"سلفانيلاميد." ثم غليت ورق صنوبر على الموقد ووضعت في يدي قفازين من المطاط وغطست اللحم في الماء المغلي بورق الصنوبر وتركت هديتي على الجرارة. في اليوم التالي لم أجد لها أثراً. ربما سرقها غراب. لكنني شعرت بأنني أفضل حالا. انتظرت وأملت.

عجرفة الذكر

في أواخر يناير (كانون الثاني) خيل اليّ أنني رأيت الدون مجدداً. ترجلت عن فرسي وأخذت منظاري وصوبته نحو نقطة مميزة على منحدر حرجي حيث أذابت حرارة الشمس الثلج عن قسم من ورق الصنوبر. ظللت بضع دقائق أتطلع من خلال المنظار الى موضع لمحت فيه حركة.

بغتة، في انقشاع صاف، لمحت الحركة ثانية. ذئب صغير ذو قوائم أربع قفز عن جذع شجرة مقطوع واندفع الى الامام والتقط فأرة قذفها في الهواء وابتلعها. بعد ذلك ركض نحو "أليس الكبرى." انه أنثى! ولما اقتربت من الجرارة أخذت تتحرك بحذر تارة الى الوراء وطوراً الى الامام مستعدة للهرب اذا وجدت ما يجفلها. بدأت ضلوعها تضطرب ثم ألقت من فيها طعاماً على الارض. رفعت رأسها وأصغت وانتظرت ثم ركضت عبر المرج عائدة الى الحرج.

مضت نصف ساعة ولم يحدث شيء. اخترق البرد سترتي الثقيلة واقشعر بدني. وكدت أجزم بأن الدون نفق في غاره وأن جهد الانثى لتغذيته لم ينفع. لكنه ظهر فجأة من وراء شفرة الجرارة وهو يعرج متألماً. تحرك متثاقلا الى حيث وضعت الانثى الطعام. يبدو أن ألمه اشتد عليه فلحس عقب قائمته بحذر. أما فروه الرث فدل على اعتلال صحته.

كنت منشغلا بمراقبة الدون ففاتني أن ألحظ الذئبة الصغيرة تعود راكضة عبر المرج. اقتربت منه برقة وهي تبصبص بذيلها كاشفة عن أنيابها بابتسامة، ثم زحفت نحوه بخضوع وألقت بعض الطعام من فيها. دفعها الى الوراء وازدرد الطعام بشراهة.

في الساعة التالية عادت الانثى أربع مرات وفي كل مرة كانت تحمل للدون طعاماً. انها بحسب تقديري، لم تبلغ السنتين من عمرها ولمّا تنتج بعد. عجبت لقوة الغريزة العائلية عند الذئاب. لم يكن هناك رباط زوجي، لكن الانثى تعنى بفرد مصاب من جنسها. التصرف كان دائماً هو اياه. يختلس الدون ما تقدمه اليه الذئبة مظهراً عجرفة الذكر وسماجته. فكأنه، اذا ما فعل غير ذلك، يكون بمثابة متقبل صدقة.

ان دون كيوت على رغم تصرفه الشرير أصاب يسراً بما قدمته اليه الانثى من خدمة صادقة. كانت رحلاته الاولى لاستكشاف منطقته قصيرة ومؤلمة وحرجة، لكنه سرعان ما اكتسب مهارة جعل قائمة خلفية واحدة تقوم مقام اثنتين. وذات يوم كنت ممتطياً فرسي فرأيت الزوجين يطاردان الفرائس معاً، ورأيت الدون يحاصر حيواناً قارضاً مختبئاً في نفق ثلجي ويحفر بمخالبه الامامية ليخرجه من النفق ويفترسه.

أما الانثى فجلست تراقبه عن كثب وتبصبص بذيلها بينما كان هو يأكل فريسته كلها من دون أن يشركها في قطعة. وما ان وصلت الى البيت حتى زالت غصتي العاطفية. الدون تعافى.

الذئبة الام

تعلمت من الدون كثيراً عن تصرف الذئاب. لكنه الآن وقد تعذب على أيد بشرية وأصبح كسيحاً، لا يمكن أن يعتبر في حال طبيعية. لأسباب استقصائية احتجت الى الحصول على ذئبين زوجين أجعلهما ينتجان وهما محصوران في قفص وأربي جراءهما على درجات متفاوتة من الشراسة مروضاً بعضها وتاركا بعضها الآخر ينمو على فطرته. فكرت في أن الدون سيهوّن الامر علي فيتزوج الانثى. لكن تزواجهما لم يتم في فبراير (شباط) موسم السفاد عند الذئاب. ويبدو انها كانت صديقة ورفيقة صيد فقط لدون كيوت.

أثناء فصل الشتاء راسلت معارف لي يروضون ذئاباً. وفي الربيع سمعت من زوجين صديقين في بنسلفانيا يشرفان على حديقة حيوان خاصة أن لديهما ذئبين غريبين عليلين شوقاً الى موطنهما الاصلي، ويريدان التخلص منهما. أسرعت الى الهاتف وأنا أتخيل زريبة صغيرة جميلة قرب مجرى مياه الربيع ووجاراً

نظيفاً حيث تستطيع انثى الذئب أن تنتج، وثقباً صغيراً بحجم العين أراقبها منه. أطعم بيدي بعض الجراء وأربيه شبه داجن وأجري جميع أنواع الدراسات على تصرفه.

شحن الذئبان جواً الى الغرب. نقلتهما في شاحنة من مطار شلالات كلاماث الى "يامسي." ساعدني ديتون في حمل قفصهما الى الحظيرة الجديدة. وسرعان ما كان الذئبان العاويان يتنشقان هواء أوريغون ملء رئاتهما.

سميت الزوجين "جاك" و"فيولا" على اسمي الصديقين اللذين أرسلاهما وتركتهما وحيدين يسويان أمورهما. راقبت أي تصرف يصدر عنهما نتيجة حصرهما فكانا، لولا نزوع جاك الى التحرك بعصبية، كأي ذئبين من الذئاب التي شاهدت عبر المزرعة.

كانت فيولا حبلى ووقت نتاجها يقترب بسرعة. جددت موضع نتاجها، فرشته بالتبن ونشارة الخشب وبعض الاسمال، هذا كل ما يمكن أن تشتهيه ذئبة ام. وبعد يومين استكنت فيولا في فراشها ونتجت ستة جراء عمياء لا تقوى على الحراك. بفضول فائق راقبتها من خلال الثقب الذي غطيته بقماش أسود لاجنبها النور المزعج. وحين اعتادت عيناي الظلمة استطعت أن أرى التفاصيل. ما زالت فيولا تلهث متأثرة بآلام النتاج وتدفىء الجراء بجسمها. هذه الجراء تشبه ستة مناجذ. تلحس فيولا أجسامها وتدلكها لتبعث فيها حرارة الحياة.

صمّمت على أن أزود الذئاب طعاماً طبيعياً. وكانت جهودي جبارة. أثناء هذا الوقت لم أتمكن من أن أنجز شيئاً كثيراً في ما يتعلق بالمزرعة، لكنني انتهيت الى تقدير بالغ لمساهمة الحيوانات المفترسة في ابادة القوارض. كان جاك وفيولا يفترسان يومياً ما يزيد على خمسة عشر خلداً. وكلما كبرت الجراء ازداد العدد.

لما كان القصد من الاحتفاظ بجاك وفيولا هو تربية جرائهما والتعلم منها فقد قررت أن "أخطف" جروين. يجب أن أفعل ذلك قبل أن تتفتح عيونهما، على أمل أن أترك عليهما الانطباع الذي تركته أمهما. وبعد ان يستقر الجروان سأخطف اثنين آخرين تاركاً الاثنين الباقيين مع والديهما. لم تكن لدي رغبة في تدجين الجراء، انما رغبتي كانت في ترويضها

الى الحد الذي يتيح لي مراقبتها من دون أن تهتم لوجودي.

حينما بلغت الجراء بضعة أيام من العمر أخرجها جاك وفيولا من الحظيرة الى وجار كانا حفراه بين جذور شجرة صنوبر. أخذت علبة معدنية فارغة وحفرت في التراب الناعم عند نقطة سمعت فيها مواء الجراء. أخيراً لم يعد ثمة تراب أحفره. وانكشفت لي حفرة مغطاة بشعر ذئب. في الضوء الخافت رأيت حركة جراء. التقطت اثنين ووضعت بعناية حجراً على الثقب وغطيته بتراب واسرعت بالجروين الى المطبخ ووضعتهما في صندوق محشو باسمال ناعمة أمام باب الفرن المفتوح فاستسلما الى النوم.

ذوبت حليباً مجففاً في الماء ووضعت المزيج على الموقد. وعندما أصبح ساخناً سكبت بعضه في قنينة ارضاع صغيرة. ثم أيقظت الجروين وسكبت السائل الساخن على معصمي لاتفحص حرارته. وعبثاً حاولت حمل الجروين على الرضاعة من القنينة. ثم أخذت غردي القنينة من يدي مستهجنة، وفي لحظة كان أحد الجروين يرضع بلهفة.

قلت: "عندما تنتهي الذئبة الام من ارضاع جرائها تنظفها بلسانها." حدقت الي غردي محملقة.

اتفقنا على تنظيف الجروين بمحارم ورقية رطبة. تمددت معدتاهما واستكانا في "عشهما" امام باب الفرن واستغرقا في النوم.

عندما نجح الجروان في التحول من رضاعة ضروع فيولا الى قنينة الارضاع وحلّت رائحتنا محل رائحة والديهما، قبلانا تماماً. وأصبحا حينما يشعران بوقع اقدام يشرعان في العواء والنباح ويستشمان حلمة القنينة وهما لمّا يبصرا. لم يكن سهلا علي أن أضع الحلمة في فم شيطان صغير يتلوى ويصرف كشريط تسجيل يدور بأقصى سرعة. لكنني أخيراً أتقنت الفن. وسرعان ما كنت أتولى تقديم وجبة الساعة الثالثة صباحاً.

تدريب صيادين

في يومين اثنين، عندما بدأت عيون جروينا تتفتح، خطفت جروين آخرين من الوجار ودسستهما في قميصي. عيونهما كانت مفتحة لكنّ لونها ما زال لون الطفولة الازرق. رمقاني غير متأكدين، أصديق أنا أم نسر جارح يطير بهما الى النهاية.

كانت فيولا تفعل أفضل مما كنا نفعل أنا وغردي. جراؤها أكبر من جروينا وشعرها البني ناعم لامع. أما جروانا فكانا اشعثي الشعر منتفخي المعدتين. تقبّل الضيفان الجديدان قنينة الارضاع بسرعة. لكنهما خلال يومين أصبحا رثي الشعر كالجروين الاولين. كان شعوري بأن الجراء حين تتدرج الى الطعام الطبيعي ستنمو كالنبات. ولحسن الحظ هذا ما حدث.

كل يوم كنت آتي الى الجراء الاربعة بحمل من المناجذ وأقضي بعض الوقت معها ألاعبها كأم. لكنّ ذلك كان يحول دون انجاز ما يتوجب علي من أعمال في المزرعة. وحللت المشكلة باصطحاب الجراء أينما ذهبت. تكيفت والشاحنة، لكنها آثرت ظهر الفرس حيث كان كل

اثنين يستكنّان سعيدين في جانب من جانبي الخرج. في البدء كانت "ستريت ادج" تصل وتشم الجراء ثم تحدث ما يشبه الطقطقة بعمودها الفقري، فتعوي الجراء خصوصاً عندما يقترب منها أنف الفرس. ان جواداً آخر قد يرمينا جميعاً لكن فرسي غدت لينة مطواعاً عبر السنين.

على نحو غير منطقي لا يعرفه الا الاطفال، سمي الجروان الاولان "كوي" و"بوي" والاثنان الاخران "نك" و"بنجي." عندما اختطف كوي وبوي من أمهما وهما مغمضا العيون كانا هادئين. أما نك وبنجي فاختطفا وهما مفتحا العيون لذلك كانا اكثر عصبية واستقلالا. وأما الجروان اللذان تركناهما مع فيولا فكانا يختلفان تماماً. يخافان عندما يريانني وحين اقترب منهما يهرعان الى وجارهما.

الجراء الستة جميعها أمضت معظم وقتها في عراك مصطنع، يصارع احدها الآخر فيرميه أرضا كأنه يفتك بفريسة. لكن مأساة ضربت المجموعة ففرقتها. فذات يوم سمعت شغباً في خم الدجاج. أسرعت اتفقده فوجدت أحد جروي فيولا قد حفر طريقاً له من وراء السياج. أخذت الحيوان المذعور بيدي فأخفى رأسه في قميصي وهو يرتعد خوفاً. وعندما أرجعته الى الحظيرة شمه جاك وأرداه من فوره. قد تكون رائحتي أو رائحة الدجاج "حولته" حيواناً غريباً.

خفت على الجرو الآخر، لكنه عاش ونما. غير أنه بدا عصبياً وبائساً في الاسر. وأخيراً أطلقته. وكنا نراه بين الفينة والاخرى يلتقط الفئران في المرج بضراوة كما يلتقطها أي ذئب ضار. انه لم يعد يريد أي ارتباط بانسان.

فطمنا الجراء الاخرى عن الطعام والحليب. فعادت الى غريزتها تصطاد. ذات يوم حط جندب كبير على المرج فاكتشفت كوي مكانه وجرت نحوه مثقلة الخطى منخفضة الرأس. أما الجراء الاخرى فكانت تراقبها بغرابة. وبوثبة طويلة أطبقت كوي على الجندب بمخالبها الامامية وحجزته في فيها. فاذا بالجراء تقبل نحوها وتأخذ في معاركتها حتى سكنتها. استعادت كوي نشاطها في هنيهة وابتعدت مسرعة والجراء الباقية تطاردها. اكتسحت ازهار غردي وعبثت ببقعة من الاقحوان قبل ان تتابع طريقها بين العشب المزهر. أخيراً تعثرت وسط نباتات ذات أزاهير عنقودية لجينية. وانتهى كل شيء: الحشرة والازهار.

أما بنجي فهو الذي جعل الجراء صيّادة أبداً. وقف مصادفة على مخبأ للفئران تحت أوراق الشجر. فاذا بفأرة تزعق وتقف على قائمتيها الخلفيتين وتعض بنجي في شفته. لم يثنه ذلك عن عزمه فغرز مخالبه في الفأرة وقبض عليها وألقاها نافقة. أما الجراء الباقية فجلست في شكل دائرة وأخذت تترصد الفرصة لتختلس عضة من الفريسة. وكلما اقترب أحدها من بنجي كشر هذا عن أنيابه الصغيرة وزمجر.

[illegible]

حين وصل جاك وفيولا كنت منهمكاً في تأمين المياه لجزء من المزرعة يدعى حقل كاليموس. كان المصدر الوحيد لمياه

الصيف بئراً عميقة وكانت الآلة التي تحرك المضخة تحتاج الى اصلاح.

في ذلك الربيع جبت منطقة كاليموس وأدركت سرها الخفي. كان عندي احساس غريب بأن الهنود القدامى يراقبونني. واذ جلست على حافة الوادي رأيت حجراً غريباً مثلّما على الارض فالتقطته لاتفحصه. كان ثقّال شبكة صيد هندية. كم مضى عليه هناك؟ ألوف السنين؟ ولماذا كان هناك بعيداً عن أي بحيرة؟

بعد ذلك لاحظت تحتي على منحدر الوادي طبقة من تراب نبات مائي مما يدل على أن الارض كانت مغمورة بمياه بحر داخلي. اذاً لم يكن ثقّال شبكة الصيد في غير محله. كانت هناك بحيرة في وقت ما. تخيلتها ممتدة أمامي وعلى ضفافها قرى هندية وعلى سطح مياهها هنود في زوارقهم يجمعون بذور زنابق الماء ويلقون شباكهم مثقلة بحجار مثلّمة بغية صيد السمك. وفوق الرؤوس تحلق طيور البط والاوز وعلى امتداد الشاطىء تجثم طيور الكركي.

صرفني جاك وفيولا عن تأملي في كاليموس. وفيما أنا أغير المكربن الكبير في محرك المضخة عادت الي فكرة البحيرة. قد استطيع بناء سد على فم الوادي لخزن المياه المتدفقة من ثلج الشتاء. يمكنني أن أعيد بناء البحيرة التي محاها الزمن.

تملكني الانفعال. كان أفراد عائلتي سكان أراض جافة، وكلهم معتاد سماع صهيل الخيل في الصباح الباكر. وأنا منذ أيامي الاولى في شمال ميشيغان عرفت صوت تدفق الماء على شاطىء البحيرة. ان سقسقة الطائر المائي تحدث في نفس الطفل أثراً لا يزول.

دلني مسح أولي للارض على أن البحيرة ربما كانت بطول ١٦٠٠ متر وعرض ٨٠٠ متر. في اليوم التالي اتصلت بمتعهد لبناء السدود. طلب مئة ألف دولار لانجاز العمل. كان المبلغ يتجاوز امكاناتي. اذا كان لا بد من بناء سد فيجب أن أبنيه بنفسي. لكنني لا أعرف كيف أبني سداً.

كلفت مهندساً وضع التصميم ثم سعيت الى طلب رخصة بناء. عرفت المصاعب التي ستواجهني معتبراً بما لقيت في محاولة سابقة مع أصدقاء لي في بناء سد بعلو ١٨ متراً وعرض ٧٥ متراً وطول ٤٠٠ متر.

في عملية بناء البحيرة كنت في حاجة ماسة الى "أليس الكبرى." وكأن دون كيوت أدرك أنني سأسلبه قصره، فابتعد عندما اقتربت منه وتوارى بين أشجار الصنوبر.

انطلقت "أليس الكبرى" وهي تهدر بصوت كقصف الرعد نافثة دخاناً أسود. وما ان تحركت حتى شاهدت العشب يختفي تحت سلاسل عجلاتها تاركا خطين متوازيين من صدأ يشبه تراب الحديد. صلّيت من أجل أن تستطيع "أليس الكبرى" انجاز المهمة. هناك أمور كثيرة تنبغي تأديتها: أولاً، ازالة الاغصان المقطوعة من منطقة البحيرة، ثم حفر موضع السد حتى الوصول الى طبقة صخرية وفقاً لتعليمات المهندس الحكومي. بعد ذلك علينا نزع الطين عن الحجار البركانية لاستعمالها في بناء السد.



- "المختار" مجلة مريحة ومتفائلة، تسلّي من غير تجهيل وتثقّف من غير وعظ وتفيد من غير اضجار.
- "المختار" لافراد عائلتك مجلة انيقة لا يعترض تهذيبها حاجز.
- "المختار" تزيد معارفك وتوسّع آفاقك وتغنيك عن مطالعة عشرات الكتب والمجلات.

للاشتراك في "المختار" املأ القسيمة بخط واضح بالعربية أو الاجنبية، وارسلها بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً امريكياً هو بدل الاشتراك في ١٢ عدداً من المجلة لمدة سنة، الى احد العنوانين الآتيين:

Bank Almashrek S.A.L.
P.O. Box 1524
Beirut — Lebanon

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت - لبنان.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut — Lebanon

البنك المتحد للأعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان.

قسيمة اشتراك

Name .... الاسم

....

Address .... العنوان

....

Profession .... المهنة

Date .... التاريخ

Signature .... التوقيع

الرجاء وضع العبارة الآتية
على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار"

اقتنيت حفارتين مستعملتين اضافة الى محدلة. وعندما جئت بكل المعدات الى موقع السد كان ثمة منظر مؤثر من المعدن الصدىء.

فتيان العائلة مجموعة مخشوشنة. تيلور، وهو في الثالثة عشرة من عمره، قاد "أليس الكبرى" التي تزن ٣٥ طناً. وقاد جون، وهو في الخامسة عشرة من عمره، حفارة بلغ حجمها ١٨ متراً مكعباً. وقدت أنا الحفارة الثانية. أما ديتون البالغ من العمر ٤٢ عاماً فكان يجر المحدلة تارة الى الامام وطوراً الى الوراء ليرص الارض جيداً. وبدأ الموقع يشبه مقلعاً كبيراً للنحاس.

مضى صيف وخريف. وآخر حمل من التراب دك في السد. طبقاً لجدول العمل وصل المهندس الحكومي وفريقه لتفقد السد. وبعد اجراء مسح شامل قال لي انه، باعتبار النفقات التي صرفت، لا يمكن بنّاء محترفاً أن يبني مثل هذا السد الفخم.

صافحته وانا منهوك القوى، ومشيت بين الاشجار. لقد صممت، كيفما كان الامر، على بناء سد لبحيرة نضبت منذ ألوف السنين. تعاونت مع الطبيعة الام بغية ايجاد موطن للحياة البرية.

دعوة الى النزهة

خلال ذينك الصيف والخريف اللذين مضيناهما في العمل في السد اكتسبت الجراء مهارة في الصيد، لكنها مهما اشتهت طعامها البري فلم يفتها أن تتسول فتات غداء. واذ توقف الآلات الكبيرة هديرها القاصف تجعل الجراء من ذلك حدثاً اجتماعياً. يعوي نك وبنجي عن بعد ثلاثة أمتار. ويجلس بوي عند أقدامنا يراقب وينتظر. وتدب كوي نحو أحضاننا تكسو وجوهنا بالقبلات وتدير رأسها لندرك أنها تود أن نحك أذنها. كانت كوي ألطف الجراء وأحبها الينا.

الى اللحم كانت الجراء تحب الشمّام والخوخ (البرقوق) المقطوف حديثاً. تأكل الخوخ حالا أما الشمام فيوفر للتسلية بعد الظهر. يمسك أحد الجراء قشرة ويصعد الى رابية محافظاً على لقمته من كل متحدٍ. انه يذكرني بألعاب الدون القديمة.

وعندما نكون في قيلولة يخرج دون كيوت من الغابة ليراقبنا كأنه يتذكر ولائم زمن مضى. لكنه لم يكن يأتي من مكان بعيد في الغابة، ربما لانه أدرك أن شلل قائمته الخلفية جعله قابلا للعطب اذا ما ابتعد كثيراً عن وجاره.

في هذا الوقت تبدلت الجراء شكلا وهيئة. وهي كالاطفال، عندما تخف حركتها يظهر دهاؤها. ذات يوم تفرست فيها فرأيتها فقدت مظاهر الجراء وغدت طويلة القوائم ناحلة الاجسام قادرة على مسابقة الرياح. نك وبنجي وبوي بدأت تظهر استقلالية أكثر من ذي قبل. فبعدما كانت تنتظر وقت الانصراف لتتوسل الصعود الى الشاحنة، باتت تقتضي ملاطفة وتملّقاً. الذئاب ليست كالكلاب. فاذا لم ترغب في فعل شيء ما فهي لا تفعله. ومن هنا تأتي شراستها.

قال تيلور بأسف: "انها ستتركنا قريباً."

هززت برأسي: "كلها ما عدا كوي، اظن انها ستبقى معنا."

كان نك وبنجي الجروين الاولين اللذين اختفيا. خرجا بعد ظهر أحد الايام ولم يعودا. وذات يوم، وقت الغداء، اختفى بوي. لم أره لاني كنت مشغولا بمداعبة كوي. وحينما نظرت الى حيث كان يقف رأيت أعشاباً ترقص في مهب الريح.

واجهتني مهمة أخرى قبل الشتاء، وهي نقل حجرة رعاة البقر الى موقع البحيرة. كانت غير مدهونة وملتوية من شدة حرارة الشمس ومهشمة من قوة الرياح. زجاجها مكسور نتيجة اصطدام الطيور به، لكن رعاة البقر الذين ترعرت معهم كانوا يستعملونها. وفي خشب سقفها القاتم الذي عششت فيه العناكب حفرت أسماء الرعاة وبينها "آش مورو" و"هومر سميث." وهؤلاء ماتوا جميعاً.

لم أصنع للحجرة بديلا، بل رفعتها ووضعت تحتها قطعتين ثقيلتين من خشب الصنوبر وجررتها وراء "أليس الكبرى" الى الحافة الشرقية للسد. ثم ثبتها بمقدار ما استطعت. كنت متعباً من تدفئة البيت الكبير في "يامسي" بينما كانت غردي والاولاد في المدينة حيث يتعلمون. أردت مكاناً أضع فيه قدمي أمام موقد هادر وتقضي كوي ليالي الشتاء في الداخل.

ذلك الشتاء بدأت الصيد مع كوي على البقعة المغطاة بالثلج حيث ستكون البحيرة يوماً. أمسينا مطاردين ليليين كبيرين. تعوي الذئاب في التلال فنجيبها، أنا وكوي، منشدين أغنيتنا الخاصة فرحين بوجودنا معاً.

في فبراير (شباط) اعتدنا عواء الحيوانات المفترسة لأقل سبب. ذات ليلة كان ذئب وحيد يعوي خارج الحجرة. انه لعواء مألوف! بعد دقائق تكرر العواء ورأيت الذئب بوضوح على الثلج. لا ذيل، ثلاث قوائم. انه دون كيوت!

ناديت: "هيا يا كوي!" لمست أذني بأنفها وغادرت المكان. أردتها أن تتمتع. لكنني كنت قلقاً. فالغابات ملأى بذئاب قد لا تقدِّر كوي.

عادت كوي بعد يومين تجر أرنباً ثلجياً كبيراً نحو الحجرة. في احدى كتفيها غرزة ناب وهي تعرج ألما من عضة في قائمتها الامامية. لكنها كانت مسرورة.

السمَّاك الأول

ضربت كوي ركبتي بذنبها فيما نحن نراقب القطر الازرق الاولي يسيل من مياه الثلج الى "البحيرة." لم يحدث في البدء أي تغيير منظور. امتصته الارض العطشى. ولكن تلك الليلة هطل مطر غزير أذاب ثلوج القمم وأجرى سيلا جارفاً نحو حوض البحيرة. تدفقت المياه الى القاع ثم تجمعت أمام السد وبدأت تتحول تدريجاً من مستنقع الى بركة فبحيرة صغيرة.

بعد ذلك سمعت، وأنا جالس أمام الغرفة، نعيقاً محزناً آتيا من السحب الرمادية المتفرقة في الجو. واذا بخمسة طيور سمَّاكة تصفر وتحوّم فوق البحيرة كأنها غير مصدقة أن هذه الكمية من الماء يمكن أن توجد ههنا. حبست أنفاسي اذ بدأت هبوطها نحو الارض. رأيت سطح البحيرة الصافي يتماوج حينما خفقت الطيور أجنحتها الى الوراء

لتبطىء هبوطها. شربت وهندمت أرياشها.

في اليوم التالي كان هناك عدد متزايد من هذه الطيور ومن البط والاوز. ومثل مغنطيس لا يقاوم كانت البحيرة تجذب طيور الماء من الجو. انها مكافأة الطبيعة لنا.

اتسعت البحيرة رويداً رويداً من أربعة هكتارات الى عشرين فأربعين. جذب تكاثف الحياة البرية النسور الضعاف فجاءت تفترس البط والاوز فارزة ما كان منها مريضاً وغير مؤهل للحياة. أدركت وأنا أراقبها كيف كان يجري نظام الافتراس الحيواني بسلاسة قبل أن يأتي الانسان.

مع حلول فصل الربيع وبدء تحسن الجو عادت غردي والاولاد من المدينة وجربنا أسلوبي الجديد في الري. ملأنا المستنقعات والقنوات والبرك ثم تركنا المياه الجليدية تسخن في حرارة شمس الجبال وتتحول الى لون الشاي قبل أن ندفعها الى المروج.

ذات يوم امتطيت "ستريت إدج" وذهبت الى المزرعة. فهز التغيير مشاعري. للمرة الاولى أرى نظاماً فاعلا في الارض. كنا نتعاون مع الطبيعة بدلا من أن نهاجمها. عادت المستنقعات القديمة. وبين ليلة وضحاها ظهر نبات جديد خشن، غذاء للمواشي وموطن جديد كامل للحياة البرية. كنا سابقاً نعتمد السموم المبيدة. والان عندما تفحصنا المناطق حيث حوّلت الجنادب الارض غباراً وجدنا ان عدداً كبيراً من الطيور انتقل اليها وأن الذئاب تراقب الراكون سارق الاعشاش. فراخ الطيور نمت مع الوقت والجنادب التي فاتتها لا تملأ صفيحة.

ذات فجر انطلق عويل غريب من جهة البحيرة جعل كوي تعوي وتنبح. خرجت وراءها من الحجرة واذا بالعويل المخيف يتكرر عبر المياه. ثم رأيت شيئا يسبح على بعد مئة متر من الشاطىء. انه طائر سمّاك. الاول من نوعه أراه منذ طفولتي في ميشيغان. كان يسبح في البحيرة من جانب الى جانب يفتش عن سمك. لكنه وجد ضيافتي فقيرة فطار. عزمت على الاتيان ببعض السمك اغراء له بالبقاء في المرة التالية. ان بحيرة من دون سمّاك هي بحيرة موحشة.

وعي جديد

تجولت في الغابة على "أليس الكبرى." بينما كنت اسير مستكشفاً ومعي كوي قبل أشهر وجدت ينبوعاً صغيراً يمكنني، باستعمال الجرارة، أن أجعل منه بركة تنهل منها الطيور والحيوانات.

لكن "أليس الكبرى" تعطلت فجأة بينما كنت أجوب بها تلة فوق البحيرة. بضربة هائلة ألقت قضيباً حديداً من جانب المحرك، فتدفق "دمها" الاسود الحار على ثلج الشتاء المبكر، وارتفع منها نحو شجر الصنوبر لهب ازرق دل على نهايتها.

بعد أسبوع، بينما كنت متوجها على فرسي نحو "أليس الكبرى" لاجلب بعض الادوات من صندوقها، رأيت آثار أقدام

حديثة لدون كيوت الذي نزل عارجاً من القمة ليطالب بإرثه. نظرت تحت الجرارة فرأيت أنه حفر هناك وجاراً جديداً.

كانت كوي تصطاد عندما غادرت الحجرة الى بيت المزرعة عشية الميلاد. تلك الليلة سقط الثلج بكثافة مما جعل الطرق غير سالكة. أملت ان تظفر كوي بفريسة وتهتم بذاتها من دوني.

قالت جيني: "أمسكنا بك الآن يا أبي. لن تشاركنا كوي فيك حتى يتحسن الجو. أليس أفضل أن يكون بين كوي والدون ميل متبادل؟"

قلت: "لا مجال، انه كبير جداً عليها ولا ذيل له وبقائمة خلفية واحدة. فأي نوع من الحياة ستكون حياتهما معا؟"

"أبي! أنت غيور، لا تريد أن تتخلى عنها. حان الوقت لجبه الحقائق. ليست كوي كلباً، انها وحش وستكون في الغابات أسعد حالا، يجب أن تعرف ذلك."

حدقت اليها لحظة طويلة. انها على حق. كنت غبياً فلم أر ذلك. لقد تدخلت في حياة دون كيوت، والآن أتدخل في حياة كوي. ضممت جيني الى صدري.

بعد جرف الثلج عدت الى الحجرة. كانت كوي جالسة في المدخل وعلى فروها كتل ثلج راحت تصلصل كصنوج صغيرة عندما بدأت تثب مرحاً اذ رأتني. أما أنا فشعرت بالاطمئنان. كوي قد تبقى معي بملء ارادتها. داخل الغرفة تملكها قلق. وحينما خرجت لاجلب حطباً تبعتني واختفت.

بعد ظهر ذلك اليوم رأيت كوي ودون كيوت معا يستنشمان رائحة الفئران. حشرت كوي فأرة في زاوية ومزقتها بأنيابها، لم يأت الدون أي محاولة لاخذها منها. سمحت له كوي بأن يزدرد البقايا ثم حاولت أن تلعب معه، فكشر عن أنيابه وعضها ثم عرج بظرافة نحو "أليس الكبرى." تبعته كوي مسافة لا بأس بها. وعادت الى الحجرة قرابة منتصف الليل.

في الظلام الدامس قبل الفجر أفزعتني زمجرة في الخارج. ركضت كوي نحو الباب بينما أضأت أنا المصباح. من خلال الضوء المنتشر على الثلج لمحت الدون. قفزت كوي الى الخارج مستعدة للعب، لكن الدون ضربها بصدره وألقاها في منسف الثلج. اضطجعت بهدوء. شفتاها في تشابك مصطنع وذيلها يضرب، بينما كان هو يتفحص حالها. شعرت بأن لا حق لي في التدخل في صبابتهما فرجعت الى الحجرة ووضعت في الموقد قطعة حطب من الصنوبر. بعد قليل ضربت كوي الباب بمخلبها كي أسمح لها بالدخول.

لم ينم أحد منا. أخذت كوي تخطو الى الامام والى الوراء متأثرة بآلام الحيض ضاربة الارض بمخالبها من دون توقف. وفي الخارج كانت الذئاب في عراك.

عند الصباح أقفرت ساحة القتال ونهض الدون من وراء جذع شجرة مقطوع. ورأته كوي من النافذة فأخذت تنبح وتقفز بجنون.

قلت: "اهدئي، سأخرجك حالا من هنا." تجاهلت زمجرتها المنذرة وحاولت ضبطها بضمها الى صدري. لكنها بحركة سريعة أغرزت مخالبها في ذراعي. وحين صرخت من الالم فتحت الباب بصدرها. فر الذئبان معاً، وبعد قليل سمعتهما عند القمة قرب



"أليس الكبرى" يعويان بوحشية كمعشر الذئاب.

لم أر كوي مدة أسبوع. وذات يوم بينما كنت أقطع الحطب ويدي في حمالة، تطلعت الى فوق فرأيتها جالسة على الثلج تراقبني. أردت أن أناديها الي، ولكن بدلا من ذلك تمتمت: "اذهبي يا كوي، اذهبي مع دون كيوت."

بعد ذلك استدرت وابتعدت. كنت مشتاقاً اليها لكنني تابعت طريقي نحو البحيرة، وسرعان ما بدأ سحرها يزول عني. أصبحت أسير الى الامام نحو وعي جديد. أينما ألتفت ارى الطبيعة تعمل. غاز الميثان يرتفع من قاع طين البحيرة ويتجمع تحت الجليد. المياه ساكنة لكنها حية في الزجاج النقي تحت قدمي. سمعت التغريد العذب الذي يطلقه الطائر الناسك كما سمعت عواء ذئب.

بدأ الثلج يتساقط سائلا على وجهي كالدموع، فأويت الى حجرتي. تلك الليلة وأنا مضطجع على فراشي أصغيت الى الريح وشعرت بدافع الى عواء رثائي أخير. لكنني غصصت به. كيفما تكن العاصفة غداً فاني سأعود على الثلج الى عائلتي. استحال حطب الوقد جمراً واستسلمت الى الرقاد.

ديتون أ. هايد ■

ترجمة السفير هنري أبو فاضل



قصص الصيد

سأل أحدهم صديقه عن صيده الاخير، فأخبره هذا: "انه كان رائعاً. اصطدت عشرين بطة كانت تطير واحدة وراء أخرى."

قال الصديق: "إنك تبالغ كثيراً."

– حسناً، عشر بطات.

"لا شك في أنك تمزح."

– لقد بدأت تضايقني يا صاحبي. أنا متأكد من اصابتي أربع بطات على الاقل.

"ما زلت غير مصدق."


– ما بك يا رجل؟ لماذا لا تصدقني؟ كانت هناك بطتان على الاقل لأنهما كانتا تطيران الواحدة خلف الاخرى.

ب.ف.

لونها المفضل

توقفت سيدة عند اشارة مرور حمراء. وحين اضيئت الاشارة الخضراء لم تتحرك اذ كانت مستغرقة في تفكيرها. فنزل رجل من سيارته المتوقفة وراءها وسألها بلطف: "سيدتي، هل تنتظرين لونك المفضل؟"

ب.ك.



مشهد بحرى للفنان الصينى تشن [illegible]